الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

عدد ممتاز

الأدب والقوميّة العربيّة

وقائع المؤتمر الثالث
للأدباء العرب
القاهرة ٩-١٦ ديسمبر

العدد الاول — كانون الثاني (يناير)

السنة السادسة ١٩٥٨

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ — تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

العدد الاول
كانون ٢ (يناير) ١٩٥٨
السنة السادسة

No. 1 Janv. 1958
6ème année

مؤتمرنا الأدبي الثالث

بقلم الدكتور سهيل ادريس

انعقدت الدورة الثالثة لمؤتمر الادباء العرب في القاهرة تحت لواء القومية العربية ، وكان واضحا ان هذه الدعوة ، تحت ذلك اللواء ، منبثقة من طبيعة الاشياء ، نابعة من صميم الوعي بان القومية العربية قد اصبحت قوة هائلة تقود الحياة العربية في الحقيقة والواقع ، ولا بد للادب من ان يتأثر بها اذا حرص على ان يظل امينا في تأدية رسالته ، اي في التعبير عن واقع الحياة .

واذن ، فقد كان اختيار موضوع المؤتمر « الادب والقومية العربية » بعيدا عن الاقتسار والاختلاق . والحق ان الاحداث والتطورات في شتى ميادين الحياة كانت تفرض هذا الموضوع فرضا ، ولم يفعل الادباء اذ تطارحوه للبحث ، الا ان يستجيبوا لرسالتهم التي تنبع من اعماق ذواتهم وتتأبى على الفرض والابتسار .

ولم يكن غريبا ، لذلك ، ان تكون توصياتهم تقريرات لا قرارات ، ورسما للواقع لا تخطيطا للمستقبل ، ولم يكونوا بحاجة الى النص على واجبات للاديب ، لان الاديب كان يؤدي واجبه اغلب الاحيان ، ولان فضله لا يمكن ان ينكر في التعبير عن مظاهر هذه القومية العربية وفي تأصيل خطوطها ، وفي بلورة مفاهيمها . وقد كان من هم المؤتمرين ان يركزوا هذا الواقع ، ويبينوا اثر الادب والفكر في تفاعلهما مع القومية العربية . وليست بنا حاجة هنا الى اظهار ما اداه الادب في تعزيز مقومات هذه القومية من استحياء التاريخ واستيحاء التراث والحفاظ على وحدة اللغة واستشراف المصير المشترك والتعبير عن وحدة الارادة للعمل من اجل حرية الامة العربية .

لقد تواصى ادباء المؤتمر بالعمل على « التعبير الصادق عن تجارب امتهم ومواطنيهم تعبيرا يبرز خصائصهم القومية ويصور حياتهم وما يختلج فيها من آلام وآمال ويغذي وجدانهم بالقيم القومية والانسانية ويرود نضالهم في سبيل الوحدة الشاملة والتحرر الكامل. » كما تواصوا على « ان تكون عناية الاديب بماضيه وحاضره سبيلا الى مستقبل افضل لوطنه وقومه » وان «تتوفر في الآثار الادبية القيم

« الآداب »

في عامها السادس

بهذا العدد الممتاز تدخل « الآداب » عامها السادس وفية لرسالتها ، امينة على عهدها في خدمة القضية العربية عن طريق الادب الواعي الفعال .

ولعل من حسن الحظ ان يكون هذا العدد خاصا بموضوع « الادب والقومية العربية » الذي كان موضوع المؤتمر الثالث للادباء العرب ، وهو الموضوع الذي ما فتئت « الآداب » منذ خمس سنوات تفسح المجال لمعالجته وللانتاج في اطاره .

واذا لم نستطع ان ندرج في هذا العدد جميع ما القي في مؤتمر الادباء من محاضرات ، فاننا قد نشرنا ، بالاضافة الى اهم المحاضرات ، تلخيصا وافيا لجميع وقائعه .

فالى قراء « الآداب » الكرام الذين نستمد من تأييدهم وعونهم قوة الاستمرار على تأدية رسالتنا الشاقة نتوجه بالشكر والتحية .

« الآداب »

الفنية والجمالية . »-ونحن نعتقد ان هذه التوصيات وكثيرا من توصيات المؤتمر لا قيمة لها بذاتها ، وانما تكمن قيمتها في انها تقرير لواقع واقع هو الذي اوحى بفكرة المؤتمر بالذات ، وهو الذي خلق فئة من الادباء ، في جميع مراحل التاريخ الادبي ، عملت واعية من اجل هذه الغايات ، وما تزال تعمل حتى اليوم .

ان هناك ادباء واعين ، وادباء غير واعين . ولا شك في ان الاولين قد عملوا ويعملون في سبيل اهداف الامة العربية ، وهم لا حاجة بهم الى توصيات . اما الادباء غير الواعين فلن تجديهم التوصيات شيئا لانها لن تخلق عندهم الوعي الاصيل الذي ينتج الاثر القيم . من اجل هذا ينبغي ان ننظر الى التوصيات على انها تقرير وقائع وحقائق ، لا فرض واجبات ورسم مسالك . ولولا شعور القائمين على المؤتمر بان الادب العربي، في ماضيه وحاضره، قد تفاعل تفاعلا منتجا مع القومية العربية ، وان بوسع هذا التفاعل ان يكون اكثر انتاجا واثمارا ، ما فكروا بالدعوة الى تدارس الموضوع على هذا النحو . لقد كانت الحقيقة هنا تماشي الواقع . من اجل هذا شعرنا ببعض التقصير في ان المؤتمر لم يتدارس اثر الاحداث والنكبات ، كفلسطين والجزائر وبور سعيد ، في الادب الحديث ، ومن ثم في تعزيز الشعور القومي .

لقد حقق العرب ، في هذه السنوات الاخيرة ، عددا من الانتصارات التي نهضت على الوان من النضال والمقاومة والتضحية . ولم يقصر الادب في التعبير عن هذه الانتصارات وعن الصراع المرير الذي ادى اليها ، فاذا بين ايدينا آثار ادبية ان كان كثير منها يفتقر الى نضج التجربة الفنية ، فانه يمتاز بنضارة التجربة الحياتية وعنف الصدق واصالة الاحساس . ولا شك في ان لهذه الآثار ، شعرا كانت ام قصة ، فضل الرائد الذي يشق الطريق ويزيل الشوك . على ان اهمية هذه الآثار انما تعزى الى انها كشفت خطورة القومية العربية في رسالتها ، تلك الرسالة التي تهدف الى تحرير العرب وتوحيدهم ليسهموا من جديد في خلق حضارة انسانية واعية .

وقد كان من حق المؤتمر الثالث للادباء العرب ، بل من واجبه ، ان يعنى بتأريخ هذه الآثار واظهار اهميتها في تجلية القومية العربية .

*

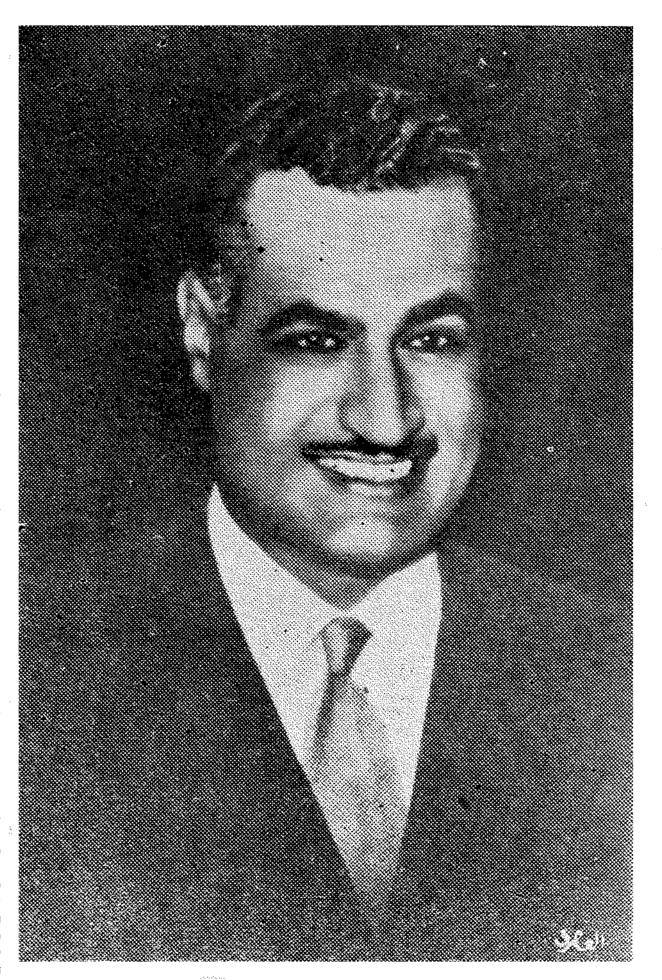
وبعد ، فقد طالما سمعنا ، عقب كل مؤتمر ادبي ، من يتساءل باخلاص او بخبث : هل كان المؤتمر ناجحا ؟ وهل تعتقدون ان التوصيات ستنفذ ؟

ونحن نعتقد بان كل مؤتمر ادبي ناجح ، سواء انفذت توصياته ام لم تنفذ . فحسب المؤتمرات الادبية ان يتلاقى فيها رجال الفكر ويتباحثوا شؤونهم باخلاص وتجرد . ولا شك في ان مؤتمري بيت مري وبلودان كانا ناجحين بمقدار ما يمكن للادب ان ينجح مؤتمرا . ولئن كانت توصيات هذين المؤتمرين لم تنفذ حتى الان ، فلا ريب في ان الالحاح عليها في المؤتمر الثالث وفي المؤتمرات التالية سيقودها الى صعيد التنفيذ . هذا من حيث التوصيات العملية القابلة للتنفيذ . اما التوصيات النظرية فلن تكون فعالة الا بقدر ما تستوحي الواقع الادبي وتكرس الجوانب المضيئة فيه ، وان في واقعنا الادبي لاضواء ان لم تكن باهرة ، فانها مشعة اشعاعا ينير الطريق ويومىء الى الغاية .

اما مؤتمرنا الثالث الذي التأم تحت شعار القومية العربية، فقد كان يؤمن بالالتزام الصحيح الذي نؤمن به ، الالتزام الذي لا يفرض على الاديب شيئا من الخارج ، بل يقوم على الاستجابة التلقائية التي لا بد ان تكون صادقة واعية اذا عاش صاحبها تجربة عصره بكل ابعادها . ولا شك في ان ادبه سيكون شاهدا على هذا العصر، وسيعكس همومه وشواغله ، وسيشكل مادة ثمينة ووسيلة فعالة لتطوير الحياة والمجتمع في الوطن العربي الكبير .



سهيل ادريس



حاجتنا إلى التحرر الفكري

للرئيس جمال عبد الناصر

القى الرئيس جمال عبد الناصر على الادباء اعضاء وفود الدول العربية المشتركة في مؤتمر الادباء العرب عند مقابلتهم لسيادته في القصر الجمهوري بالقبة يوم الاحد الموافق ١٥ من ديسمبر ١٩٥٧ الكلمة التالية :

يسعدني أن أرحب بكم في مصر باسم الشعب المصري ، الذي آمن بالقومية العربية ، والذي يؤمن بالتضامن العربي . وفي هذه المناسبة ... مناسبة اجتماع مؤتمر الادباء العرب ، اعتقد ان الشعوب العربية تنظر اليكم ، لانكم عامل أساسي من عوامل القومية العربية . ونحن في حاجة الى الوحدة الفكرية حتى ندعم هذا التضامن ، وحتى ندعم القومية العربية ، والتحرر الفكري ضروري لنا في هذا المجال ، في الحرب الباردة التي تحارب بكل الاسلحة . والادب والفكر سلاحان اساسيان في هذه الحرب . فأنتم قادة الفكر ، عليكم واجب أساسي في توضيح الامور ، وفي اقامة أدب عربي متحرر مستقل خال من السيطرة الاجنبية او التوجيه الاجنبي . وبهذا يمكن ان تساعدوا وان تعملوا فى سبيل التضامن العربي وفي تدعيم القومية العربية وتحقيق أهدافها ... وفقكم الله .

نداء إلى أدباء العالم

من المؤتمر الثالث للأدباء العرب

يا ادباء العالم

في هذا الظرف الذي يعصف فيه القلق بالضمير الانساني لان ثمة قوى غزو وعدوان تتشبث بأطماعها وجرائمها وتسلك في سبيل هذه الاطماع والجرائم مسلكا يزج بالدنيا في مجزرة شاملة وحريق هائل .

في هذا الظرف بالذات يتجلى عظيم الدور الذي تمثله امتنا العربية في انقاذ الانسانية وفي خدمة الحضارة والسلام .

ان الامة العربية التي تعود اليوم بوجه جديد الى مسرح التاريخ وتناضل الاستعمار في سبيل حقوقها المقدسة من حرية وسيادة ، تنزل من العالم موطنا لم يتعلم المستعمرون ان ينظروا اليه سوى نظرة الاقوياء المستبدين الذين يضطهدون اهليه ويسفكون دماءهم ويغصبون خيراتهم ، فمنذ سنوات ودولة اسرائيل التي اقامها الاستعمار في فلسطين فاغتصب وطنا من اهله وشرد مليون لاجيء بشيوخهم ونسائهم واطفالهم ، لا تزال تندق كالخنجر في كيان الشعب العربي ولا تزال تقوم كالمسدس في يد الاستعمار يوجهه الى حقوق العرب واما نيهم المشروعة المقدسة .

وامس شن المستعمرون الانكليز والفرنسيون والصهيونيون هجوما غادرا على جمهورية مصر العربية واعملوا التخريب الوحشي في كل ما امكن ان تصل اليه ايديهم الاثيمة قبل ان يطردوا خاسئين خاسرين .

وامس ايضا عاث الاستعمار الانكليزي بطشا وفسادا في عمان العربية بما هو معروف لديكم .

ولا يزال هذا الاستعمار يواصل ضغطه وعدوانه على اليمن العربية .

ويحرض الاستعمار الاميركي تركيا على تهديد الجمهورية السورية العربية لاكراهها على الارتداد عن طريقها العربي التحرري الذي اختارته لنفسها ولا يمكن ان تختار سواه .

ويواصل الاستعمار الفرنسي حربه الوحشية على الشعب الجزائري ، ينتهب ارضه ويسجن ويقتل احراره ويجرده من قوميته ويسد عليه طريق استقلاله وحريته بالحديد والنار ويستهدف ابادته .

فيا ادباء العالم ، ايها المعبرون عن ضمير الانسانية ، عن عظيم حرصها على الحضارة والسلام ، عن اصيل شوقها الى مستقبل اسعد للانسانية — ايها المناضلون الذين سمعنا لهم اصواتا في الدفاع عن مفكر واحد أهين، ومواطن فرد ظلم ، اننا نحييكم ، نحيي سهركم على قيم الجمال والخير والحق ، وفي الوقت الذي نشكر فيه لبعضكم دفاعه الكريم عن حقوقنا ، نهيب بكم جميعا ان تنطلقوا بصوت واحد في تأييدنضالنا ضد العدوان الاستعماري بجميع صوره وأن تدركوا أن القضية ليست هي قضية تحررنا وسيادتنا واستقلالنا فقط ولا هي قضية حق نظري مجرد لشعب من الشعوب وانما هي ايضا قضية الحضارة والانسانية والسلام العالمي .

فالاستعمار ما برح يعتبر ارضنا ميدانا له يتحكم فيه ويستعمله موقدا للنار ، نار حرب عالمية ، يهيء لها مغامرة جنونية انتحارية تعرض التراث الانساني كله للدمار .

ان ارضنا هي وطن لنا لا فراغ فيه يملأه المستعمرون ، وطن نريده حرا سيدا يبني فيه شعبنا العربي حياته السعيدة الجديدة ويمضي في خدمة الحضارة والحق والسلام .

وطن لنا لا نريده منطقة نفوذ لاحد ، نصادق من عرف لنا حقنا ولا نعادي الا من ينكر هذا الحق .

فاذا ضممتم صوتكم ايها الاحرار الى نضالنا القاسي المرير فساعدتمونا في زجر المستعمرين والمعتدين عن تنكيلهم الوحشي ببقاع عزيزة من صميم وطننا : الجزائر ، وفلسطين ، واليمن ، وعمان، اديتم خدمة جليلة للانسانية وقمتم باحتمال اخطر جانب من رسالتكم في هذا العصر ...

توصيات

المؤتمر الثالث للأدباء العرب

اولا : بيان

ان الادباء العرب المجتمعين في المؤتمر الثالث المنعقد في القاهرة من ٩ – ١٥ ديسمبر ١٩٥٧ (كانون الاول) لبحث موضوع الادب والقومية العربية يعلنون ايمانهم بما يلي :

أن القومية العربية حقيقة نابعة من اعماق الذات العربية، ومن تفكير كل عربي وشعوره اينما كان منزله ، وهي تعبير عن شخصية الامة العربية في امانيها وحاجاتها ومصالحها وما هو قائم بين ابناء العروبة من اواصر التاريخ والموطن والتراث الثقافي واللغة الواحدة والمصير المشترك ، كما انها اعراب عن عزم نضالي من اجل حرية الامة العربية ووحدتها لتستطيع ان تسهم اسهاما فعالا في بناء عالم متحرر من آفات الاستعمار ومآثم العدوان ونزعات الطغيان وفي حماية الحضارة الانسانية وتنميتها .

والقومية العربية في سبيلها الى تحقيق هذه الاهداف عمل صادق لبناء مجتمع عربي متطور اساسه الحرية والعدل الاجتماعي يتمكن فيه الشعب من ممارسة ارادته ، واستثمار موارد ثروته ورفع مستواه ، والتمتع بحياة عزيزة كريمة في جو من الطمأنينة والامن .

والقومية العربية ، بما لها من اهداف سامية عليا ، نزوع انساني نحو تحقيق مثل خلقية رفيعة في المدى القومي والمجال الانساني مبرئة نفسها من كل لوثة عصبية سواء اكانت طائفية ام عنصرية ام اقليمية ، وهي بذلك تحمل في صميم دعوتها بذور الخير والحق والسلام ، لا تستهدف غير ما تقضي به حرية الامة العربية وسيادتها وسلامة ارضها .

***

ثانيا : الادب والقومية العربية

وان القومية العربية المعتزة بتراثها الادبي تريد لادبها ان يكون حارسا للقومية العربية وموجها لها ، يسمو بها الى ما يغني الفكر ويرهف الشعور ويدفع الى عمل .

ولذلك يحرص المؤتمر على ان يتواصى الادباء بالعمل على :

– التعبير الصادق عن تجارب أمتهم ومواطنيهم تعبيرا يبرز خصائصهم القومية ويصور حياتهم وما يختلج فيها من آلام وآمال ويغذي وجدانهم بالقيم القومية والانسانية ويرود نضالهم في سبيل الوحدة الشاملة والتحرر الكامل .

٢ – الحرص على ان تكون عناية الاديب بماضيه وحاضره سبيلا الى مستقبل افضل لوطنه وقومه .

٣ – الحرص على ان تتوفر في الاثار الادبية القيم الفنية والجمالية .

***

ثالثا : الشعر والقومية العربية :

الشعر ارث قومي ثمين ، ويجب ان يأخذ هذا الارث مكانه في الثقافة الادبية العامة وفي ثقافة الشعراء بوجه خاص .

ولذلك يوصي المؤتمر :

١ – العناية بهذا التراث والاستفادة منه وكسب التجارب الجديدة له حتى يتمكن من التعبير عن حياتنا القومية المتطلعة المتطورة .

٢ – العمل على نشر ما لم ينشر من هذا التراث في طبعات شعبية في متناول ايدي عامة القراء .

٣ – العمل على اعادة نشر ما يتعذر الحصول عليه في طبعات شعبية في متناول ايدي عامة القراء .

٤ – تيسير التعريف به عن طريق العرض والشرح والتقريب .

٥ – تأكيد اهمية هذا الشعر في برامج الدراسة المختلفة .

٦ – نشر مجموعات مختارة من الشعر القومي .

***

رابعا : النشر والقومية العربية

للنثر العربي بما توافر له من وسائل النشر والاذاعة وبتنوع الاشكال الجديدة التي اتخذها في القصة والرواية والمسرحية والمقالة والتأليف على اختلاف موضوعاته اثر بليغ في توجيه حياة الشعوب وفي تكوين الاجيال الفتية والناشئة ، ولذلك يوصي المؤتمر بالآتي :

– ان تعنى الاثار النثرية بتقوية الوعي القومي وارهاف الشعور واستشراف الغايات الانسانية واستلهام القيم الروحية السامية وايثار الخير العام مع الحرص على الاتقان والاجادة الفنية .

٢ ــ ان يعنى الناثرون بابراز السمات الايجابية في الشخصيات والنماذج التي يصورونها بخاصة تلك التي تعبر عن القيم العربية .

٣ ــ ان تكون اللغة العربية الفصيحة هي اداة هذا النثر بكل اشكاله .

خامسا : النقد والقومية العربية

يستطيع الناقد في المرحلة الحاضرة من حياة الامة العربية ان يشارك مشاركة فعالة في التوجيه القومي بتجلية القيم الفنية والاشادة بالخصائص القومية والمثل الانسانية وتعريف القراء بها .

ولذلك يوصي المؤتمر بالآتي :

١ ــ ان يأخذ الناقدون انفسهم بالجد في أداء مهمتهم في عمق ونزاهة .

٢ ــ ترجمة الاثار النقدية القيمة .

٣ ــ توحيد المصطلحات الفنية في النقد العربي .

٤ ــ انشاء مجلة يكون من مهمتها الاساسية حصر الانتاج الادبي وعرضه وتقييمه والاهتمام بالمباحث النقدية وتأصيل مفاهيمه واشاعة روح الموضوعية فيه .

سادسا : حماية الاديب والقومية العربية

١ ــ يوصي المؤتمر الحكومات العربية بالعمل على تعميم وتنفيذ المادة الخاصة بحماية الملكية الادبية المنصوص عليها في اتفاقية الوحدة الثقافية العربية .

٢ ــ يناشد المؤتمر الحكومات العربية ان توفر للادباء العرب حريتهم وتحفظ كرامتهم وترفع عن المضطهدين منهم ، كل ما يحول بينهم وبين اداء رسالتهم .

٣ ــ يوصي المؤتمر الكتاب العرب الا يتعاونوا مع دور النشر التي تسيء الى رسالة الادب والحرية والقومية العربية لنشر كتب الدعاية الاستعمارية والتفرقة والتعصب .

٤ ــ يوصي المؤتمر باطلاق حرية النقل للكتاب العربي ورفع ما يعوق انتشاره بين البلاد العربية .

سابعا : توصيات عامة

١ ــ يوصي المؤتمر بتخصيص جائزة للنتاج الادبي ذي القيمة الفنية الذي يهدف الى خدمة الحركة القومية ويعبر عن النوازع الخيرة في النفس العربية والانسانية وتوزع على الادباء العرب في كل دورة من دورات المؤتمر .

٢ ــ يوصي المؤتمر باقامة مهرجانات ادبية في البلاد المختلفة للادباء الذين اغنوا التراث العربي واغتنام هذه الفرص لتأصيل الروح الادبية والاهداف القومية .

٣ ــ يوصي المؤتمر بعقد ندوات واجتماعات خاصة في الالوان الادبية المختلفة للتعارف والتعاون وتبادل الخبرة بين الادباء العرب .

٤ ــ يوصي المؤتمر برعاية حركة الترجمة وعونها المادي والادبي والمعنوي حتى تكون سبيلا لتعزيز النتاج الادبي وانمائه ، والتفاعل بين الادب العربي والاداب العالمية .

٥ ــ يوصي المؤتمر باشاعة التدريس باللغة العربية الفصيحة في مراحل الدراسة .

٦ ــ يوصي المؤتمر المجامع العلمية باستخلاص الفصيح السليم من العامي الذائع واشاعته في الاستعمال اللغوي وتصحيح ما يمكن تصحيحه واجازة ما تصح اجازته لاستكمال اسباب التمكن من اللغة الفصيحة .

٧ ــ يوصي المؤتمر اتحاد الادباء عند تكوينه بأن يعمل على توثيق الصلة بينه وبين سائر الاتحادات الادبية التي تستهدف مثل اهدافه .

٨ ــ يوصي المؤتمر بانشاء كتاب عن القومية العربية .

٩ ــ يوصي المؤتمر بتسهيل تبادل زيارات الادباء بين البلاد العربية .

١٠ ــ يوصي المؤتمر بانشاء مركز عام عربي للترجمة من اللغة العربية الى اللغة الاجنبية .

١١ ــ يوصي المؤتمر بانشاء مركز عربي عام لتنسيق اعمال الترجمة من اللغة الاجنبية الى اللغة العربية .

١٢ ــ يوصي المؤتمر بتوصية الحكومات والهيئات العامة بالعمل سريعا لتوسيع القاعدة القارئة حتى يتضاعف عدد القراء .

١٣ ــ يوصي المؤتمر بانشاء مجلة ادبية تكون لسانا لاتحاد الادباء

١٤ ــ يوصي المؤتمر بالعناية بادب الاطفال .

الأدباء..
هم بناة القومية العربية

بقلم الدكتور طه حسين

سمعت الان من السيد الاستاذ الذي يدير هذه الجلسة (*) سمعت ان الشعر اداة للقومية العربية . واني استأذن الاستاذ في ان الاحظ ان الشعر ليس اداة لشيء ،وأن الشعر هو منشىء القومية العربية اولا ... وهو الذي شارك في تكوينها وتقويتها بعد ان كونها القرآن ، وأن الادب هو الذي اتاح لهذه القومية العربية ان تنمو وتزكو وتملأ الارض علما وثقافة ونورا . فواجب الادب بالقياس للقومية العربية هو ان يكون ، لا أداة لهذه القومية ، وانما وفيا لهذه القومية ، يؤدي ما كان يؤديه في العصور الاولى وما زال يؤديه في هذا العصر ...

وموضوع الحديث الذي اريد ان اشرف بالقائه الان بين ايديكم هو هذا : هو تأثير الادب في تقوية القومية العربية وتنميتها بعد ان كونها الاسلام وتأثير الادب في محاولة تكوينها قبل ظهور الاسلام .. والواقع – سيداتي وسادتي – ان الامة العربية من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها ، كانت في العصر الجاهلي مختلفة اشد الاختلاف : قوام حياتها الخصام والعدوان والغارات والنهب والسلب ، ولم يكن يجمعها في هذا العصر الجاهلي الا لغتها على اختلاف شديد في لهجات هذه اللغة ، وانما الذي استطاع ان يؤلف شيئا ما بين هذه القبائل المتفرقة هو الشعر الذي لم يكد ينشأ حتى فرض لهجة بعينها على الامة العربية كلها في جميع اطرافها واقطارها من الجزيرة العربية ، فكان الشاعر العربي اذا انشأ قصيدة وانشدها في مجموعة من المجاميع ، فهمها عنه الناس مهما تكن قبائلهم ، ومهما تكن لهجاتهم او لغاتهم الخاصة .. ثم لم يكتفوا بفهمها وانما كان الرواد يتناقلونها عن الشعراء،وكانت القصيدة لا تكاد تنشد حتى تشيع في الجزيرة العربية ويحفظها كثير من الرواد في الاقطار المختلفة من اقطار الجزيرة . فأول توحيد للعقل العربي انما جاء من هذه الناحية .. من هذا اللسان الذي اتاح للغة العربية في العصر الجاهلي ان تكون لغة اجتماعية ، وأن تكون لغة تستطيع القبائل – على تباعدها واختلافها وخصومتها – ان يفهم بعضها البعض ، وأن يشعر بعضها بما يشعر به البعض الآخر .. فالمكون الاول في المحاولة لايجاد وحدة لهذه القبائل العربية ، انما هو الادب والشعر من الادب بنوع خاص ، لانه هو الذي سبق الى الوجود ولم يوجد اخوه النثر الا بعد عصور تطاولت قليلا ..

– والقومية العربية ، اذا اردنا ان نعرف متى تكونت بالمعنى الدقيق لكلمة القومية ، فينبغي ان نردها الى ظهور الاسلام – فالمكون الحقيقي للوحدة العربية بجميع انواعها وفروعها: الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية ايضا، انما هو النبي صلى عليه وسلم ... هو الذي جاء بالقرآن ودعا الى الحق واجتمع حوله الاقلون من اصحابه .وجعل الاقلون يكثرون شيئا فشيئا حتى كانت الهجرة وحتى أسست اول مدينة اسلامية او بعبارة أدق ، اول مدينة عربية منظمة عرفها التاريخ . ولا أذكر اليمن القديمة لاني لا اكاد اعرف من حضارتها ونظمها شيئا ،وانما المدينة الاولى التي عرفها التاريخ والتي تكونت فيهاالنواة الاسلامية للقومية العربية هي مدينة (يثرب) بعد انهاجر النبي اليها مع اصحابه من « قريش » . ومن هذه الوحدة الضئيلة الصغيرة في هذه المدينة التي لم تكن خالصةلاهلها من العرب وانما كان اليهود يشاركونهم فيها .. من هذه الوحدة الضئيلة اليسيرة التي كان من ايسر الاشياء ان يتخطفها العرب من حولها ، لولا ان الله أيد رسوله وأيد المدينة برسوله .. من هذه الوحدة ، جعل الاتحاد العربي ينمو قليلا ، باللين حينا ، وبالعنف وبالشدة حينا آخر .. ولم ينتقل النبي الى جوار ربه الا وقد تمت وحدة الجزيرة العربية ، ووجدت قومية عربية منظمة لها قانونها وهو القرآن ، ولها نظامها السياسي الذي يقوم على ما دعا اليه القرآن من العدل والانصاف والمساواة بين الناس ولها حكامها المنظمون والمنظمون ايضا ، الذين لا يستأثرون على احد ، ولا يؤثرون انفسهم بخير ، وانما هم خدم للامة العربية ، ينشرون بينها العدل ويعلمونها شرائع الدين ، ويهيئونها لاداء واجبها الانساني العظيم . وبعد ان أتم النبي توحيد الامة العربية ونهض خلفاؤه من بعده ، جعلت هذه القومية العربية تتجاوز الجزيرة العربية الى الاقطار الاخرى، وأول هذه الاقطار التي انتشرت او التي تجاوزت العروبة جزيرتها اليها ، ينبغي أن نلاحظ انها كانت اقطارا قد

(*) هو الاستاذ محمد محمد علي عضو وفد السودان الى مؤتمر الادباء الثالث (الاداب)



استعربت شيئا ما في العصر الجاهلي . فأول ما خرج العرب من جزيرتهم غزاة فاتحين يريدون ان ينشروا الاسلام ويدعوا الى دين الله ، ذهبوا الى العراق والى الشام ... وكان الشام قد استعرب قبل الاسلام ، لا على الحدود بينه وبين الجزيرة العربية فحسب حيث كان الغسانيون يقيمون، بل الى داخل البلاد الشامية ، وكانت بعض القبائل العربية قد انتشرت في الشام قبل الاسلام ، وتأثرت بالحياة التي كان الناس يحيونها في هذا القطر ، وهي حياة الروم وتدينت بالدين الذي كان الروم يدينون به وهو النصرانية . والعراق كان قد سبق اليه العرب في الجاهلية وتأثروا الى حد ما بالمسيحية التي جاءتهم من الجزيرة ، وتأثروا الى حد ما بسياسة الفرس ولم يستطيعوا ان يستقلوا بازاء الفرس كما لم يستطع الغسانيون في الشام ان يستقلوا بازاء كثرة الروم .

فكان العرب في العراق ، وكان العرب في الشام حماة لحدود الامبراطورية الرومانية في الشام وحماة لحدود الامبراطورية الفارسية في العراق ..

ولم يكن الفتح الاسلامي في اول امره الا يسيرا عندما التقى بهذه العناصر المستعربة في الشام وفي العراق ،ولكن عندما اهتم الفرس من جهة واهتم الروم من جهة اخرى بهذا السيل الذي جعل يتدفق على الشام وعلى العراق ، اصبحت القومية العربية امام واجب خطير وهو ان تقف موقف الخصومة والنزاع من هاتين الدولتين العظيمتين الامبراطورية البيزنطية في الشام والامبراطورية الفارسية في العراق..

هنا انتصرت الومية العربية في هذين القطرين في الشام وفي العراق ، ولكنها لم تقف عند هذا الحد وانما تجاوزته الى بلاد لم يكن لها بالعروبة عهد من قبل .. تجاوزتها الى مصر في المغرب والى الفرس والبلاد الفارسية في المشرق وانتصرت على الروم في مصر كما انتصرت على الفرس في بلادهم ، وأدالت دولتهم ، ثم انتصرت على الروم بعد ذلك في شمال افريقية ، واستقرت العروبة في شمال افريقية بعد خطوب شداد ، ثم تجاوزت افريقية الى القارة الثالثة التي لم يكن العرب يعرفونها قبل الاسلام وهي القارة الاوروبية ، ففتحت الاندلس واستقر العرب في اسبانيا كما استقروا في افريقية وكما استقروا في شرق الدولة الاسلامية في بلاد الفرس ووصلوا الى اطراف المعمورة.. منذ ذلك اليوم تعقدت القومية العربية .. لم تصبح امة تعيش في وطنها الذي نشأت فيه خالصا لها هذا الوطن، وخالصة هي لهذا الوطن وانما اصبحت امة تجاوزت وطنها وبيئتها ونزلت الى اوطان وبيئات لم تكن تعرفها هي ، ولم تكن هذه الاوطان والبيئات تعرف عنها الا الشيء القليل .. وأغرب ما تمتاز به هذه القومية العربية ، هو انها عندما استقرت في هذه البلاد التي افتتحتها وحاولت أن تستقر فيها ، عندما اتيح لها هذا النوع من الاستقرار ، لم تكتف به، ولم تكتف بأن تستقر في الشام حكومة متسلطة او في بلاد الفرس كذلك – لم تكتف بامتلاك الارض ، ولم تكتف باخضاع الناس للسلطان لانها لم تكن تريد أن تملك الارض ولم تكن تريد ان تخضع الناس بسيطرة سياسية فحسب ، وانما كانت غايتها قبل كل شيء – ان تملك القلوب وان تسيطر على الضمائر وان تدخل في اعماق الوجدان في البلاد التي تفتحها وتستقر فيها ، وبشرط ان يكون هذا كله دون اكراه او عنف . واذن ينبغي أن يأتي هذا بطبعه من نفسه من غير محاولة عنيفة ، بل من غير محاولة في اكثر الاحيان .. فبعد ان غلب المسلمون ضمن العرب على هذه البلاد ، لم يفرضوا على بلد من هذه البلاد لغتهم ، ولم يفرضوا عليها دينهم ، لانهم اكتفوا منها بالاصول التي قررها الاسلام وهي الاسلام لمن اراد ان يسلم عن رضى او اداء الجزية .

والغريب ان هؤلاء العرب الذين كانوا يطمحون الى حكم الاسلام ويطمحون الى ان يصلوا الى اعماق القلوب والضمائر والوجدان دون اكراه ودونا ي محاولة للاكراه .. الغريب انهم ظفروا بكل ما كانوا يريدون في ايسر اليسر وأسهل السهل ، فلسنا نعرف أن احدا اكره احدا على ان يسلم بعد الفتح وانما الذي نعرفه هو ان كثيرا من المعربين مثلا كانوا يريدون ان يسلموا وكان بعض الولاة من ولاة بني امية يكرهون منهم ذلك ، مخافة ان تنقص الجزية ومخافة ان ينقص ما كان يجب أن يرسلوه من دمشق الى الخراج . وكان كثير من المصريين يحاولون الاسلام وكان امراؤهم

وولاتهم يأبون عليهم الاسلام ..

ومن اجل هذا كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض ولاته يقول « انما ارسلتم مبشرين لا جباة » .

اذن فقد اسرع الاسلام الى القلوب والعقول والضمائر والوجدان ، ثم لم يسرع الاسلام وحده ، فالاسلام انما هو مشتق قبل كل شيء من القرآن ، ومن حديث النبي . القرآن عربي وحديث النبي عربي والذين يسلمون ويستطيعون ان يتعلموا الاسلام دون أن يعرفوا العربية لم يكونوا يكتفون بأن يعرفوا قواعد الاسلام وأصوله وانما هم في حاجة الى ان يؤدوا هذا الفرض الاساسي من فرائض الاسلام وهو الصلاة ، وهم في حاجة الى ان يعرفوا اصل هذا الاسلام وهو القرآن ، فما اسرع ما انتشرت اللغة العربية بينهم .. وأغرب من هذا كله ، أن قرنا وبعض قرن مضى بعد الفتح ، واذا هذة البلاد التي فتحت والتي بقي فيها اهلها ، اسلم من اسلم منهم ، وبقي على دينه من بقي منهم على دينه — اذا هذه البلاد قد اخذت تتعلم العربية وتتقنها سواء منها المسلم او غير المسلم ، وربما كان غير المسلمين اشد حرصا على تعلم اللغة واتقانها .

وفي نصف القرن الاول — اي قبل ان يمضي نصف قرن على فتح الفرس مثلا — كان بعض الفرس قد اتقنوا العربية وبرعوا فيها ، واخذوا يناقشون العرب في الشعر العربي نفسه ووجد في ايام بني امية شعراء يقولون الشعر ، كأفصح ما يكون الشعر في اللغة العربية وأصولهم فارسية لم يعرفوا اللغة العربية الا بعد ان اسلموا وبعد ان قاموا مجاورين للعرب في بلادهم او في جزيرة العرب نفسها .

ولم يكد القرن الثاني ينتهي حتى ننظر الى القومية العربية فنرى عجبا من العجب . نرى مهد القومية العربية قد هجر او كاد يهجر ، ونرى الجزيرة العربية قد عادت اوصالها الى بدواتها القديمة ، وظلت المدينة ومكة محتفظتين بما كان يدرس فيهما من الدين والعلم ، ولكن البيئات القديمة البدوية في نجد عادت الى بداوتها وعادت الى شيء كثير من عزلتها القديمة وكادت الصلة تقطع بينها وبين البلاد الاخرى ، واذا القومية العربية ليست في الجزيرة وحدها ، وانما هي قبل كل شيء — في هذه البلاد التي فتحت ، والتي امتزج فيها العرب بغيرهم من سكان البلاد الاصليين .

ومعنى هذا خطير كل الخطورة ، فهؤلاء السكان كانوا يتكلمون لغات مختلفة جدا .. وكان الفرس يتكلمون لغتهم الفهلوية ، وكانت للشام لغات سامية وكذلك في العراق وفي الجزيرة وكان المصريون يتكلمون لغتهم القبطية . وكانت لغة الثقافة والسياسة هي اللغة الفارسية ، ولغة الثقافة والسياسة في شمال افريقية وفي اسبانيا كانت هي اللغة اللاتينية .

وننظر في اواخر القرن الثاني ، فاذا كل هذه اللغات قد تركت أماكنها من ألسنة الناس وعقولهم وقلوبهم لهذه اللغة العربية .. فالفرس يتكلمون اللغة العربية ويكتبونها ويزاحمون العرب انفسهم فيزحمونهم اذا الفرس هم الذين يضعون كتب أصول النحو العربي ، واذا هم يعنون بجمع اللغة العربية وتدوينها . يشاركون العرب في هذا كله ويغلبونهم عليه احيانا . واللغات السامية التي كان الناس يتكلمونها في سوريا ويتكلمونها في الجزيرة ويتكلمونها في العراق ، عادت كلها الى الاديرة ، وأصبح الناس يتكلمون اللغة العربية ، واللغة العربية بطبيعتها اصبحت لغة السياسة ما دام الحكام عربا ، ولكن اللغة السياسية هذه التي يتكلمها الناس لم تلبث ان اصبحت لغة الثقافة والعلم ايضا ...

واذن هناك قومية عربية جديدة انشأها الاسلام ، لم تكن تأتلف من عنصر عربي خالص وانما كانت تأتلف من جميع هذه العناصر التي رأيتموها ، من العناصر التي كانت تسكن كل هذه البلاد . فأنشأ الاسلام اذن امة جديدة وجعل هذه الامة عربية : عربية اللغة وعربية التفكير والشعور .. عربية الحضارة وعربية العلم والثقافة والادب .

ومن غريب الظواهر الادبية التي تلاحظونها في حياة هذه القومية الجديدة التي انشأها الاسلام — والتي الغى فيها الفروق بين الاجناس ، وألغى فيها أن يكون لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى . من اغرب الظواهر التي ترونها ، ان الشعراء الذين استأثروا بالشعر وامتازوا فيه ، وأصبحوا هم السنة الامة العربية بمعناها الجديد ، لم يكن منهم شاعر عربي خالص .. كان بعضهم فارسيا وبعضهم نبطيا وبعضهم يونانيا .. لم يكن منهم شاعر عربي خالص وانما كانوا جميعا من هذه الامم التي استعربت وأعربت عن شعورها القديم وعن عقولها القديمة وعن وجدانها القديم في الشعر العربي والعقل العربي والوجدان العربي .

وكانت اللغة اليونانية قد سادت في الشرق الذي نسميه الان بالشرق العربي وبنوع خاص في مصر والشام والجزيرة ، ولكنها لم تستطع ان تمحو هذه اللغات الوطنية ، فظل المصريون يتكلمون لغتهم القبطية وظل اهل الشام يتكلمون لغتهم السامية والارامية وظل أهل الجزيرة والعراق كذلك ، وكانت اللغة اللاتينية سائدة في شمال افريقية وفي اسبانيا ، ولكنها لم تستطع أن تقهر لغة البربر في شمال افريقية ، ولا ان تقهر الاسبانيين على ان يتركوا لغتهم الوطنية الاولى . ولكن اللغة العربية جاءت فقهرت اليونانية وقهرت معها اللغات الوطنية ايضا وقهرت اللاتينية في المغرب وقهرت معها اللغات الوطنية ايضا وقهرت اللغة الفارسية اربعة قرون تقريبا .

كل هذا ان دل على شيء فانما يدلكم على قوة اللغة العربية وقوة الطبيعة العربية ، وقوة هذا الدين الذي كان هو العامل او المؤثر الاول في انتشار العرب خارج جزيرتهم ، ثم في تكوين هذه الامة العربية الجديدة ... ومن المحقق أن البلاد التي يتألف منها العالم العربي الحديث لا يمكن ان تكون مؤلفة من عناصر عربية خالصة الى عدنان وقحطان ، وانما هي عربية بلغتها ، عربية بشعورها وعقلها ووجدانها ، وعربية بدينها سواء أكان هذا الدين اسلاما ام كان نصرانيا .. هي عربية بهذا كله .. آثرت العروبة على غيرها وأصبحت

امة عربية جديدة كونها الاسلام وكونها دون اكراه او ارغام او عنف ، فتكونت بهذه الوسيلة وبهذا اليسر .. واخص مزايا هذه القومية العربية أنها حرة متسامحة ، وانها مفتوحة الابواب لا مغلقتها وانها متعاونة مع الذين يحبون ان يتعاونوا معها ، فهي قبلت الثقافات الاجنبية في عصورها الاسلامية الاولى .. قبلت ثقافة الهند والفرس واليونان، وقبلت كثيرا جدا من الثقافات السامية القديمة ، ومن ثقافة المصريين القدماء ... قبلت هذا كله واساغته وجعلته عربيا، ثم لم تكتف بهذا ولم تستأثر به من دون الانسانية المتحضرة ولكنها جعلت تنشر ما تستطيع ان تنشره من هذا كله في الشرق والغرب جميعا فأثرت بثقافاتها العربية الجديدة في الشرق وفي الهند وفي بلاد الصين ، وأثرت بثقافاتها العربية الجديدة في اوروبا وفي الغرب .. وفي اوروبا لم تؤثر بعلمها وفلسفتها فحسب ، ولكنها أثرت بعلمها وشعورها ، وأثرت بشعورها ايضا ، وهي التي علمت الشعراء الفرنسيين في القرون الوسطى ان يقولوا ذلك الشعر الذي كانوا ينتقلون به بين المدن في فرنسا .

هذه ايها السادة هي القومية العربية كونها او حاول تكوينها الشعر اول الامر ثم كونها القرآن آخر الامر ، ثم جعلت تفرض نفسها في غير عنف ولا اكراه على العالم القديم حتى احتلت مكانة الامبراطورية الرومانية واحتلت مكانة الدولة الفارسية وهي الان بعد أن عدت عليها الخطوب وبعد ان الحفت عليها الكوارث ، وبعد ان الح عليها الترك بنوع خاص في عصور مختلفة من حياتهم ، وبعد ان اضطرت الى الخمول والى الضعف ، ظلت على الرغم من هذا كله محتفظة بقوميتها ، محتفظة بلغتها وعقليتها وشعورها وكل ما يميزها .. ظلت محتفظة بهذا كله . وقد عرضت لها الخطوب المختلفة ، فانقسمت واستقل بعضها عن بعض ونشأ فيها دول ، برغم هذا ظلت واحدة .. واحدة في الشعور وواحدة في التفكير وواحدة في الآلام وواحدة في الامال .

وصدقوني ايها السادة — ولا تظنوا اني اريد ان اغركم عن انفسكم ، ان كانت الامة العربية قد اخذت الان تنهض واخذت تعرف نفسها ، واخذت تعرف حقوقها وتعرف واجباتها فالفضل في هذا كله انما يرجع الى الادب والى الادب وحده .

ما الذي انشأ النهضة الحديثة في هذه البلاد العربية ؟ هو انها التقت بالغرب ، وعرفت حياة غربية لم تكن تعرفها. كان الترك العثمانيون قد قطعوا كل صلة بينها وبين العالم الخارجي فلم تكن تعرف الغرب ولا تكاد تسمع به وكاد الغرب هو نفسه ان ينساها . اضطرت بمقتضى الحوادث التي حدثت في اواخر القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر الى ان تعرف اوروبا ، فرأت الوانا من الحياة جديدة وأرادت ان تعرف من هذه الحياة شيئا ، فجعلت تتعلم اللغات الاوروبية واذا هي تعرف المطبعة ، ولم تكد تعرف المطبعة حتى ذكرت ان لها كتبا قديمة مكدسة في المساجد وفي الكنائس والاديرة واذا هي تأخذ في نشر هذه الكتب وكان احياء الادب العربي القديم بفضل المطبعة كان الاتصال بالحياة الغربية الحديثة .. ضمن هذين التيارين نشأت ثقافة جديدة في هذه البلاد العربية .. من الذي انشأها ؟ هؤلاء الافراد الذين تعلموا والذين كانوا يقرأون الكتب القديمة وينشرونها ويتعلمون اللغات الحديثة ويترجمون منها والذين كانوا يذيعون العلم والادب في بلادهم وفي البلاد المجاورة ومن هؤلاء القوم ومن هؤلاء الناس ؟ انهم هم طليعة الادباء المعاصرين

وثقوا ايها السادة ان هذه النهضة ما كانت لتنهض وما كانت لتؤتي ثمرتها وما كانت لتنشأ عنها هذه الدول الجديدة وهذه الحياة العربية الجديدة ، لولا المثقفون والادباء سواء منهم الشعراء والناثرون .. لولا هؤلاء ، ما نهضت البلاد العربية .

والاغرب من هذا ، ان كل الاحداث الكبار التي نشأت عن هذه النهضة وما حدث في البلاد العربية على اختلافها من هذه الاحداث التي هزتها ومن هذه الثورة العرابية في مصر والثورة التي نحن فيها الان في مصر والثورة على الفرنسيين في الشام وفي الجزائر وعلى الانجليز في العراق ..

الشيء الذي استطيع ان اؤكده لحضراتكم وانا مطمئن الى اني لا اتجاوز الحق هو أن كل هذه الاحداث انما انشأتها الثقافة وأنشأها الادب ، والمؤسسون الحقيقيون لكل هذه الثورات انما هم الادباء والشعراء ولا شيء غير هؤلاء .

الادباء ايها السادة هم الذين احسوا آلام الشعوب وهم الذين صوروا هذه الآلام وهم الذين اشعروا الشعوب بحقوقها وعلموها واجباتها ورسموا لها طريقها الى مثلها العليا وهم الذين سبقوا الى آمال هذه الشعوب فصوروها وزينوها وحببوها الى الشعوب . والذين قاموا بالتنفيذ ، وقاموا بالحركات الثورية العملية ليسوا — في حقيقة الامر — الا تلاميذ هؤلاء المثقفين وهؤلاء الادباء .

وقد تقولون اني لم احدثكم الى الان عن الادب والقومية العربية ، وان كنت انا اعتقد اني لم احدثكم الا في هذا الموضوع فكل ما قلته لكم منذ آن بدأت الحديث على طوله الى الان ، ينتهي الى شيء واحد وهو أن القومية العربية مدينة بوجودها وقوتها ونموها للادب العربي وان القومية العربية الحديثة مدينة بنهضتها وقوتها وبهذه الامال العراض التي تطمح اليها للادب العربي الحديث . ومعنى هذا ان الادب يجب ان يكون وفيا لنفسه يؤدي واجبه في العصر الحديث كما اداه في العصور المختلفة لان طبيعة الحياة هي القوة والذكاء وليست هي الجمود والاستقرار ، فاذا كان الادب قد ادى واجباته الى الان ، فينبغي ان يؤدي هذه الواجبات في تقوية القومية العربية وتكوين هذه الوحدة العربية التي ورثها العرب عن اسلافهم وعن آبائهم الاول .. تكوين هذه الوحدة التي اضاعتها الاحداث والخطوب ..

ويجب ان تعود ويجب ان تتم ويجب ان تقوى ويجب ان تكون الامة العربية واحدة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ،وان يكون العرب كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وان لا يذهب العرب هذه المذاهب المتفرقة : قوم يخلصون للفكرة العربية ، وآخرون يخلصون ببعض قلوبهم ولا يخلصون بها كلها .. كل هذا يجب ان يزول والوحدة العربية يجب ان تتحقق ، وليس الى تحقيقها الصحيح من سبيل ألا ان ينهض بها الادباء ، هم بناة القومية العربية وهم الحفظة عليها وعلى نموها وقوتها ، وهم الذين اخذوا يكونون هذه الوحدة وعليهم ان لا يريحوا ولا يستريحوا حتى يتم تكوين هذه الوحدة وحتى تمضي الامة العربية في طريقها الى الحياة الراقية المجيدة السعيدة كما ينبغي لها ان تحيا وكما ينبغي لها . ان تعيش في هذه الايام التي يملأها القلق ويملأها الاضطراب

ايها السادة لا تنتظروا مني ان اتحدث أليكم بالتفصيل عما فعل الشعر في هذا العصر او ذاك او عما فعل النثر في هذا العصر او ذاك فلسنا هنا في جامعة ولست القي عليكم درسا في الادب او درسا فيما شئتم من الموضوعات وانما اريد ان يكون هذا الاجتماع او هذا المؤتمر الذي اشرف بالحديث اليه الان والذي اتيح له ان يجتمع في مدينة القاهرة ، اريد ان يكون مؤتمرا ينصرف ويتفرغ اعضاؤه وقد استشعرت قلوبهم هذه القوة التي ليس منها بد وهي التي تأتي من علمهم بأنهم هم الذين عليهم قبل كل شيء بناء الحياة العربية الجديدة ، فان نهضوا بها فذاك وان لم ينهضوا بها كما ينبغي فعليهم وعليهم وحدهم تبعة هذا التقصير .

طه حسين



رسالة القومية العربية

بقلم فؤاد الشايب

ان الوفد السوري الى مؤتمر الادباء العرب ، ليسعد ان يصيب حظين اثنين من هذا المؤتمر : ان مقره في القاهرة العظيمة ، وان موضوعه القومية العربية . ففي هذه المدينة التي قهرت بالأمس القريب ، جحافل الغزو ، وما تزال ماثلة امامنا وعلى اقدامها غبار المعركة ، يطيب الموضوع لكل اديب وباحث ومثقف ، بما توفر له من شواهد وتحدر له من روافد، وتوحي له من اخيلة وصور لانها المدينة التي رفعت امجاد امة على اكتاف ثورة ، واخرجت الاغنية الجميلة في لهوات الشعراء واقعا حيا وكيانا رائع الفتوة والجمال . انها المدينة التي حولت بكفها القادرة ، مجرى النيل من حدائق وقصور ، الى حقول ابناء الشعب ، ليفيض بعد اليوم بشرا وخيرا ، وما كان يفيض قبل اليوم الا سخطا وحنقا . مدينة رفعت اضخم من الهرم وأعلى من ذراه ، معامل الصلب والحديد ، ليكون العمل والانتاج والايمان بالمستقبل، رموز الحياة التي تتجدد عبر الانسان وحده ، ولا تتجدد عبر الحجارة المرفوعة والقبور المشيدة ، والامجاد المنحوتة من اصلاب المسخرين المغلوبين .

هذا هو الوجه المثالي لقوميتنا الذي نريده ونحبه نحن الادباء ، وشهدناه في ثورة مصر العربية ، عملا ، وعدلا ، واعدادا لطاقة الشعب في سبيل حياة افضل ، ومستوى من العيش اكرم ، فاذا ما وجهنا القومية العربية بعد الان في سبيلها البطولي النضالي ضد قوى الشر والبغي في العالم، انما نوجهها سلاحا ماضيا بيد الشعب ، وكيانا موطدا قاعدته الشعب . ولقد طالما نفذ المستعمرون الى معاقلنا ، وتسللوا الى ثغرات صفوفنا ، فخربوا وعاثوا فسادا ، لان السلام لم يوضع في اليد التي تستطيع ان تحمله والكيان الذي حلمنا به لم يرفع على القاعدة الراسية التي يجب ان يرفع عليها .

في هذا المهرجان الذي يقيمه الادباء العرب ، للقومية العربية نحب ان يكون ملء الاسماع والابصار ، ان قوميتنا تحمل في سبيل نشوئها وانتشارها ميسمها الانساني الرفيع ، لتتعدى حدود الشعور القومي ، الى اداء رسالة انسانية سامية لا حدود لآفاقها ، فهي في فلسفة تاريخ تكوينها وتطورها ومدها وجزرها ، عمر اربعة عشر قرنا ، وفي طبيعة جغرافيتها الاسيوية الافريقية ، وفيما تضعه لنفسها من اهداف التحرر من سيادة التوسع الاستعماري ، انما تعرب حق الاعراب عن ضمير الثورة في صدور الملايين من ابناء آسيا وافريقية ، وتؤلف بين القارتين الكبيرتين في هذا الشرق جسر العبور وحركة الاتصال والتواصل ، وتنذر بحقيقة الخطر الاسمر الذي صعر الاستعمار ، وطفق يزعزع اوتاد المستعمرين .

ان القومية العربية التي تتجمع اليوم لندرسها في انتاجنا الادبي ، ونرسم لها سبلها في حياتنا الفكرية ، انما نبشر بها نحن الادباء حركة قومية انسانية تطلع من هذا الشرق القريب كضرورة حتمية لا مرد لها في تفاعل الاحداث البشرية . فنحن امة ذات حضارة كانت في مشرق نهضة المدنية الجديدة ، ومن حقها بل من حق الانسان عليها ان تعمل لاسترداد مكانتها والمساهمة في بناء عالم قويم يضع في اول اهدافه تحويل الغزوة الاستعمارية عما سنته لنفسها من عزل هذا الشرق عن المجموعة البشرية الفاعلة ، ليعيش ابدا في حالة بدائية ، لا يصلح معها الا سوقا للاستثمار الاجنبي ، ومصدرا لمواده الاولية ومحشرا لتجنيد العبيد في حروب الابادة والتدمير .

فاذا وقفت القومية العربية الى جانب السلام ، انما تقف موقف الحق الذي ينسجم مع طبيعتها ، ورسالتها وخصائص عملها النضالي ، ولهذا العمل النضالي غاية واضحة هي تعطيل عجلة الغزو والاستعمار وتحرير الارض العربية من

مطامع الغزاة والمستعمرين وليس الا بهذا التحرير يسود السلام ارجاء الكون ، لان الفريسة اذا نجت بنفسها من ركاب فرسان الحروب ففيم الفروسية ، وفيم القتال ، ومن اجل ماذا يحارب المتحاربون .

فالقومية العربية في رسالتها الاجتماعية عمل عربي مشترك نضع له بين اول اهدافه الداخلية ، نشر الرخاء وتوزيع العدل ، وبهذا وحده طاقته الدافعة الى حركة نضالية واسعة .

والقومية العربية في رسالتها الانسانية هي ساحة التحرير الاولى في قلب قارتي آسيا وافريقية ، وهي امنع حاجز للسلامة والامن في عالم الغد .

والقومية العربية في رسالتها الحضارية ، هي سبيل هذا الشرق الى المساهمة في حضارة جديدة متحررة من تقاليد الامبراطوريات المندثرة .

وبهذا تلتقي قوميتنا مع جميع المنازع الانسانية ضد الحروب ، ومع جميع الحركات النضالية ضد الاستعمار .

اما الادباء العرب ، فهم من هذه النضالية القومية روحها ووحيها وجزء كبير من قيادتها وتوجيهها ، وانهم لواجدون في هذا العالم الاسيوي الافريقي المشتعل ، مراجع شتى للبحث والدراسة والسيرة ، ومصادر شتى للوحي والالهام، بل في تتبع خطوات هذه المعركة الصامتة طورا ، والصاخبة اطوارا ، ما هو جدير بان يرفد الادب العالمي عن طريق العربية بحقائق وصور جديدة هي المادة البكر في بعث تيارات فكرية جديدة . واننا لنعول كل التعويل على لقاءات تعارف قريبة بيننا وبين زملائنا ادباء هذه العوالم الاسيوية الافريقية التي اخذ الفكر الانساني يتعرف الى مجاهلها مكشوفة على لهب النضال المقدس ، وليس اعظم من هذا اللهب نورا يضيء حياة الشعوب .

سيادة نائب الرئيس

لقد كان اكبر من حظنا ان نكون في القاهرة ، ومن حظنا ان نتوفر على موضوع مؤتمرنا ، شرف اتيح لنا في ان نجتمع لهذا المؤتمر برعاية رجل النضال القومي ، قائد هذه الثورة ، ومفجر الطاقة الجديدة في جوهر النضال العربي ، الرئيس جمال عبد الناصر .

فاسمح لي يا سيدي ، وانا قادم من ذاك البلد العربي الذي يقوم ويقعد على النضال ، ولا يعرف طعما الذ من مر النضال ، ان اتوجه اليكم باسم اخواني وزملائي اعضاء الوفد السوري ، من الكتاب والادباء العرب في سورية ، معاهدين ابدا ان نشرع اقلامنا وارواحنا لمبادىء القومية العربية ، وأهدافها في تأكيد كل معاني الحق والخير والحرية .

فؤاد الشايب

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

★

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

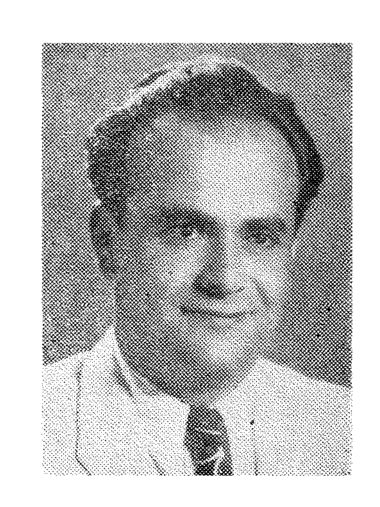
الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣



واجبات الناقد

في خدمة القومية العربية ..

بقلم رئيف خوري

ايها الاخوان الزملاء

النقد والقومية العربية .. يخيل لي اننا حين نبحث في الاسس التي ورثتها القومية العربية من التاريخ ، فاننا نستطيع ان نصير الى اتفاق عليها ، وان نوضح هذه الاسس بما لا يترك كثيرا من لبس او ابهام . كذلك يخيل لي اننا حين نبحث القومية العربية الحديثة ، اعني القومية العربية التحررية ، فاننا نستطيع في كثير من اليسر ان نتفق على دقائق معناها السياسي ، ولا يشق علينا ان نستجلي دقائق معناها الاقتصادي ومعناها الاجتماعي

على ان الصعوبة تعترضنا حقا حين نحاول ان نعين معنى القومية العربية فيما يتصل بالفنون والقيم الادبية . ذلك باننا حديثو عهد بهذه القضية ، واحسب اننا لهذا اجتمعنا في ضيافة مصر اليوم ، مصر الجمهورية ، طليعة العرب الى منطلق الحرية والنور .

ايها الاخوان الزملاء ،

ما معنى ان ننقد ادبا يكون حقا معبرا عن القومية العربية ؟ ما معنى ان ننشيء فنا قصصيا وفنا شعريا ، تتبلور فيه حقا خصائص القومية العربية ؟

يخيل لي ان ذلك هو السؤال .

سؤال يثير اعتراضا كثيرا . فأول ما يقال لنا ان الناقد الحق انما ينقد بمقتضى مقاييس فنية هي انسانية مشتركة لا قومية ، وكذلك القاص والشاعر ، اذا صدقا ، فانهما انما يبدعان ادبا لا يعيان من امره سوى انه يعبر عن فكرهما وفنهما ، ولا يعنيهما ان تتبلور فيه خصائص قومية او لا تتبلور .

اقول : هذا اول ما يقال لنا . وليس الرد عليه بمعجز ، **فالمقاييس الفنية التي هي انسانية مشتركة لم تظهر في مكان ما الا متأثرة بالروح القومي ، وبالشكل القومي ، في حدود زمن وبيئة .**

وفي الوقت الذي يتصور فيه الناقد انه انما ينقد بمقتضى مقاييس فنية انسانية مجردة ، فالواقع انه انما ينقد بمقتضى مقاييس فنية قد تأثرت بقوم وبزمن وبيئة ، **فهي انسانية ولكن عبر بوتقة قومية** . وكذلك القول في القاص والشاعر ، فلا بد لصنيعهما من ان تبرز فيه الخصائص القومية حتى ولو لم يعياها او يقصدا اليها قصدا .

ولكن مثل هذا الرد على المعترضين ، لا يحل السؤال ، وانما يطوره من صيغة الى اخرى : كيف السبيل ليصبح نقدنا الادبي نقدا معبرا حقا عن القومية العربية بتلقائية من الناقد ، وشعور منه انه ما زال في الصميم من مقاييس الفن والجمال الانسانية ؟ اجل ، كيف السبيل ليخرج القاص والشاعر ادبا تتبلور فيه خصائص القومية العربية مع احساس كل من هذا القاص وهذا الشاعر انه انما يعبر عن نفسه لا اكثر ولا اقل ؟

اعود فأقول : كيف نستطيع ان نجعل من القومية العربية شيئا حاصلا من طبيعة العمل الادبي نفسه دون ان يكلف الاديب ذاته او فنه عنتا وقسرا ؟

يخيل لي ان هذا هو السؤال فيما يتصل بالنقد والقومية العربية ، بل فيما يتصل بالادب اطلاقا والقومية العربية .

والواقع انني ايها الاخوان الزملاء ، اطرح السؤال ثم لا ارى أن ما عندي يخولني القطع في الجواب .

لا شك إن القومية العربية التي نعنيها هي ظاهرة حديثة جدا . انها جديدة ، تحررية تطورية ، اذا شئنا تعبيرا حسيا عنها في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع ، فلن نجد افضل من هذا الخطاب الاخير الذي سمعناه لسيادة رئيس جمهورية مصر • هي قومية عربية جديدة ، تحررية تطورية ، تمييزا لها مما قد يوجد من قومية عربية ، رجعية واأسفاه ! جامدة ومتحجرة (١)

وكذلك احتاجت هذه القومية العربية الجديدة التحررية الى تطوير نقد ادبي جديد متحرر ، يعبر عنها في مجال تقييمه .

ولكن هل ترانا قلنا شيئا كثيرا عندما نقول هذا ؟ لا لعمري .

---

(١) **لوحظ علي في المناقشات ان هذا القول قد يفهم منه حقيقة وجود قوميتين عربيتين . والواقع انني قصدت الى اتجاهين مختلفين : رجعي وتقدمي ، في قومية واحدة فالشكر لمن ينهني على هذا الانزلاق في التعبير**

فالسؤال باق ، ما عسى ان يكون بالضبط هـذا النقد الادبي الجديد المتحرر الذي يخدم-قوميتنا العربية التحررية الجديدة ؟

اكرر عليكم القول ان ليس عندي ما يخولني القطع فـي الجواب .

ولكني اعلم علم اليقين ان ذلك لن يكون ممكنا كل الامكان الا ان تتجاوز القومية العربية التحررية ، في انفسنا طور الشعارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتصبح وجهة نظر شاملة ننظر بها الى الوجود ، وفلسفة حياة نحيـاهـا بملئها في كل نبضة من نبضات وجداننا ، وفي كل موقف نقفه من الاشياء والاحداث ، وفي كل عمل نعمله . الاخلاق الفاضلة ، المعرفة ، الحق ، العدالة ، الموت ، القدر ، الخلود ، الفداء ، الالم ، الحب ، الحقد ، الجمال ، الدين ، الانسانية ، قيمة الشخص الانساني ، هذه كلها ، وسواها مما يجري مجراها ، ينبغي ان تكون فيها للقومية العربية فلسفة حياة، خاصة ، تستمد من القومية العربية نفسها في ماضـي التاريخ ، وتفيد من تجارب الشعوب العربية في حاضرها ، كما تنتفع بتجارب الانسانية جميعها ، ثم تتسق في وجهة نظر شاملة تجمع بين وحدة الاتجاه والتنوع في التفاصيل، وترسم فيها سمات القومية العربية ، وتطبع بطابعها حياتنا في واقعها وابعادها . عندئذ ، يمكننا ان نتحدث حديثـا ادق واجدى عن هذا النقد الادبي ، المتحرر الجديد الـذي تتطلبه القومية العربية التحررية الجديدة . ولم ؟ لاننا عندئذ نكون على بينة من هذه الفلسفة الحياتية (٢) التي تصدر عنها قوميتنا العربية الجديدة التحررية .

ولكن ما بالنا نذهل ؟ اليس واجب النقد نفسه ان يسهم في بلورة هذه الفلسفة الحياتية الخاصة التي تستجيب لحاجات القومية العربية التحررية ؟ بلى

وهكذا نرى ان الامرين متشافعان متلازمان . كلمـا تقدمت القومية العربية التحررية في تجاربها ازدادت نظرتها الى الوجود وضوحا وتفصيلا واتساقا وغنى ، فازداد النقد مقدرة على السير بهدى وبصيرة في تقييم الاثار الادبية وفي مطالبة الادباء بالاعمال الادبية التي نفتقر اليها . وفي الان نفسه ، كلما ازداد النقد مقدرة على السير بهدى وبصيرة في تقييم الاعمال الادبية ازداد اثره في توضيح الفلسفة وزيادة اتساقها وتطوير نظرتها باستمرار الى وجود متطـور باستمـرار .

نخلص من هذا كله الى انه من الخطر ، وقصر النظر ، ان نضع قواعد جازمة نرى عليها نقدنا الادبي الجديد ، وندعى لهذه القواعد انها تضمن للنقد اداء رسالته الواجبة فـي خدمة القومية العربية التحررية .

يكفينا نقطة انطلاق ان ندرك ان النقد الادبي كما عرفناه في الادب العربي القديم ، اصبح لا يفي بالغرض المقصود ، وان كان فيه الكثير مما نستضيء به وينبغي لنا ان نستبقيه ولاسيما ما اتصل منه بما اسميه عبقرية التعبير العربي . كذلك لا بد من الاقرار ان النقد الادبي ، كما عرفته الحقبة الاخيرة من عصر الاحياء والنهضة ، يشكو نقصا بارزا فهذا النقد يغلب عليه حين يتناول الآثار الحديثة ان يتـأثر بعلاقة شخصية ، او يتأثر بمجرد شعارات تعجبه يجدها مرددة في الاثر الادبي ترديدا ساذجا فجا ، او يتأثـر بمقاييس منقولة نقلا آليا عن محاولات النقد الغربي . الا انه على كل حال قليلا ما يصدر عن تلك الفلسفة الخاصة التي تتبلور فيها سمات القومية العربية التحررية الجديدة.

وكذلك شأن هذا النقد فيما يتصل بتقييم تراثنـا الادبـي القديم . فترى الناقد يدرس فيه البيئة الزمنية والمكانية التي انشيء فيها الاثر الادبي ، او يعمد الى تقييمه بمقتضـى مقاييس قديمة او مقاييس مستوردة ، غير انه قليلا ما يصدر في هذا التقييم عن تلك الفلسفة الخاصة التي تتبلور فيها سمات القومية العربية التحررية .الجديدة ، والتي بهـا نستطيع ان نحول عملية التقييم للتراث القديم الى عملية استصفاء لما في هذا التراث من صحة فكرية او روعة جمالية تغذينا اليوم وتعيننا على ان نؤصل قوميتنا العربية التحررية الجديدة فتصبح ، لا انقطاعا ، بل اتصالا ونموا .

وهنا ، سآذن لنفسي ان اعرض لبضعة آراء اصبحت تأخذ بها مناهج النقد الحديث عندنا كلها او بعضها .

من هذه الاراء مثلا ، ان العمل الادبي محض فنـي ، يريدون بذلك انه لا اخلاقي .

ومن هذه الآراء ايضا ان الشعر العربي مفتقر الـى ثورة تعصف بقالبه القديم ، فتتناوله بالتبديل من حيث القالب اي الوزن والقافية ، ومن حيث التعبير .

ومن هذه الآراء ايضا ان كل هذا الشعر الذي انفق فيه الشعراء جهدهم يمدحون غيرهم او ذاتهم ، يعظمون او يتعظمون ، لا خير فيه قط ، فحقه الاطراح.

ومن هذه الآراء ان الشعر القديم تعوزه الوحـدة في القصيدة ، فلنجتهد ، اذا ، في شعرنا الحديث ان نراعـي شروط الوحدة في مجمل العمل الشعري ، فتكون القصيدة وحدة لا مجموعة ابيات تكتفي من الرابط بوحدة القالب اي الوزن والقافية .

ومن هذه الاراء ايضا ان مقياس قيمة الشعر ان يطيـق الترجمة دون ان يفقد وقعه السحري .

ومن هذه الآراء ايضا ان اللغة العربية اليوم تعـاني انقساما وتباعدا بين صورتها الفصحى الاصلية ، وصورها العامية في الاقطار العربية . وما دامت الصور العامية هي لغة الشعب ، وما دمنا نكتب للشعب ، فلنستعمل في الاداء الادبي صور اللغة التي يفهمها الشعب اي الصور العامية .

ومن هذه الآراء ايضا ان الادب العربي القديم انما يدرس من خلال اثر الشعوب التي اشترك ابناؤها في انتاجه ، فاذا تناولنا بالدرس كاتبا كابن المقفع او شاعرا كابن الرومي ، ووجدنا خصائص مميزة لهذين الاديبين فخير ما نعلل به

ـ التتمة على الصفحة ١٠٧ ـ

(٢) لا بأس باستعمال هذه الصورة من النسبة الى الحياة تمييزا من الصورة الاخرى الحيوية بعد ما اصبحت تحمل معنى آخر .

١ ـ عام ١٩٥٧

انتهينا منه ، شيّعناه لم نأسف عليه
وحمدنا ظله حين توارى دون رجعه
لم نصعّد زفرة خلف خطاه ، لم نرق بين يديه
دمعة او بعض دمعه

*

بعد ان جرّعنا من كأسه المر الحقود
بعد ان اوسعنا لؤما وغدرا وجحود
غابّ عنا وجهه المقوت ، لا عاد لنا ،
كان شريرا امات الشعر فينا والمنى

*

كان شريرا وكانت عينه تنضح قسوه
كرع اللذة من آلامنا
واتى قتلا وتمزيقا على احلامنا
وعلى اشلائنا نقّل خطوه

*

عصفت اهواؤه الهوج باشواق رؤانا
بعثرت آمالنا عبر الدروب المغلقه
اوصدت باب الغد المأمول في وجه منانا
وثنت خطواتنا المنطلقه

*

انتهى . ما كان الا نزوات وجنونا
كان تعذيبا وارهابا وهونا
وانتهينا منه ، شيعناه لم نأسف عليه
لم نرقرق دمعة واحدة بين يديه

٢ ـ صلاة الى العام الجديد

في يدينا لك اشواق جديده
في مآقينا تسابيح والحان فريده
سوف نزجيها قرابين غناء في يديك
يا مطلاً املا عذب الورود
يا غنيا بالاماني والوعود
ما الذي تحمله من اجلنا ، ماذا لديك ؟

*

اعطنا حبا فبالحب كنوز الخير فينا تتفجر
واغانينا ستخضر على الحب وتزهر
وستنهل عطاء وثراء وخصوبه
اعطنا حبا فنبني العالم المنهار فينا من جديد
ونعيد
فرحة الخصب لدنيانا الجديبه

*

اعطنا اجنحة نفتح بها افق الصعود
ننطلق من كهفنا المحصور . . من عزلة جدران الحديد .
اعطنا نورا يشق الظلمات المدلهمه
اعطنا نورا على دفق سناه
نعتلي ذروة قمه
نجتنى منها انتصارات الحياه !!

نابلس

فدوى طوقان



النقد والقومية العربية

قضايا النقد الحديث

بقلم الدكتور سهير القلماوي

منذ أختلف اقدم من نعرف من نقاد الادب أرسطو وافلاطون حول دور الفن الادبي في الحياة ، والنقاد ما يزالون يبدأون ويعيدون في هذا الخلاف بأشكال مختلفة وصور متنوعة تلائم عصرهم، وما يثور فيه من قضايا. ولكن كما كان الفيلسوفان العظيمان حريصين على مفهوم الادب فكذلك كان كل ناقد له وزن حريصا في مثل هذا النقاش على مفهوم الادب أيضا . ان احدا من هؤلاء النقاد لم يقل في يوم من الايام ان الادب يجب ان يدعو الى فكرة معينة او ان يخدم غرضا محدودا خلقيا كان ام اجتماعيا ام سياسيا ، ذلك انه ليس الاديب وحده هو الذي سيتمرد على هذا القيد لحريته وانما الادب نفسه واذا قبل الاديب فسينحرف عن حقيقته . ان الادب وسيلة الى غاية، وسيلة لها خصائصها التي يجب ان تتوفر فيها كاملة لتتحقق حقيقتها ولكن الادب بخصائصه يهيىء الانسان الى ان يفكر والى ان يعمل والى ان يؤثر في الحياة في نواح بعينها بطريقته بعينها . ومن هنا كان التدخل من جانب الفلاسفة ثم المصلحين الدينيين والخلقيين والاجتماعيين والسياسيين ليملوا على الادب ما يجب ان يفعل ، ولكن الادب الحر لم يعبأ في يوم من الايام بما يملى عليه ، وظل عمله كما يقول احد النقاد يقوى ملكة الخيال التي لولاها ما استطاع الانسان ان يكون فاضلا او نافعا . ذلك اننا يعجزنا ان نتصف بالفضيلة والنفع الا اذا تصورنا غيرنا الى جانبنا واحسسنا ان هذاالغير له علينا حقوق وجوده الى جانبنا ، وبهذا يكون تأثير الادب في الاخلاق والسياسة والاجتماع ، بل في كل فضيلة يرى المصلحون انها واجبة ان تكون ، تأثيرا غير مباشر .

وهذه قضية الوحدة العربية التي اجتمعنا في هذا المؤتمر من كل بلد عربي لنتدارسها ولنتبين ان الادب في في ظلها لها تاريخ طويل وقد اختلطت فيه طوال هذا الزمان بمفاهيم كثيرة واحداث اكثر ، وعبر الادب العربي عن هذا الاختلاط تعبيرات مختلفة ووقف النقاد من تعبير الادب عن هذا المفهوم مواقف ارى انها ما زالت غامضة غير مفهومة ولا محدودة .

لقد اختلطت القومية العربية اول وجودها بمفهوم الاسلام ثم بمفهوم الوطن الجغرافي للعرب ثم بمفهوم الدولة الاسلامية ثم بمفهوم الثقافة الاسلامية حتى عادت في عصرنا الحديث في اواخر القرن الماضي واول هذا القرن تختلط بل تتعادى احيانا مع الرابطة الاسلامية ، مع ان منشأها الديني اوضح من ان ينكر . ووقف الادب من كل هذه المفاهيم موقفا واحدا يتغنى بالاساس الثابت الجميل الذي يجمع بين الناس ويؤلف بينهم ويربط على مر العصور وكر الدهور يتغنى الامجاد القديمة ويبكى الحاضر ويرنو الى المستقبل .

ولكن هل اتضح مفهوم القومية العربية في هذا الادب الى زمن الحرب العالمية الاولى ؟ ان النقاد لم يدرسوا فيما اعرف هذا الموضوع درسا كافيا ، وكان موقفهم موقف الشعراء او الكاتبين اي موقف المتأثر المنفعل .

والسبب في ذلك ان الناقد العربي الحديث لم يتصور بعد خطورة مهمته ، انها مهمة رائد الطريق. انه لا يملى ولكن يهيىء الجو للنماء فمهمته غربلة التراث الادبي كله قديمة وحديثة في ظل الميزان الجديد ميزان العصر الذي نعيش فيه ، لا ينفى ويثبت ، فأساس الخلود المشترك عام لا يقبل خلافا ولكن ليحور ويحرف بحيث يرى القديم في ضوء جديد وبحيث يسير الحديث في ركب الفن سيرا منسقا مفهوما .

والسبب التالي في نظري هو هجوم هذه النظريات الغربية الكثيرة على عقول المثقفين منا ومحاولة تطبيق هذه النظريات قبل تفهمها وتعمقها وقد حال اختلاف اللغة دون هذا التفهم العميق ، على ادبنا العربي وهو ما يزال في طور البعث فاذا حركة التجديد تنحرف واذا بنا نتغنى ادبا انسانيا والشرق

رازح تحت اثقال كل ما هو غير انساني وتتسم حركة التجديد بتيار رومانسي عربي واضح والله يشهد انه ما كان في الشرق الممزق المنهوب الذي كانت تتجاوب عليه حفنة من القراصنة اي شيء يدعو الى التحليق في سماوات الحب والتعاطف الانساني واخذت حركة التجديد تنحرف انحرافا غربيا بحتا وخاصة عند المهجريين من شعراء اول هذا القرن .

ويقف النقد من كل هذا وقفة غريزية بحتة ، يقف ليدافع عن كيان الادب القديم في قوة جبارة . ولكنها قوة بدائية . لقد احس وجوده فنظر الى اللغة العربية لا على انها المقوم الاساسي في الوحدة العربية ولكن على انها اللغة المقدسة لغة الدين ولغة التراث القديم . ولم يكن للنقاد ولبعض الشعراء في هذا العصر بد من هذا المفزع الى قدسية الدين والقدم يحتميان فيهما للدفاع عن مقوم الوحدة العربية الاول .

لقد نزل باللغة الادبية عاملان اساسيان : الفاظ اجنبية لا بد أن تترجم او تنقل بشكل أو باخر ، ولهجات محلية اخذت في اواخر عصور الجمود التركي تعبر وحدها تعبيرات قوية عن مزاج شعب لا يمكن ان يستغني عن الفن ، والفن الادبي بحكم تراثه وجنسه هو الصق الفنون بنفس الشعب وايسرها انتشارا . ووقف النقاد يدافعون عن اللغة الرفيعة لغة الادب .

لم يقل ناقد من نقاد هذا العصر ان لغة الادب بطبيعتها غير لغة الحياة اليومية ولم يناقش ناقد قضية الادب الذي تفهمه العامة . لم يناقش ناقد نظرية تولستوي على قدمها اليوم . وكانت حجتهم هي ان ما لا يفهمه الشعب من فن يجب الا تنفق الحكومات في سبيل تشجيعه ، وان عباقرة الاجيال السالفة ليسوا شعراء لان الشعب لا يفهمهم . وانما دافع النقاد عن التراث القديم دفاعا شعريا لا نقديا . واتهم التراث القديم مرات منذ اخر القرن الماضي انه لا يصلح غذاء لعصر تغيرت فيه الاحوال . وهاجمت مدرسة التجديد الاولى في مصروفي المهجر موضوعات الرثاء والمديح والغزل ودعت الى ادب خلعت عليه كل صفات الحيوية والجمال . ولكن الاهم من ذلك انها خلعت عليه صفة البعد او البرء من سيطرة التراث القديم وسلطان « قفا نبك » وتغزل النقاد في ابيات القداءى ، ولكن حركة الهجوم والدفاع لم تقم لها قائمة على درس او فحص يمكنان من رسم الطريق وتشوف المستقبل .

وولدت القصة بحكم ظروف وعوامل ليس هنا مكان سردها فكان لها في تحررها من النماذج القديمة تحررا شبه تام وتأثرها بتراث غربي متعدد متنفسا من اسلحة النقاد . انها في لغتها التي يجب ان تتجه نحو الوضوح لا الغموض الشعري ، وفي عدم اعتمادها على تراث القرون الا الشعبي الذي عافه النقاد جهلا بقيمته ، سبيلا عريضا لان تنمو بعيدا عن الهجمات .

لم تدل دولة الشعراء ولن تدول ، ولكنه افسح الطريق لفن يلائم حاجات العصر . فالشعر تعبير ادبي ، اذ انه الكلمة التي فك الشاعر قيود محدوديتها واتخذت من فك قيودها طاقة علي الايحاء وقابلية للانسجام مع طاقات العلم الاخرى . هذه الكلمة لا تصلح اداة للقصة . ان القصة لا بد فيها من الوضوح والشاعر لغموض ميدانه لا بد ان يعتمد على قيم فكرية ثابتة يلتقي فيها مع السامع ليأخذ بيده من حيث يلتقيان فيحلقان معا . ولكن العصر الحديث الذي اختلطت فيه القيم وتضاربت واطل على الانسانية كلها شبح القلق وعدمالاستقرار والهول من سوء المصير، في هذا العصر لا يمكن ان نجد القيم الثابتة التي يعتمد عليها الشعر كأساس ثابت ليؤثر بغموضه ، لا بد ان يقوم بدور الفن الادبي في هذا العصر نوع اخر من الادب، نوع يعتمد على الوضوحوعلى قابلية عرض المشاكل ، ووصف الاضطراب وتلمس السبيل .

ونمت القصة في الغرب وورثت عرش الشعر وكادت تخرجه من حرم الفن الادبي الى حين . ونمت عندنا القصة فنجن جزء من العالم المضطرب ، وان اختلفت اسباب الاضطراب ، واذا هذا النوع الادبي الجديد ينظر الى مشاكلنا ولكنه يبعد عن القومية العربية التي كان يتغنى بها الشعراء. وهنا يأتي دور النقد الدقيق . دوره في ان يتبين الاسباب التي ادت الى ان تكون القصة العربية الحديثة رومانسية او مصورة لقطاعات واقعية من الحياة . او تأخذ بعض المشاكل الانسانية العامة الفلسفية احيانا لتعالج التفكير فيها سواء في المسرح او في الرواية .

هنا يأتي دور النقاد في درس هذا الواقع وتشوف المستقبل من خلاله ، وهنا يأتي تصوير الوحدة العربية وما يمكن ان يتفجر فيها من قضايا ادبية ومشاكل انسانية عربية تلون هذه الفلسفة وتميز هذا الواقع.

ولنضرب مثلا بمأساة تلك الوحدة ، نكبة فلسطين ، لقد اخذ الشعراء يبكون الحال ثم يثورون معبرين عن اعمق اعماق الحيوية الدافقة ثم اخذوا يصورون بعض المواقف في شبه قصص واخيرا تدفق التأليف العلمي الذي احتاجت اليه القضية لتفهم في ميدانها العالمي . فاين كتاب النثر ، وكتاب القصة ، مثلا من هذه المأساة الجليلة في الحياة وفي الادب ؟ انها اول ناقوس خطر تنبه عليه العرب في العصر الحديث الى-قوميتهم فهبوا ليتمسكوا بها وتوالت نواقيس الخطر ، حرب التحرير في الجزائر ، وحرب الدفاع عن الحق في مصر في العام الماضي ، واحداث اخرى اقل شأنا من الحرب وان تكن ابعد اثرا . كل هذه نواقيس خطر توقظ الشعور وتنبه القوم الى هذه الوحدة .

ان الوحدة العربية يجب ان يحدد مفهومها ، ويجب ان يملأ هذا المفهوم الدقيق طاقات لتكون لهذه الوحدة صورة حية متطورة في ادبنا المتطور الخالد على مر القرون . ان الشاعر يكفيه ان ينفعل بالمفهوم الغامض ، القوى لغموضه ، ليحركنا فنحلق معه . اما القاص فلا بد له من حركة وحوادث . وهذه الحركة ذهنية كانت ام مادية لا بد لها من ان تكون مفعمة بطاقات الايحاء .

ان امكانيات الادب العربي الحديث اضخم مما صور النقاد الى اليوم . انه ادب عاش ستة عشر قرنا او تزيد واكتسب من كل هذه القرون آفاقا وحيوية وقوة وصمودا ، لا يمكن لاي ادب ان يطاوله فيها . وهو يعتمد على تراث ادبي ولغوي وثقافي ضخم اكثره غير مدروس بل احيانا غير معروف . واذن فمهمة النقاد اضخم واوسع مما نظن ازاء الوحدة العربية .

لقد ادى الدارسون الناقدون كثيرا من فضل في النواحي الدراسية في النقد . فدرسوا الادب العربي في كل عصوره درسا ما ودرسوا النصوص الادبية وحاولوا ان يغربلوا تراث النقد القديم . ولكن هذا الميدان من النقد يفتقر هو ايضا الى جهود لانه تراث قرون وقرون .

وبين هذه التيارات العالمية التي اردنا ام لم نرد ان نتأثربها في الادب وبين هذا القديم الجبار يقف الناقد الحديث ليزن ويكشف ويصفي ويتشوف الطريق . واساس كل هذا شعور دافق بالراوبط وبالوحدة التي توسع رقعة الدرس وتجعل دراسة الادب في اي قطر من الاقطار العربية دراسة له في جميع الاقطار .

واخيرا ان يكن لهذا المؤتمر فوق فضل التلاقي الحبيب والاحساس الدافق ببهجة زيارة الاخوان ففضله في هذا الذي قلت ، في انه يلفت الانظار الى انفسنا لنتبين مكانتنا في الادب من هذا الذي يحيط بنا وتجيش به صدورنا .

ان القومية العربية طاقة ادبية قبل ان تكون منفعة او سياسة . وهي واقع جبار قبلان تكون اداة او وسيلة. انها غريزة الدفاع عن النفس تستيقظ على الخطر فتوحي بالعمل والتضحية ولكنها توحي ايضا بالادب الحي الخالد .

سهير القلماوي

النقد والقومية العربية

بقلم الدكتور عبد الستار الجواري

القومية العربية، هذا الشعاع الذي يسطع في دنيا العروبة اليوم سطوع الشمس ينير السبيل الى المستقبل الباسم والغد السعيد .

هذا النور الوهاج الذي يعمر القلوب ويطفح على قسمات الوجوه ، يبعث في السواعد قوة العزيمة وفي الابصار نفاذا في البصيرة .

هذا الروح القوي الذي يشتمل على الشعب العربي في وطنه المترامي الاطراف الوسيع الرقعة .

والعرب ، هذا الشعب الذي تتآمر عليه قوى العدوان تمزق شمله وتفرق جمعه وتدس له في عقر داره داء وبيلا وشرا مستطيرا ، انه يريد ان يجمع شمله ويوحد صفه ويدرأ عنه مؤامرات الاستعمار وعدوانه . انه يتطلع الى وحدة شاملة تنظم ما انفرط من عقده وتمهد له سبيل العمل في خدمة نفسه واستثمار ثروته واصلاح ما افسده الاستعمار والاستغلال من شأنه ، حتى ينهض بعد الكبوة ويتحمل عبء رسالته الخالدة في خدمة الانسانية واقرار السلام والامن في الارض .

هذا الشعب الذي يعرفه التاريخ شعبا ذا رسالة حمّلها فحملها واداها احسن ما يكون الاداء ، وتعرفه هذه الارض رسول خير وطمأنينة . يعمر ولا يخرب ، ويبني ولا يهدم. انه يريد اليوم ان يعبىء قواه للانبعاث حتى لا يؤتى من مأمنه ولا يغزى في عقر داره .

والادب ، هذا الفن الانساني الرفيع ، انه هو مرآة الحياة تنعكس في صورتها واضحة مؤثرة ، وهو عنصر التوجيه في حياة الامة ، وهو معقلها المعنوي الخطير ، لا بد ان يكون في مأمن من عوامل الهدم الخفية التي تتسلل منه الى كيان الامة كما يتسلل السوس وينخر فيها حتى يأتي عليها.

ونقد الادب هو الزمام الموجه الذي يصف جانب الاحسان فيه ، ويدفع الى الاستزادة منه . بل هو الحارس الامين يحميه من الانحراف ويقوده في السبيل السوي المستقيم.

ولقد كان الادب العربي اول معقل طمح اليه الغزاة ورسموا خطة اقتحامه حتى ينفذوا منه الى صميم الامة العربية، الى فكرها وشعورها وكيانها المعنوي . وكلنا يعلم كيف تسللت الشعوبية الى الشعر تثلب فيه العرب وتهدم ماضيهم حتى لا تكاد تبقي على حسنة من حسناتهم او مفخرة من مفاخرهم .

وكأنها عرفت مكان الادب والشعر خاصة من حياة الامة العربية ، فاتخذت منه وسيلة للطعن عليها والافتراء عليها فكان بشار وكان غيره من الشعراء ، وكان البرامكة وغيرهم من حكام الاعاجم مصدر الايحاء والتوجيه لاولئك الشعراء يمدونهم بالمال وبغير المال يغرونهم بهجاء العرب وتشكيكهم في انفسهم ، ويحملونهم على فصم صلتهم بالماضي الذي يستمدون منه القوة ويحتمون به من اسباب التفسخ والهدم. وقد كان لهم ما ارادوا الى مدى بعيد ، اذ اصطنعت في الادب معايير جديدة وانصرف الذوق الى الاعجاب بوصف مجالس اللهو والشراب والعبث حتى كاد الادب العربي يتحول عن مكانه في حياة العرب فلا يعود ديوان مآثرهم وسجل مفاخرهم ، بل يصبح مرآة لهوهم وعبثهم وانصرافهم الى الهزل وانغماسهم في الشهوات .

ولكن ميدان الادب العربي لم يخل لهؤلاء يعبثون فيه ويخربون ، بل لقد كانت طبيعة المناعة في الامة العربية لهم بالمرصاد ، فلم تعدم طائفة من سراة العرب أحست بأن عليها ان تكافح وأن تقاوم وأن تقف في وجه هذا الفساد فكان قادة الجيوش من العرب امثال معن بن زائد الشيباني وابي دلف القاسم بن عيسى العجلي وحميد بن عبد الحميد الطوسي يبسطون حمايتهم على نزعة قومية عربية تأبى التفريط بالمقومات العربية في الحياة الاجتماعية ، وفي الادب والادباء كانت لهم الغلبة آخر الامر (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .

لقد ارادت الشعوبية ان تنحرف بالادب العربي ،موضوعه واسلوبه عن الطبيعة التي ركب عليها ، عجزا منها عن الجري في ميدانه والاخذ بأساليبه وموضوعاته فجهدت ان تجعل من موضوع التفسخ الخلقي العام موضوعا ينصرف اليه الشعراء عن رسالة الشعر التي يعرفها العرب ويعرفون لها قدرها

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

فتغزلوا بالمذكر وامعنوا في وصف الخمر ومجالسها امعانا مريضا لا مبرر له ، وأقذعوا في الهجاء اقذاعا يزري بالكرامة ويستهين بالرجولة والانسانية ، وما أمر بشار وحماد وجماعتهما عنا ببعيد .

واستشعرت الشعوبية ضعفها في اللغة وعجزها عن الاصابة في التعبير بها فلجأت الى تفسيخ الاسلوب وتهجينه حتى احالته الى العامية او قريب منها ، وحتى صار ابو العتاهية وهو واحد من اقطابها في الادب يفاخر بأنه لو اراد ان يفعل كلامه كله شعرا لفعل .

وقد كان من هم الشعوبية في الادب وفي نقده ان تقطع الصلة بين الادب العربي وماضيه المجيد ، وتقيم لتقدير الادب ولا سيما الشعر موازين جديدة .

وقد كان من حظ القومية العربية ان النقد الشعوبي لم يكد يظهر بين الناس آراء يتناقلونها وملاحظات يتداولونها حتى برز له من يقوم في وجهه ويقطع عليه سبيل التطور والتكامل . وقد قام له اول الامر نقاد مبصرون ذوو دراية وذوو رواية جمعوا من الادب القديم الاصيل ما استطاعوا واتخذوه مثلا يتمثلونه وقدوة يقتدون بها. فكان امثال ابن قتية وابن سلام يحملون لواء الدعوة الى تقدير الادب بالاضافة الى ما استخرجوا من الادب القديم من المعايير والقيم . وكان ارفع تلك القيم واسناها ما دعوه الاصابة في التعبير والقدرة على معالجة الاغراض الادبية المختلفة والتصرف في المعاني تصرف الاصيل المبدع ، الموجز في غير اخلال ، المبين في غير اطالة .

ثم جاءت بعدهم طبقة اخرى الفت في الادب بمعناه الواسع وما يشتمل عليه من نقد قائم على اساس فقه العربية نحوها وصرفها وبيانها ، فأكدت مذهب السابقين واثبتت ان سبيل العرب الاولين هي الاقوم وان الادب العربي طبيعة تقبل التفسير العلمي والتعليل والتوجيه الفني . على أنها اضافت الى ما كان عند سابقيها فضيلة الاقرار بما للمحدثين من فضل اذا سلكوا في الادب السبيل الواضحة واستندوا فيه الى الطبع والى الثقافة . ونحن نلحظ ذلك عند ابي العباس المبرد في الكامل واضحا كل الوضوح فقد عنى بالنوابغ من معاصريه واستشهد لهم واشاد بهم ، ومن هؤلاء عمارة بن عقيل وأبو تمام الطائي .

وكانت نهاية هذا الصراع بين الشعوبية والقومية العربية انتصارا للقومية العربية أفاد منه الادب فوائد لا يتسع المقام للافاضة فيها . فقد انتهى ذلك الى احتفاظ الادب العربي بمقوماته وعناصره الاصيلة ، وأفاد من الحياة الجديدة ما لا يخالف طبيعته ولا يزري بفنه الرفيع ، وجانب الوعورة والاغراب حتى لا يستغلق فهمه على اهل العصر ولا يبعد عن واقع حياتهم ، فكان شعر ابي تمام والبحتري ، ثم علا حتى بلغ القمة عند ابي الطيب والشريف الرضي وأبي العلاء . وكان الجاحظ وأبو حيان التوحيدي من الكتاب .

واليوم تتعرض القومية العربية لمثل ذلك الصراع ، ويستهدف الادب العربي في بعض ما يستهدف لشعوبية من لون جديد ، لنقد معجب بحضارة الغرب وثقافته وأدبه ينكر عليه خصائصه الاصيلة ويعتدها اثرا قديما غير جدير بالبقاء ولا خليق بالاتباع . ولطالما سمعنا من بعض النقاد ان اسلوب الادب القديم لم يعد يلائم حاجة النفس في هذا العصر ، وان آلة الاديب لم تعد تحتاج الى وقود من علم العربية وفقهها ونحوها وبيانها ، وان التزود بالثقافة الادبية القديمة وتذوقها لا يجدي على الاديب ولا يشحذ عبقريته وان في هذا جناية على فن الادب تحول بينه وبين التطور والاخذ بمذاهب الفن الحديث . ويأخذ الاخرون على الادب العربي انه لم يواكب الاداب العالمية في فنونها الادبية كالقصة والمسرحية والرواية ، ويرد ذلك الى اسلوب التعبير الموروث في الشعر وفي النثر معا ، وان هذا الاسلوب هو الذي يشغل الاديب بالجانب اللفظي ويصرفه عن استيعاب ما استحدثته الحضارة الحديثة من افكار ومشاعر وأحاسيس والوان في الحياة جديدة طريفة .

وهذه النزعة انما تحاول من بعض الوجوه ان تسف بأسلوب الادب الى العامية حتى يفهمه الجمهور على حد ما تزعم : وحتى يستطيع الاديب ان يعبر عن عواطف المجتمع ومشاعره . ولسنا ننكر على احد ان يكتب او يقول الشعر بالعامية او يقتبس من حضارة الغرب ما يشاء وما يستطيع ولكنا نريد لادب العرب ان يستجيب للقومية العربية ، وأن يعمل على الاحتفاظ بخصائصها ويكون صوتها المدوي في الافاق ، وأن يكون احدى الوسائل الى تثقيف الجمهور وتوجيهه ، وان يبقى كما كان من قبل مظهرا من

مظاهر الوحدة بين العرب في التفكير وفي الشعور وفي الكفاح والجهاد .

وثمة كلمة حق تلهج بها ألسنة النقاد المعاصرين الذين يريدون للادب العربي ان يتبوأ مكانه الحق في الحياة العربية، انهم يريدون للادب ان يعنى بصميم رسالته وان ينصرف الى تحمل تبعته الاجتماعية فلا يظل تعبيرا ذاتيا ضيق الحدود يشتغل فيه الاديب بخاصة نفسه ، لذته وألمه ، مغنمه ومغرمه ، او يتخذ منه آلة يطرب بها ذوي السلطان لينال رضاهم او يتقي اذاهم ، ثم لا يهمه بعد ذلك ان يندمج بالمجتمع ويعيش في صميمه فيكون رائده الى الحياة الكريمة وقائده الى المستقبل السعيد .

وبعد ، فانا نستطيع ان نطمئن الى مستقبل الادب العربي اطمئناننا الى مستقبل الامة العربية والقومية العربية. ونحن واثقون بأن الادب العربي سيخرج من معركته هذه ظافرا شأنه في تجربته الاولى ، وسيخرج من هذه المعركة بذخيرة قيمة من حضارة العصر ويستجيب لرسالته الكبرى في التعبير عن آلام الشعب العربي وآماله .

ونحن نستطيع كذلك ان نطمئن الى مستقبل النقد الادبي فهو لا بد ان يقوم على الدرس الواعي لتراث الادب العربي والدراية المدركة لمقوماته وخصائصه الاصيلة ، وهو على كل حال لن يكون طوع الاهواء تخرج به عن هدفه وتبعد به عن غايته ، وتقحم فيه ما لا تألفه طبيعته وتحمله على تقليد غيره بلا روية ولا ادراك . وهو لا بد ان يكون في صميم المجتمع العربي الحديث فلا يحلق في الضباب ولا يتيه في اجواء من الدخان المسموم .

★

فلنثق بأنفسنا وبتراثنا وخصائص قوميتنا ثقة تحملنا على التجويد والابداع فيما نحسن من ضروب الحياة، وتبصرنا بمزايانا وما نستطيع ان نتحف به ابناء الانسانية من صور حضارتنا وتراثنا وما ينبع من اعماق نفوسنا المتطلعة الى الحق والخير .

وعلينا ان نفهم ان التقليد لن يبلغ بنا مبلغا من الاجادة والابداع في اي جانب من جوانب الحياة ، ويخلق منا صورة ممسوخة لمن نقلد ، ويحرمنا شرف الاسهام في الحضارة البشرية التي تتطلع الى الجهد الاصيل المنبثق من طبيعة سليمة قوية .

عبد الستار الجواري



سياسة الكلمة

في دولة التعبير..

بقلم الدكتور سليم حيدر

من غياهب آلام الامة العربية، المتكاثفة خلال ستة قرون، جراحا في جميع النفس العربية ، تخبل الروح وتكبت الانطلاق الفكري ... الى مباهج آمال الامة العربية ، المتلألئة على اقباس الوعي المتحرر ، المترنحة على ترانيم الجهاد المظفر ...

من غياهم الآلام الى مباهج الآمال ، طريق طويلة قطعناها ويحق لنا ، بل يحق علينا ان نتوقف هنيهة لننفض عنا غبار الطريق ، ونستعد للسير من جديد !

من هنا كان لهذه الدورة الثالثة لمؤتمر الادباء العرب معنى خاص ، يميزها عن الدورات السابقة واللاحقة .

ايتهمنا ادباء « الفن للفن » اننا اذ نأتمر تحت راية القومية العربية نحاول قص الاجنحة وغل الاقلام الا في خدمة فكرة معينة ، قد تكون من صلب الادب وقد لا تكون ؟

الجواب اننا نأتمر ولا نتآمر !

ليس في النية ان نقص لونا من الــوان الادب ، ولا اسلوبا من اساليب الاداء .

وليس في النية ان نجند التفكير العربي في خدمة فكرة، بحيث يكون لنا منه ادب تبشيري مبوتق،كأنه املي على الادباء امــلاء .

وليست القومية العربية بحاجة كيانية الى هذا التجنيد، ولا الى هذه البوتقة . انها متفجرة من اعماق الروح العربية، من جذور كينونة هذه الامة ، من ركائز تاريخها ومن شرفات اهدافها ، من ابعادها الحيوية في الزمان والمكان ، من هذا الوعي القومي المتصاعد الذي يغمر الشعوب العربيــة ــ والادباء في الطليعة ــ فيشعرون بجلال العقيدة ، وبخطورة الرسالة ، وبوحدة المصير ، وبضرورة الانطلاق الى تحقيق الــذات .

والادب ، مهما تنسك في برجه العاجي ، منبثق مــن جميع الحياة ، كما هي او كما يجب ان تكون .

والفن للفن استهدف للجمال ، للجمال الفني ليس الا .

والجمال اتساق وانسجام ، لا يتم على غير نظام .

والنظام توجيه ، توجيه « سياسي » ــ ولو اخافت الكلمة المتزمتين ــ توجيه سياسة الكلمة في دولة التعبير .

هذا في عالم الحرف .

اما ما وراء الحرف فلا علاقة له ، بحد ذاته ، بالفن .

المعنى كالحجر في المقلع ، لا قيمة له الا ان يقطع وينحت ويركز في مدماك البناء .

ولا يشك احد في ان البناء المتين يجب ان يبنى من الحجر الصلد ، ذلك الذي يزداد قوة وجمالا بقدر ما نزيده نحتا وصقلا .

فلماذا الدعوة الى الانحلال تحت ستار الفن للفن ؟

ولماذا تكون اثاره الغرايز البهيمية فنا ، ويكون التعبير عن القيم الروحية والمثل العليا تبشيرا ؟ بل لماذا يكون وصف مأساة فرد عملا فنيا ، او مأساة اسرة ، ويمتنع عن الفــن وصف مأساة امة بأسرها ؟

قضية الفن قضية اداء واجب ، قضية ابداع . ونظرية الفن للفن، اذا استثمرت على غيرها حقيقها، فكرة هدامة، فكرة تدعو ــ عن قصد او عن غير قصد ــ الى الانحلال الخلقي ، فالاضمحلال القومي ، فالانحطاط الانساني .

اقول اذا استثمرت على غير حقيقتها ، وارجو، الا يفوت احدا هذا التحفظ !

« الادب والقومية العربية » لا تحديد ولا توجيه بالمعنى الذي يحد من حرية الاديب او يخرجه عن سجيتــه . والعروبة ، بعد ، حركة خير ، حركة قومية انسانية ، لــها تراثها الانساني الزاخر ، وهي تجتمع اليوم بصفوة مفكريها لتحييه وتنميه .

فيا ادباء العرب !

بقدر ما تبدعون في الاداء ، وبقدر ما تحملون الكلمــات من الطاقة المكهربة ، وبقدر ما تتحسسون مشاكل امتكم في بؤسها ونعيمها ، وبقدر ما ترفعون هذه المشاكل الــى المستوى الانساني ... بقدر ما تنتجون ادبا خالدا .

وبعد ، فانه لمن دواعي الاعتزاز ان نجتمع هنا ، على

ضفاف النيل ، في جوار بورسعيد ، المدينة التي حطمت ثالوث الشر ، فدفعت عن العالم العربي غيلة الاستعمار

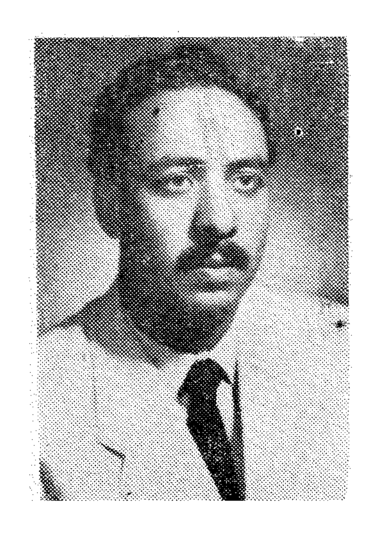
انه لشرف للادباء العرب وغبطه ان يرعى مؤتمرهم سيد الكنانة ، بطل الجهاد العربي ، بطل استعادة فلسطين ان شاء الله !

ان الملحمة التي سطرها الشعب المصري العربي بدمائه الزكية على صفحات البطولة ، لاروع من الالياذة وابلغ من الشاهنامه . انها انتصار للايمان على النار . . والحديد . انها الجزاء الوفاق للطغيان المستبيح . انها اخرجت عبد الناصر من نطاق مصر ومن نطاق العروبة وجعلت منه بطلا من ابطال العزة الانسانية ! !

فباسم ادباء العرب في لبنان اشكر لسيادة رئيس مصر هذه اليد البيضاء على الادب العربي ولحكومته الكريمة حفاوتها البالغة، وللقائمين على تنظيم المؤتمر جهودهم المثمرة واتمنى على الله ان يجمع كلمة العرب ويؤلف قلوبهم ويوحد خطاهم الى ما فيه خير العروبة .

عشتم ، عاشت مصر ، وعاشت القومية العربية

سليم حيدر



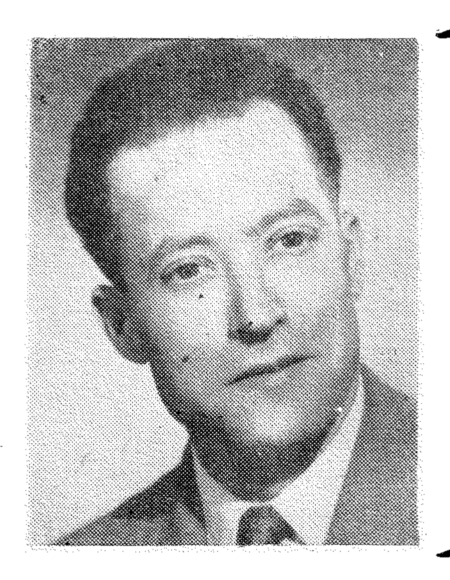
عذاب الحرف

(هذا النشيد الاول من قصيدة طويلة ، يعرض فيها الشاعر حياته ومعاناته كانسان في هذا العصر الحديث . وهذا النشيد تقديم للقصيدة ، ونهجه هو النهج الذي سارت فيه الاناشيد اللاحقة)

سأحكي قصتي للناس ، للاصحاب ، للتاريخ أن أذنت
مسامعه الجليلة لي ... فان طابت وان حسنت
سيفرح قلبيَ المملوء بالحب .. يطيب القلب
اذا ما اغفت الكلمات في الاسماع هانئةً
منديَّاة بعطر الحب
اذا ما صادفت كلماتنا ، الشعراءَ ، شعرا في مسامعكم
اذا ما قال قائلكم
وراء الكلمة المهموسة الترجيع قلب عاش
وانسان احب ، ووجه غانية ، وكأس مر
وحفنة بر
وسعي في فجاج الارض .. يا أصحاب
وأعلم انكم كرماء
وأنكمو تحبون القريض ، وأهله الشعراء
وانكمو سغتفرون لي التقصير عن سبق الى التعبير
وعن تدوير ما يمتد في الدنيا الى كلمات
وعن بسط الذي يلتف في نفسي الى كلمات
وعن تنغيم هذا الزمن الموحش موسيقى
وعن وحشة موسيقى السماء بقلبيَ الموحش
وأعلم انكم كرماء
وانكمو ستغتفرون لي التقصير.. ما كنت ابا الطيب
ولم أوهب ــ كهذا الفارس العملاق ــ ان اقتنص المعنى
ولست انا الحكيم ... رهين محبسه بلا أربِ
لاني لو قعدت بمحبسي لمتُ من سغبِ
ولست انا الامير يعيش في قصر بحضن النيل
يناغيه مغنّيه
وملعقة من الذهب الصريح تطلّ من فيه
ولكني تعذبت لكي اعرف معنى الحَرف
ومعنى الحرف اذ يجمع جنب الحرف
ولكني تعذبت لكي احتال للمعنى
لكي املك في حوزتيَ المعنى مع المبنى
لكي اسمعكم صوتي في مجتمع الاصوات
وقفت امامكم ورفعت كفي قائلا : هيا
هنا انسان
يريد يدير في فكيه الفاظا يدحرجها الى الانسان
لتصنع نقمة في القلب او فرحا
تكون مجنءً من جُرحا
وسهما في حشا القاسي ... الذي جرحا
وقفت امامكم بالسوق يا أهلي .. انا ابنكمو الذي من
حجر نقرا
ولم يرفضه البناء
وأعلى فوق منكبه بناء زاهي الطلعه
مربعة جوانبه ، ومطليا بماء السعد
لكي تأوي له احلامكم والدفء والزوجات والابناء
وأعلم انكم كرماء
شفيعي انتمو للشيخ ... هذا الابد المرهوب
لكي يحفظ في واعية الايام اسما ساذجا للغاية
بجنب الفارس العملاق والشيخ الضرير وحامل الرايه

القاهرة

صلاح عبد الصبور



حماية الادب والقومية العربية

بقلم محمود المسعدي

١ ــ اننا بعبارة « الادب والقومية العربية » قد وضعنا مفهوما بازاء آخر ، ولئن كان الاول عندنا جميعا لا يحتاج الى تحديد ولا تحقيق لانه قائم بأنفسنا في وضع الادراك الخالص البين ، فان مفهوم « القومية العربية » يبدو انه ليس عندنا في تلك المنزلة من الوضوح . ولست اعرف تفكيرا يطمح ان يكون قيما او نظرا يرجى ان يكون صالحا الا ان يكون قائما على التحديد المدقق المضبوط لمفاهيم ما يتناول من الامور . لذلك وجب قبل معالجة موضوع حماية الاديب في صلته بالقومية العربية ان نتفق ولو بالوضع على حقيقة هذه القومية . وقد سمعنا هنا من طالبوا بتحديد مفهومها، وسمعنا في ذلك فعلا اقوالا اختلفت وتعددت حتى كأنها الحيرة والاضطراب . ولكنني لا ارى في ذلك لا حيرة ولا اضطرابا ولا اخشاهما علينا منه . فاذا اختلف في الناس تحديد حقيقة ما فثق بأن ذلك لانها ليست من البسائط، وانها متعددة النواحي ، فكل ينظر اليها من ناحية ويتحدث عما يرى . وجلي ان القومية العربية ليست من المفاهيم البسيطة وان مقوماتها عديدة وعناصرها المكونة مختلفة متنوعة .

أ ــ فهناك مجموعة اولى من تلك العناصر قد حللها الدكتور طه حسين وغيره من الزملاء قبلي احسن تحليل . منها وحدة اللغة التي هي العربية ، ووحدة الادب الذي هو عربي ووحدة الثقافة والحضارة اللتين هما عربيتان اسلاميتان على وجه العموم وان تأثرتا بثقافات وحضارات غير عربية ولا اسلامية وأخذتا منها ، وشملتا في القديم وفي الحديث مشاركة أناس ليسوا من العرب جنسا وليسوا من المسلمين دينا واستفادت منهم . هذا هو القسم الكبير الاول من العناصر القومية العربية ومقوماتها التكوينية . وهي جميعا كما ترون عناصر معنوية من ناحية وتاريخية ووراثية ، تنبع من الماضي وتتصل بالحاضر من ناحية ثانية ، وعلى هذا صح قول الوفد السوداني الكريم ان القومية العربية « رابطة معنوية بين جماعة من البشر يلتفون حول التراث الذي حملته اللغة العربية » .

ب ــ لكن الى جانب هذا القسم الاول من العناصر الموروثة القارة والمتجددة الحية في آن واحد ، يدخلُ في مفهوم القومية العربية عناصر اخرى هي ألصق بالزمان والمكان ، وأشد ملابسة للظروف وتقلبات الاحوال . ليست من جنس القيم المعنوية التي هي نتاج تجارب الامة على وجه الدهر بل هي في جنس الماديات التي تتولد من صميم الواقع المتطور المتحول المتغير من عصر الى عصر وقطر الى قطر . اعني بذلك المصالح الاقتصادية والسياسية والمقتضيات الاجتماعية ما يكون لدولة دولة وشعب شعب من الدول والشعوب العربية بحسب مواقعها الجغرافية ومعطيات اقتصادها ومجتمعاتها وظروفها السياسية الخاصة . وليس من شك في ان المصالح والمقتضيات من هذا النوع تتحد بقدر ما تريده «طبائع الاشياء» حسب عبارة ابن خلدون وتختلف بقدر ما يريده اختلافها . فلا ريب أن الانسان لا يستطيع دائما ان يتصرف فيها تصرفه المطلق ولا ان يسيطر عليها ويسخرها كما يشاء لاهداف قوميته التي يرتضيها الا أن يتعمد الخروج عن الواقعية الفعالة الى مزالق الاوهام ومغالطات العاطفية والخيال .

ج ــ على أن القومة العربية لا تقوم ولا يمكن أن تقوم على ذلك العنصر الثقافي الحضاري الاول وعلى هذا العنصر الثاني من الاتحاد المقدر في المصالح المادية فقط ، بل هي تقتضي في كونها عنصرا ثالثا آخر يتألف مع الاثنين الاولين ويرتكز عليهما ، ولكنه غيرهما . ولا يستقيم كيان القومية العربية بدونه وهو هذا العنصر النفساني البحث الذي يتلخص في الارادة المشتركة للوجود الجماعي . فقد يكون اتحاد في اللغة ويكون اتحاد او نسب قريب في الادب والثقافة ، كما بين الشعوب الانجلوسكسونية ، وتكون مصالح اقتصادية وسياسية مشتركة كما بين كثير من امم العالم دون أن ينتج عن ذلك « قومية » واحدة بعينها، وأخص خصائص قوميتنا العربية التي غالبت الدهور هي انها لم

تزل تتجدد فيها هذه الارادة المشتركة لوجود اجتماعي متحد او مؤتلف قد يشمل في بعض الاحيان جميع نواحي الكيان الموحد من ثقافية واجتماعية وسياسية ، وقد لا يشمل الا بعض تلك النواحي في احيان اخرى ، وعلى اختلاف المحتوى فان القومية تبقى ما بقيت الارادة المشتركة طاقة حياة وغريزة وجود مركوزة في صميم القوم تضم الفرد الى الفرد والجماعة الى الجماعة ، وقد تظهر هذه الارادة بمظهر غريزة الدفاع عن الكيان وطاقة الكفاح الحيوي في اوقات الخطر ، وتتجمع قواها اذ ذاك كلها في الناحية المهددة منها ، سواء اكانت لغة او دينا او مصلحة اقتصادية او استقلالا سياسيا ، كما كان ذلك منها عندما نهضت للشعوبية فكانت دفاعا عن جنس العرب ودرءا لتلبه وانتقاصه ، او عندما حاربت بيزنطة في عهد بني حمدان والمتنبي او جابهت جيوش النصارى في عهد الحروب الصليبية فكانت دفاعا عن الاسلام وعن حوزة الاسلام،ولعلها لم تظهر في أي عصر مضى بمظهرها الكامل مثلما ظهرت في العصر الحديث تجاه الموجة الاستعمارية التي طغت على عموم بلدان العالم العربي والاسلامي ، فكانت القومية العربية دفاعا عن الاسلام واحياء له على يد محمد عبده وأمثاله من المصلحين الدينيين ، وكانت ثقافة دينية على يد علماء الشرق الحديث وادبائه الذين عملوا منذ قرن ونصف قرن على بعث الادب والتفكير العربي وتجديدهما والنهوض بهما الى هذه النهضة الحديثة المباركة التي لا نزال نحياها ، وكانت سياسة اقتصادية تحريرية في مختلف الحركات الوطنية التي كافحت الاستعمار حتى حررت الاوطان العربية الواحد بعد الاخر ، ولا نزال نشاهد آخر معركة لها في كفاح الشعب الجزائري الباسل المجيد .

٢ — واذ وضعنا بهذا ، مفهومنا للقومية العربية بمختلف عناصرها ومقوماتها ومظاهرها ، فقد اصبح غير عسير علينا ان نجعل بازائه مفهوم الادب والاديب ،وان نحدد بالضبط العلاقة بين مقتضيات حماية الاديب ومقتضيات القومية العربية .

أ — وأعتقد أن اول ما ينبغي ان يحتمي به ادبنا وأدباؤنا هو الوقوع في احد خطأين يجر أحدهما الاخر : خطأ سوء الفهم لحقيقتهم وحقيقة وظيفتهم وخطأ سوء الفهم لحقيقة القومية العربية وما تقوم عليه من عناصر . ومن صالح القومية العربية نفسها أن تحمي الادب والادباء ، وان تصون نفسها ايضا من الوقوع في هذين الخطأين ، فان صح ان القومية العربية تراث ثقافي واتجاه عقلي مشترك ومصالح مادية قد تتفق وقد تختلف ، وارادة مشتركة لكيان جماعي متحد او مؤتلف ، فان من وظيفة الادب والاديب ان يساهما فيها في الميادين التي هي من جنسهما . فليس الاديب صاحب اقتصاد حتى يسأل على العمل على التوحيد او التعاون الاقتصادي او الدعوة اليهما وهو لا يدري كيف يمكنان وهل يمكنان . وليس هو من حيث هو اديب مضطلعا بمسؤولية الحكم السياسي او الدعاية السياسية حتى يسأل بتحليل الاوضاع السياسية لمختلف البلدان العربية ووضع الخطط لتنسيق سياساتها او النفخ في ابواق الدعاية لها . ليس الاديب بشيء من هذا وان كان لا يخلو من واجبات قومية سياسية واقتصادية بصفته مواطنا عربيا ، اما من حيث هو اديب فانما هو كائن خلاق بفنه وفكره . ولو حملناه على غير ذلك عسفا لمسخناه مسخا .

ب — فاذا كان الاديب هو هذا فان أوجب ما تجب حمايته له هي « حريته » لانها شرط قدرته وخَلقه ولانه لا يستطيع بدونها ان يخدم العنصر الثقافي من القومية العربية الذي هو مهيأ الى المشاركة فيه بالطبع ، وقد تتفجر قريحته تفجرا تلقائيا بالقصيدة القومية الحماسية او بالمسرحية او القصة الممجدة للقومية ولعظماء القومية . ولكنه قد تنصب قريحته على غير ذلك ويكون منصرفا بالطبع عن الناحية السياسية او الدعائية من القومية العربية دون ان يكون خائنا لهذه القومية او متنكرا لها او مظهرا لها عقوقا . ويكفيه شرفا في هذه الحال وخدمة لقوميته ان يكون الاديب الذي يجدد في سلم القيم الفنية او وجهة النظر الى المشاكل الوجودية فيجدد لي بذلك تعلقي بثقافتي العربية واعتزازي الانساني بالانتساب الى القومية القائمة عليها . ولو هو انصرف بي في ادبه عن كل ما يتصل بالقومية العربية من مشاكل فانه يكفيه شرفا وخدمة ان يغذي فكري ويزيد نظرتي للوجود وللحياة خصبا ووضوحا ويقوي في الذاتية وشخصيتي الانسانية فيعزز امتيازي وامتياز قومي بخصائصنا الفذة التي تحتم احترامنا كمجموعة انسانية وتفرض وجودنا على التاريخ فرضا .

ج — وحرية الاديب هذه التي تجب حمايتها كأقدس ما يحمى من القيم البشرية لا تحتمل اي حصر ولا تحديد لانها في جوهرها مطلقة او لا تكون ، فانه لا يكفي ان نعتق الاديب من رق المسؤوليات السياسية او الدعاية لاوضاع اقتصادية او اجتماعية او سياسية معينة لنضمن له حريته كاملة ، بل يجب ان يكون اطلاقنا له في ميدانه الخاص به — ميدان الادب والفكر — اطلاقا كاملا لا قيد فيه ولا تضييق . فلا نحاول حصره في « ايديولوجية » معينة فنحمله على الماركسية مثلا او على ما يقابلها من مذاهب فكرية غربية او شرقية . ولا نرى ربط شعوره بقومية معينة قد تفيض عنها نفسه الكبيرة ، ولا حبسه في ثقافة دون غيرها . وبعبارة اشمل لنتجنب توجيهه نحو نوع من الفن او ضرب من التفكير دون الانواع والضروب الاخرى . فان اخطر ما يجب ان نخشاه هو أن يصير مجتمعنا العربي خاضعا لهذا النظام الذي لا ينجو فيه من التوجيه والتسيير والمراقبة نشاط سياسي ولا ادب ولا علم ولا فن ، هذا النظام الذي يأبى على الفكر والادب ان ينتهيا في طلبهما للحقيقة وجوسهما عليها الى نتائج قد لا تلائم اهدافه واغراضه ويراها خطرا عليه فيزجر عليهما زجرا ، الا وهو نظام « التسخير الكلي — ان صح هذا

التعبير – الذي اطلقت عليه اللغات الاجنبية لفظ « توتاليتارسم – Totalitarisme » ، ذاك ما يجب ان نصون انفسنا عنه حتى لا يصبح مجتمعنا اشبه شيء بالمصنع الذي يخرج النسخ المتعددة من المصنوع الواحد على مثال واحد ووتيرة واحدة . ان الانسان جوهر فرد . ذلك ما ينبغي له ان يكون وذلك هو سر شرفه الاسنى في الوجود. بل انه لمن الحق المبين ان الانسان ما اشتدت فرديةجوهره الا اشتد اتصاله بانسانيته ووفاؤه لرسالته في الكون .على أن الاديب قد يجد اكتمال انسانيته في الاتجاه بفرديته الى التعمق في الذات والتيه في ابعادها فيبدو لنا منقطعا الى « الفن للفن » او الى « الحياة في الابراج العاجية » كما يقال ، ولكنه لا يزال مع ذلك ومن خلال فنه يجتذبنا الى انسانيته الكاملة ويرفعنا افرادا واقواما الى منازل الشرف والسمو . وقد يجد اكتمال انسانيته في الاتجاه بفرديته الى التوسيع من نطاقها بالملابسة للكثرة والاتحاد الوجودي بالملايين . فاذا هو يشرف بنا من هذه الطريق الاخرى على نوع من الكيان الانساني لا يقل جلاله ولا تقل عظمته عن ذلك النوع الاول .

د – ذاك اهم ما ينبغي ان نحميه من حقوق الاديب وان نجعل له من حرمة ، ويبقى بعد هذا بعض وجوه الحماية والرعاية مما لا يثير مشاكل في المبدأ سأكتفي بذكرها ذكرا موجزا .

من ذلك ان الاديب العربي لا يزال كمنتج وكمالك لما ينتج غير متمتع بحماية القانون لملكيته الادبية . ان معظم دول العالم المتحضر لها قوانينها الداخلية والتزاماتها الدولية في هذا الصدر . ومن العار ان يبقى شرقنا خاليا من مثل هذه القوانين والالتزامات وأن يستمر الناهبون والسارقون والمستغلون على السطو على انتاج الادباء دون ان يزجرهم عن ذلك قانون ما بعقاب ما . ومن المضحكات المرة ان لا يكون في يد الاديب سلاح يدافع به عن نفسه في هذا الميدان الا قلمه الضعيف يخط به في اول صحيفة من كتابه هذه العبارة الجوفاء « جميع الحقوق محفوظة للمؤلف » وقد يليق بمؤتمرنا هذا ان يتخذ توصية خاصة في هذا الغرض يتجه بها الى جميع الدول العربية مطالبا لها بسن قوانين تحمي حق الملكية الادبية على غرار ما هو موجود في القوانين الداخلية للامم الاخرى وفي المعاهدات الدولية الرابطة بينها .

ومن رعاية الادب والادباء ان يجدوا من قبل الحكومات والمؤسسات العلمية ما هم في حاجة اليه وما هم حقيقون به من مساعدة مادية مالية وغير مالية . ولست أعني بذلك ان الاديب يجب ان يوضع بموضع المستجدي او المتصدق عليه فان كرامته تربأ به ويجب أن تربأ بالحكومات والمؤسسات عن ذلك ، وانما اعني هذه الاشكال المختلفة من المساعدة التي تيسر على الاديب وترفه حياته المادية والمعنوية بتوفير وسائل التفرغ للعمل الادبي وتشجيع النشر بما يضمن للاديب التخلص من استغلال دور النشر التجارية لجهوده وانتاجه دون كبير مقابل وتسهيل الاتصال على الادباء بالحركات الادبية والفكرية في العالم وارسالهم على غير نفقتهم الى الخارج للمؤتمرات وغير المؤتمرات وباحداث الجوائز الادبية المختلفة خاصة للاخذ بيد الادباء الناشئين الى غير ذلك من وسائل الاعانة والرعاية . ولنعتبر أنه اذا بقي الاديب في حياته المادية منكبا على الارض ليرتزق ويعيش فانه كثيرا ما ينكب معه ادبه فيلتصق بالحضيض . وكأي من اديب قضى عليه واجب الارتزاق بأدبه ان يتنازل الى درجة الادب الصحفي والى مضيق المقالة او الاقصوصة المعجلة الصنع وهو قادر على احسن من ذلك بدرجات .

٣ – هذه هي الخواطر الفطيرة التي عنت لفكري عندما سئلت التحدث اليكم في هذا الموضوع . وقد قدمتها اليكم على علاتها ومع اني – كما قلت اول كلامي – غير راض عنها كل الرضا فاني ارجو ان اكون بما الححت في بسطه من قضية حرية الاديب قد ساهمت في شرف اظهار هذا المؤتمر في مظهر مؤتمر رجال ادب صحيح وفكر حق وثقافة مفتحة وفن قيم حتى يبدو لجميع الملاحظين من الاعداء والاصدقاء ان قوميتنا العربية ألتي حاولنا بيان علاقتها بأدبنا تأبى التعسف والاكراه وانها بالعكس في اهدافها تطلع جماعي الى حال انسانية افضل وأسمى وقيم حضرية أثبت وأعلى وفي جوهرها اوساع مترامية من الحرية والخلق والانشاء .

محمود السعدي



حول «حماية الأديب»

الحرية في خدمة القومية العربية

بقلم
الدكتور جودة الركابي

منذ ان غنى الانسان لحن ذاته ، وتحدث عن حبه وآلامه وذكرياته، شعر برابطة قوية تنبعث من اعماق نفسه لتربطه بالنفوس التي سبقته وبالنفوس الاخرى المحيطة به . هذا الشعور الذاتي يضم اعمق معاني الوحدة الاخوية . انه يتصل بالنفوس القريبة ، النفوس التي عاشت على نفس الارض وشربت نفس الماء واستنشقت نفس الهواء ثم لوحتها الشمس بنفس السمرة . ثم اذا هي تناجي بنفس اللغة وتردد نفس الذكريات وتجد ملامحها في كل وجه وتسمع صدى حزنها وفرحها في خفقات كل قلب يعيش الى القرب منها ... هذا هو الشعور القومي القديم الذي وجدت فيه كل امة شخصيتها والذي يجد ذاته الانسانية عندما يبتعد عن العصبية .

وكذلك قوميتنا العربية ولدت معنا ، وكانت روحا مبثوثة في تاريخنا وأدبنا وتراثنا الفكري والنضالي . وهي منا كالحياة ، نستيقظ باستيقاظها ونخبو بخبوها . وقد دل واقعنا المترامي في الماضي والحاضر على خلودها فينا ، وعلى أنها سبب بقائنا . ولم تكن في يوم من الايام سببا من اسباب تعصبنا الضيق ، بل انها فتحت فينا آفاق التطلع والبعث والحرية ، وعملت على اتمام شخصيتنا لتتضح فيها معاني الانسانية الكاملة التي ترى من خلال ذاتها مثل الحق والخير والجمال .

نعلم ان هذه القومية كان لها ان تعتز بالعربي لانه كل ذخرها ، فهي من صميم ذاته تنبع ،من هذه الاصول الغنية التي تدفقت لغة كريمة ،ومزايا مجيدة ، وفكرا منيرا ، ونفسا سمحة في انسانيتها المبدعة .

وقد اوحت هذه القومية منذ القديم باجمل النغمات العربية الصافية فرأينا البحتري يصرخ مزهوا مفتخرا بعروبته فيقول :

نحن ابناء يعرب اعرب النا	س لسانا وانضر الناس عودا
وكان الاله قال لنا في الحر	ب كونوا حجارة او حديدا

واذا كانت هذه القومية قد اعترفت بفضلها وزهت بمكارمها ما شاء لها الزهو ، كان من الطبيعي الا تخضع لغيرها من الحاكمين وألا ترضخ للظالمين . وكان عليها ان تتمرد في وجه كل غاصب وان تقف ساخطة امام كل معتد ، الا ترضى بحكم ابنائها مرددة على مسامعهم بلسان متنبيها « وما تفلح عرب ملوكها عجم » .

لقد كانت القومية العربية في فجر التاريخ العربي ساطعة اصيلة ،وجاء الاسلام دعما لها وقوة ، واستطاعت بتكاملها وقوتها ان تسهم في بناء الحضارة الانسانية ، وبقيت فترة طويلة من الزمن تمرح في مجد الفكر وعز الفتح وراحة المحبة .

ولكن العرب غفلوا عن رسالة قوميتهم في فترة لهوهم وتخاذلهم وتطاحنهم فكان ان تقطعت اوصالهم ، ونزلت بهم المحن والكوارث ، فاجتاحهم الغاصبون واستسلموا الى غفوة طويلة ثقيلة كالرصاص :

وخبت نارهم وصب عليهم	عاصفات التعذيب والتنكيد
والتفتنا فلم نجد غير ملك	مزقته أصابع التبديد (١)

ومع أن ما نزل بالعرب كان يكفي ليبيد امة ، الا انهم استطاعوا ان يصمدوا لعوادي الزمن بفضل قوميتهم التي بقيت خالدة كالجوهر،تومض بين الحين والحين في ثنايا نفوسهم وهي تنتظر من يقدح زنادها .

وقام رجال الفكر والادب والنضال بهذه المهمة ، مهمة قدح الزناد، وايقاظ الوعي القومي في النفوس ، ورد القوم الى امجادهم ، واطلاعهم على مخازي واقعهم الغارق في مستنقع الجهل والفقر والظلم والاستعمار .

وعادت القومية العربية تصبح حقيقة تدفع العرب من جديد نحو الحياة.

ولقد كانت هذه الدعوة الى القومية العربية تبغي هدفين متكاملين :اولا الحرية ، وثانيا :التضامن العربي .

اما الحرية فقد كان يرى فيها الادباء اساس الاستقلال الوطني والتقدم الفكري ، لذلك اخذوا ينزلون غضبهم بالمستعمرين والطغاة المستبدين، ويندون بالاضطهاد الاجتماعي والفكري . وكانوا في صيحاتهم هذه يهيئون للكفاح الوطني ويؤججون نيرانه .

لنسمع خليل مطران كيف كان يصور هذه الحرية التي كان يتوق اليها مع ابناء جلدته ، لنسمعه كيف كان ينشدها في كثير من العناد والاخلاص ، ثائرا على الاضطهاد الذي سلط على اقلام المفكرين العرب يوم كان الاتراك ينشرون طغيانهم ويكمون الافواه ، فيقول :

كسروا الاقلام هل تكسيرها	يمنع الايدي ان تنقش صخرا
قطعوا الايدي هل تقطيعها	يمنع الاعين ان تنظر شزرا
أطفئوا الاعين هل اطفاؤها	يمنع الانفاس ان تصعد زفرا
أخمدوا الانفاس هذا جهدكم	وبه منجاتنا منكم فشكرا

اما الدعوة الى التضامن العربي فقد اخذت تتوضح على لسان الشعراء والادباء ورأيناهم في كل قطر عربي يفجرون في لهفتهم الى الوحدة ينابيع القوة العربية الكامنة في قوميتهم . وانها لصرخة مدوية تلك الصيحة

(١) من قصيدة لعمر ابي ريشة مطلعها :

أوقفي الركب يا رمال البيد	انه تاه في مداك البعيد

العربية التي صاحها حافظ ابراهيم منذ خمسين سنة وقد استبق بهـا الزمن ليقول الى مكرميه من اهل الشام المقيمين في مصر :

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم　　فصافحوها تصافح نفسها العرب

اجل لقد ازدادت هذه الدعوة قوة وازدادت نارها ضراما كلما امعـن المستعمرون في تمزيق وحدة العرب ، فقام الشعراء يصلونها نارا حامية في وجوههم تسبق نار الثورات المتتالية التي اخذت تغشى دنيانا العربية . وتردد الشعر القومي يغذي الوجدان العربي بمثل هذه النبرات القومية التي كان يطلقها امثال حافظ وشوقي والزهاوي والرصافي ومطران والبزم وجبري وبشاره الخوري وغيرهم من شعراء النهضة العربية وادبائها .

هذه النبرات كانت تتغلغل في النفوس ، وكيف لا تتغلغل وهي تحمل الى القلوب عبير المجد وتفتح العيون على اضواء المستقبل ؟ فلنسمع من الشاعر محمد الشريقي ، شاعر الثورة السورية ، هذا اللحن ، انه من هذه النبرات التي تحمل اجمل معاني الوحدة العربية ، يقول :

يا سـحابا يزجـي الينـا ركامـا　　فترى الودق فائضا من خلالـه

أين تغدو ؟ إشاطىء البحر ترجـو ؟　　أم بواديه ؟ ام رؤوس جباله ؟

األى مصر أم الى الشـام تصبـو　　والشقيقان واحد في وصالـه

وطن العرب خافـه كل عـات　　أغرق الفاتحين بحر وصاله

كفلته الصحراء شرقا وغربـا　　حتى فت الاعداء في اوصاله

وهكذا لم يعد الادب يتلهى بالالفاظ والاشكال ، ولم يعد يلهي الناس بعبث لا هدف له ، بل اصبح يعمل في سبيـل غاية ، اصبح ينبض بأنبل الافكار ، ويغذي ثورات الامـة العربية التائقة الى الحياة الحرة ، حياة لا تعرف القيـد والذل ، ولا تعرف الهوان والجور ، بل تبغي الكرامة والعزة والعدالة والسلام .

وما دام اثر الادباء في بعث وعينا القومي هو الذي ذكرت أفلا تجب علينا حمايتهم ، بل الا تجب هذه الحماية لمجرد كونهم ادباء ، اي انهم اصحاب رسالة .

فالاديب لم يعد غير مسؤول ، بل هو مرشد وموجه، ومن الواجب علينا ان نهيء له السبيل الذي يفسح له تأديـة رسالته .

وأول هذه السبل لحماية الاديب هي : الحرية . الحرية التي تنبع من ذاته وتغذي ابداعه الذي يتجاوب مع قومه .

ان هذه الحرية يجب ان نوفر له اسبابها . فليس مـن العدل ان نسلبه ما سعى من اجله . ليس من العدل ولا من الاخلاص للادب ان نحد من حرية الاديب المبدعة في الوقت الذي طلبها لنا كاملة واسعة ، خالصة من كل شائبـة .

لقد ثار في الماضي على الاستعباد ليهب شعبه الحرية ، فليهيء له هذا الشعب الحرية التي ارادها له ما دام امينا على رغبات شعبه ، حاملا رسالته ، معبرا عن آمالـه ورغائبه .

نعم ان الادب تأكيد دائم للحرية الانسانية ، لانه في بحثه عن الحق والخير والجمال انما يبحث في كل لحظة عـن الحرية . واذا كتب الاديب فهو انما يقوم بهذه المهمة لانه يتحمل دوام الحرية والدعوة اليها .

وما دام الاديب قد وجد في الاصل ليعبر عن ذاته التي هي صورة عن ذات شعبه ، كان عليه ان يبقى مخلصا لهذه الذات ، اي كان عليه ان يبقى مخلصا لهذا الشعب . وعلينا ما دام يتصف بهذه الصفات التي فرضتها عليه ذاته الادبية ان نترك له الحرية لانه لا يستطيع بدونها ان يبدع ويخدم رسالة قومه . ولكن اذا حدث ان تخلى الاديب عن آمـال قومه او انحرف ، يكون عندئذ قد تخلى عن حريته لانـه تخلى عن ذاته ، وتقضي علينا حينئذ المصلحة القومية التي لا نفرق بينها وبين الذات الانسانية ان نراقب من لا يزالون يلقبون انفسهم بالادباء ، والكتاب والشعراء لانهم اصبحوا لا يستجيبون لذواتهم بل يعملون في سبيل رغبة خارجة عنهم .

ان الرغبة يجب ان تنبعث من الاديب ذاته ، وان رغبـة الاديب الذي يستحق هذا اللقب هي رغبة سامية تستحق كل حرية . اما اذا اتصفت هذه الرغبة بما لا ترضـاه الذات الانسانية السليمة ، المحبة للحق والخير والجمال فعلينا عندئذ ان نكون رقباء ، وهذه الرقابة انما تفرضهـا القومية التي اتحدت مع ذات الاديب . وقد تصل بنـا الرقابة عند بعض من كنا نسميهم بأدباء الى ان نقول لهم: اسكتوا ، إنكم مخربون ، لقد خسرتم معاني رسالتكم السامية، انكم لم تعودوا ادباء لانكم تخليتم بانحرافكم عن حريتكـم الشخصية .

فالقومية العربية لا تخلق الا الاديب الحر المستحـق للحرية ، لان القومية والذات شيء واحد ، فالابداع الفني يتولد في النفس نتيجة لعوامل خفية لاشعورية عميقة. وهذه العوامل انما هي جذور تربط الاديب بجذور الضمير العربي.

فالقومية العربية اذن هي وعي بالضمير العربي وبشخصية الامة العربية ، لذلك عندما يعرب الاديب او الفنان بأدبه او فنه عما يجيش في نفسه يكون بذلك قد عبر عن ارادة قومه في تلك اللحظة من تاريخ الامة . ومن هنا كان التعبيـر مبدعا خلاقا متجددا بتجدد ارادة الامة وتطورها طـوال مراحل تاريخها . لذلك عندما يبدع الاديب فهو يبدع مـا يجيش في صدره من عواطف تربطه بالضمير العربي . فاذا خرج الاديب وشذ وانحرف كان معنى ذلك انه لم يكن حرا بل تنازل عن حريته الشخصية وتنازل عن الصفة التي تربطه بقومه وعندئذ لا يصبح اديبا بل يمكننا ان نعتبره مؤلفا او مأجورا ، فاذا كان الاديب شاعرا خسر صفـة الشاعرية المبدعة الخلاقة وأصبح ناظما ، واذا كان ناقدا خسر صفة النقد وأصبح داعية .

فحرية الاديب اذن اما ان تكون او لا تكون . وفي حالـة تنازله عنها تجب مراقبته . ومراقبتنا له لا تعني في الواقع اننا نراقب ابداعه الحر كأديب لانه لم يعد اديبا وانما نراقب سلوكه المفتعل الذي يجعله مؤلفا او ناظما او داعية بدل ان يكون مبدعا خلاقا ، كاتبا او شاعرا او ناقدا صادقا .

وحماية الاديب تقضي علينا بأن نؤمن له عيشا كريما يتناسب مع صفة القيادة التي له ، ويتناسب مع احساسه وذوقه المرهف . لا يكفي فقط ان نكفيه غائلة الجوع والعوز، على الرغم من ان كثيرا من الادباء – ويا للاسف – يجوعون، بل يجب علينا ويجب على الدولة التي تعبر عن ارادة الشعب ان تهيء له العيش الذي يتفق مع انسان العصر، وتؤمن له المستوى الاجتماعي اللائق باحساسه ، وتؤمن له الفراغ اللازم لانتاجه وتدرأ عنه متاعب الحياة المادية .

فمن هو اجدر من الاديب بالنعيم وهو الانسان المرهف الذي يعرف قيمة الكفاءة ويعرف ما يميزها عن لعب الصدف وعن مكر الماكرين ووجاهة المحتكرين ؟ ان من العار ان نرضى له باليسير . انه يمثل تطلع الامة فلنهيء له الدفء ولنهيء له ما يحتاج كانسان كريم يعيش في القرن العشرين .

ان العبقريات المحرومة الساخطة تستطيع ايضا ان تعزف الانشودة الخالدة في قصر منيف اذا كان بين جوانحها نفس مخلصة . والاديب الحق هو من يضم هذه النفس المخلصة فلا تخشوا رغد النعيم تغدقونه على الادباء المحرومين !

ويجب علينا ان نحمي الاديب من قوى الشر والفساد ومن اضطهاد المجتمع الفاسد المتخلف كي يستطيع ان يؤدي رسالته في تصوير هذه القوى التي تعمل في نخر جسم الامة والحؤول دون تقدمها . اذ نخشى اذا لم نهيء له اسباب الحماية ان يخضع لافساد مفسد اومغريات مضرة فتضعف نفسه امام لهب الشر وبريق الاغراء ويتحول عن رسالته الفاضلة .

نعم قد يقول قائل ان اديبا لا يجد في ذاته المناعة الكافية لمعالجة هذه القوى الشريرة لا فائدة من حمايته . ولكن أليس مما ينعش نفس الاديب الفاضل ويشحذها ان ترتفع الى جانب صوته اصوات اخرى آمنت بالخير ولديها من القوة والسلطة ما تستطيع ان تدرأ به عاديات المفسدين ؟ كم يثلج نفس الاديب ونفس كل ملهم بل نفس كل انسان ان تمتد اليه يد سليمة تملك السلطة والقوة لتدفع عنه سكينة مسمومة تمتد اليه في الظلام ! اننا نبارك هذه الايدي النقية التي تحميه ، انها ولا شك من صنعه ، ومن نفثات قلمه .

نعم ان على الاديب العربي ان يصنع هذه الايدي السليمة، وعليه ان يصنع الحكومات التي تعرف كيف تدرأ عنه الفساد الروحي والفكري . ولعل اخطر فساد يلاقيه هو ما يبثه الاستعمار في وقتنا الحاضر من ثقافة مسمومة تهدف الى بلبلة افكاره ، وزعزعة ثقته ، واضاعة معالم ثقافته الوطنية الصحيحة . وعلى الحكومات ان تقف في وجه هذه الثقافة المسمومة التي ليس فيها من العربية الا اللفظ والتي تصنعها المصانع الاستعمارية والاقلام المأجورة وتهدف فيما تهدف الى اضعاف روحه ، وتبديد آماله ، وغمره في قلق الشك ، وميوعة الانحلال .

* * *

وحماية الاديب يجب ان تأتيه على انها عون ومساعدة، وتشجيع واكرام ، وتقدير وتفتيح آفاق ، لا على انها الزام واكراه .

فعلى الاديب ان توجه اليه الحماية ليخدم لا ليشعر بالتبعية ، ويجب الا تأتيه الحماية عن طريق مباشر فالطريق المباشر يؤذيه لانه يحمله على ان يشعر بالارتباط ، فيجب ان نبعد عنه هذا الشعور ونحترم كرامته واحساسه وقيمته الانسانية الحرة .

وأرى ان افضل حماية توجه للاديب هي في ان نسهل له سبل الانتاج عن طريق طبع آثاره ودراستها ونشرها وايجاد دور النشر الشريفة وارصاد الجوائز القومية تقديرا لانتاجه الرفيع .

ان الاديب الذي يبعث الروح في الامة ليقودها الى معارج القيم الانسانية الخالدة ، يجب ألا يشعر في تحقيق اهدافه بوطأة الحماية او بشعور الوظيفة . فابداعه وخدمته للاهداف القومية ليس وظيفة وانما هو رسالة . ولذا كان عليه ان يشعر بان الحماية ليست خارجا عن ذاته وانما هي من صميم ذاته .

وهذه الحماية يصل اليها الاديب في المجتمع المتطور المثالي الذي يعمل من اجله ، وفي قوميته التي انجبته وبقيت تحرسه وتحرس قيمه الخالدة التي بثها في مجتمعه المثالي .

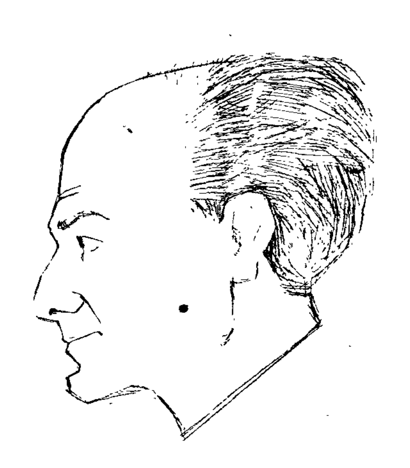
من اجل هذا يحق للاديب العربي اليوم الا يطلب الحماية الا من قوميته العربية ففي هذه القومية التي تعمل لبناء الوطن العربي الحر الكبير ، الذي لا يجد فيه الاستعمار ولا الاستغلال سبيلا ، في هذه القومية العربية تكمن اكبر حماية للاديب بل اكبر حماية لكل مواطن عربي ينشد الحياة الحرة والمستقبل العادل الكريم .

فليكن اديبنا العربي اذن كما كان دائما في خدمة هذه القومية لانها الطريق الى العزة العربية المنشودة . ولنحي باكبار واجلال عملاق هذه القومية العربية وقادح زنادها ومضرم نارها الرئيس جمال عبد الناصر الذي بعث في كل نفس عربية هزة المجد وعزة النصر وفتح من جديد امام هذه الامة العربية باب الخلود .

جودة الركابي

المجد للكلمة

(الى الشعراء والكتاب العرب الذين التقوا في القاهرة ..)



احمد عبد المعطي حجازي

شكرا ...
للكلمة ، يا اهــل الكلمــه !
شكرا للفتحة ، شكرا للضمه !
شكرا للراوي في الصحراء
كم نقب عن بيت مفقود
من قلب قصيد
شكرا للمطبعة الصماء
يدها البكماء
تصنع ألفاظا تتكلم
تصرخ ، تتنهد ، تتألم
تبقى ..
لا تطمسها ظلمه !
تجمعنا نسجد للكلمه !
الكلمة طير
عصفور حر
يطلقه الشاعر من لبنان
فيطير يطير الى وهران
لا يوقفه سور ، لا يمنعه جسر !
والكلمة سحر
اربعة حروف صادقة النبره
حاء ، راء ، ياء ، هاء
تشعل ثوره !
والكلمة روح
لو قالتها شفة مسيح
وهي تراب
في شفة يهوذا الكذاب !
يا شعراء !
يا كتاب !
يا حراس الكلمه !
قولوا .. المجد لها
حارسة الوحدة ، جامعة الكلمه ! !

الشعر تعبيراً ووظيفة في التراث العربي

بقلم الدكتور
محيي الدين صابر

الشعر موسيقى ناطقة ، ومعنى هذا انها موسيقى مباشرة ، تتصل بحرفيتها في مستويات متشابهة ، وبايحاءاتها في مستويات متقاربة الى النفس

وهو موسيقى انسانية ذاتية ، ومعنى هذا ان مصدره الانسان ، ووسيلته الايقاعية نابعة من كيانه ، ومستبطنة من طبيعته ، دون عون خارجي ، وهو قبل ذلك وبعده صورة العاطفة البشرية المنغمة .

والشعر بهذه الخصائص اقرب تماسا والتصاقا بالنوازع الحنانة في النفس الانسانية . وكان الشعر، وما يزال، التعبير الاصيل ، عن تلك النوازع الحنانة ، والصورة الناطقة عن تلك العواطف المبهمة . فنشأ في رحاب التغييرات الحالمة، فجرى على لسان السحرة ، وتقدم الكهنة فمشى بين ايديهم، وانساب على لهوات العشاق ، وصاحب المثل الانسانية الكريمة في النفس البشرية فغنى لمواكب البطولات الملاحم الجسورة ، وحمل القيم الانسانية ونغمها .

والشعر متشابه الميلاد في الشعوب ، ومتشابه المكانة بين الفنون تاريخا ، فهو اول نشاط فني وعمل جمالي لجأ اليه الانسان للتعبير الناطق ، فكان بذلك اساس الثقافات الفنية ، فهو لا يتطلب اكثر من قلب حنان ، وعاطفة مستجيبة ، انسانية موهوب . والموهبة خاصة بشرية، توجد حيث وجد الانسان دون انتصار لمتى كان ذلك الوجود .

ومن الحق ان الموهبة تتسع بالصقل ، وتخصب بالدربة، ولكن العقل والدربة كليهما يعملان مع الموهبة فالموهبة هي الاساس العام للنشاط الفني.

والشعر ، اداته الكلمة . ولكنها الكلمة جميلة منغمة ـ الكلمة في اقصى طاقاتها الموسيقية والكلمة في اقصى حساسيتها الجمالية . فالجمال والموسيقى في الكلمة ، هما اللذان يكونان الطبيعة العضوية للشعر .

واذا كان الشعر ، كتعبير قيدته طبيعته في مجال خاص ، فان تلك الطبيعة نفسها . قد حددت الى مدى كبير ، طبيعة وظيفته ، فاستأثر بالترجمة عن وساوس النفس واشجانها وبهجاتها وآمالها وارتبط نشأة وتطورا بالنداءات المباشرة للانسان الشاعر ، وكانت الحياة ذات يوم تدور حول فردية الانسان ، فلم تكن العلاقات البشرية بهذه السعة ، ولم تكن التنظيمات الاجتماعية بهذا التعقيد ... لم يكن العالم وحدة فكرية ، ولا وحدة اقتصادية ، ولم يكن الزمان والمكان بهذا الهوان ... واتساع المعرفة الانسانية وامتداد نشاطه ، وتعدد علاقاته ، وتداخل مصالحه ، كل ذلك وضع القيم الفكرية كلها ، وضع لجدل والنقد .

وتعرض الشعر كقيمة فنية وفكرية لهذه التجربة . ونوقشت طبيعته العضوية ، هل الجمال مطلق ام هو نسبي، وهل الموسيقى لا تتكامل ، ولا توجد الا في النطاق الموروث ، ونوقشت وظيفته ، هل يظل الشعر يدور في مجاله التاريخي ظلا للنفس البشرية ووساوسها مستهدفا متعة التعبير عن النزوات المباشرة ، ومتعة الجودة الذاتية ، ام يتسع ويمتد في الانسان الجديد وعلاقاته المعقدة الواسعة ، ايستهدف الفرد ام يستهدف المجتمع ؟

كل ذلك مما طال فيه الجدل ، واتسعت له المناظرات .

والشعر العربي ، عاش كل هذه التجارب ، وامتحن بكل هؤلاء امتحانا ، هو في بعض الاحيان عسير ومهما يكن من امر ، فان هناك وقفات قصيرات في هذا المقام ، لا معدى عنها ولا محيص ..

فالشعر ، كفن ، غير قابل للاعادة ، كعمل خالق من اعمال الفنان ، لا يمكن وصفه بالموضوعية فهو عمل ذاتي وسيظل كذلك ، ما دام يقوم به انسان شاعر وما دامت القطعة الشعرية التي يقولها ، لا تتكرر ولا تعاد فهو من ناحية منبعه، ككل الفنون ذاتي ...

والى جانب هذا ، فانه قد لصق بالشعر لصوقا تاريخيا، الارتباط بين هذه الطبيعة ، وبين وظيفته التي كانت التعبير المباشر عن الشاعر الذي هو فرد له اشجانه وهمومه ومباهجه .. وليس في رأيي ، شيء من التناقض ، بين ما يدعيه اهل الفن للفن، واهل الفن للمجتمع ، لاننالو قدرنا ان الشعر يبدأ من الشاعر ، فالذي يتطور اساسا هو الشاعر، لا الشعر ، فالشاعر اليوم كانسان في مجتمع متعدد العلاقات غير الانسان الشاعر في مجتمع بدائي محدد العلاقات ، فلا سبيل الى تطوير الشعر الا عن طريق الشاعر نفسه في علاقاته . فتعبير الشاعر الامين اليوم ، عن نفسه ، هو تعبير عن المجتمع ، لان نفسه ليست الا صورة هذه العلاقات المعقدة ... فالموضوع الحقيقي هو الى اي حد يستوعب الشاعر العلاقات الاجتماعية والى اي درجة يكون وعيه بها ، وادراكه لها، وتفاعله معها؟ وكل عمل لا يستهدف، ولا يحقق الامانة التعبيرية فيما حوله ، هو عمل صناعي ، يفقد عنصرا هاما من عناصر الفن بشكل عام . لان العمل الفني انما يستمد حيويته وخلوده ، من الصدق الذي يترجم به ، ومن التجربة

التي يعيشها .

اما الطبيعة العضوية للشعر ، فما يشك احد اليوم ،ان القيم الجمالية ، قيم نسبية ، والقبيح في مكان يكون جميلا في مكان آخر ، وان اللغة كائن حي يتطور ، وأن الكلمة شديدة الصلة بالمعاني التي تؤديها ، وأن كثيرا من تلك المعاني ، كانت صورا لمجتمعات اندثرت ، ونشأت مجتمعات ذات معان جديدة ، فالتمسك بلغة شاعرية تاريخية لا مكان له . . . ان جمال الكلمة من جمال المعنى الذي تؤديه ، وقليلا ما تؤدي الكلمة الجميلة معنى قبيحا .

فالقيمة الجمالية ، قيمة متحركة ، وقيمة نسبية .

اما الموسيقى ، فهي لا سبيل الى التجاوز عنها ، ما دام هناك شعر . ان كل المحاولات التي حاولها المجددون والمحدثون ، لم تؤد الى جديد ، ولا الى حديث ، والشعر المنثور ، شيء لا نناقشه في هذا المجال ، فهو ضرب من ضروب النثر .

كل المحاولات التجديدية كانت في التحرير من القافية ، التي تشكل المقاطع النهائية في الجمل الموسيقية . اما العروض ، الموسيقى نفسها ، فلم تصب في كيانها ، وكل ما هنالك ، أن طريقة كتابتها ، واسلوب توزيعها قد تغير . وأن بحورا من الشعر العربي ، استعملت اكثر من البحور الاخرى ، لانها اقدر على الحركة ، والتعبير عن الصور التي يتناولها القراء المحدثون .

فالمعركة ليست معركة اساسية ، واسباب الالتقاء ممكنة ويسيرة .

ومع هذا ، فان الشعر ، ظل ثقافة ارستقراطية ، وان كان اقدم الفنون واكثرها بدائية ولم يكن مصدر هذه الارستقراطية ، الا انها موهبة ،وقليلا ما تكون الطبيعة ديموقراطية في توزيع المواهب !

ومن ناحية اخرى ، فان الشعر كتعبير ، لا يتسع ما يتسع له النثر لانه تعبير خاص ، وهو ان فقد هذه الخاصية، انقلب الى نثر . . .

والشعر العربي ، كان ديوان العرب ، وكان لسانهم ، وسجل احداثهم ، وكان الشعر العربي ،شعرا وظيفيا من الطراز الاول ، فكان لكل قبيلة شاعر بل كان الشعر العربي يقف ليؤكد الحقيقة العربية امام الفرس والرومان ـ فحين يفد العرب الى كسرى ، لم يكن الوفد يمثل القبيلة، بل يمثل العنصر العربي . وأمثلة ذلك في الشعر القديم كثيرة .

ومن الشعر العربي ، عرف العالم ثقافة العرب ، ونوع حياتهم ، وكانت سوق عكاظ ، واسواق العرب الاخرى ومواسمهم ، هي المؤتمرات التي تنظم وتجمع الحضارة العربية من اقصى الجزيرة الى ادناها .

فسجل الشعر الفضائل العربية ، والرذائل العربية ، وتحدث عن المثل العليا ،وأبرزها ، وتحدث عن الرذائل وهجاها ، كان الشعر صورة للبداوة العربية بسماحتها وصفاتها . وقسوتها وضراوتها . . .

فاذا جاء الاسلام، للعالم كله ، وحمل عبئه العرب بدمائهم وارواحهم واشتد وعيهم بكينونتهم العربية كان هناك اساس لهذا العمل التاريخي . كان هناك وعي بالشخصية العربية وبالخصائص العربية . نشأت العربية فيما بينها وبين هذه القبائل وبين العالم الخارجي.

كانت القصيدة العربية تقف امام القصيدة العربية بين القبائل تمثل الشخصيات المحلية . وكانت القصيدة العربية ايا كانت شخصيتها تقف امام العالم الخارجي لتمثيل هذه القبائل ، لتمثل الشخصية العربية . . .

وكان الشعر الاموي شعرا ضخم الخصائص العربية وابرز العصبية العربية ،مما وضع الشخصية العربية في العالم الاسلامي المختلط ، موضع السيادة ، فنشأت عن ذلك في العصور التالية الافكار الشعوبية التي بدأت تقاوم من داخل الاجهزة الحكومية ومن داخل الثقافة الفكرية الشخصية العربية ، التي تحددت في اطار الفكرة الاسلامية ، ووضحت معالمها .

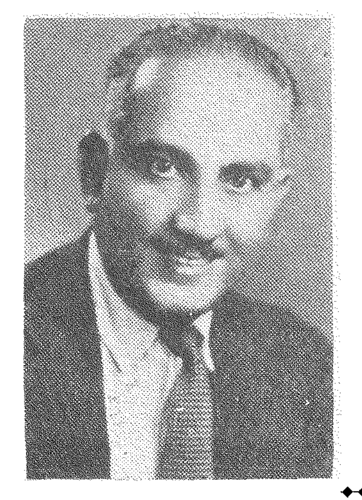
فالشعر العربي والحق نؤكد ، كان الدعامة التي قام عليها النداء العربي والتي بنيت عليها الشخصية العربية وما يزال حتى اليوم ، يقوم بهذا الدور في التراث العربي المشترك فهو من الثقافات التي لم يدركها التغيير لاسباب عضوية، أهمها الموسيقى والتي بقيت من تراث العرب اكثر مما بقي تراث فكري آخر ، وليس أدل على حيويته من أنه كان يمنح من اقرب سبيل الى الدعوة العربية ، ما تصدر به كل الحركات التحريرية ، للعرب في كل مكان . .

محيي الدين صابر

حول "الشعر والقومية العربية"

"لوحة" الشعر العربي الحديث

بقلم ابراهيم العريّض



قرأت في اثناء مطالعاتي رأيا غريبا للكاتب الغربي « البرت هيوبارد » هو قوله : « قلما يكتب الادباء ما يفكرون . كل ما هناك انهم يلتزمون في الكتابة ـ من الاراء ـ ما يتوقعه منهم الناس » . هذا ما يقرره هـذا الغربي في اغلبية الادباء.

وانا اذ تتاح لي هذه الفرصة السعيدة في مؤتمرنا الثالث للمداولة معكم في بعض قضايانا المعلقة قد لا اكون ـ ولا يسرني ان اكون ـ مـن هؤلاء الذين ندد الكاتب بهم ... ان حقا او باطلا . فلست ملتزما فـي كلمتي هذه ما ينعى الكاتب من مجرد ترديد لما يتوقع في مثل هذا المقام من الكلمات والافكار . وانما أعدكم وعد حر بأني سأحاول ان اكون عنـد حسن ظنكم بي ـ جهد المستطاع ـ وكل املي ايضا ان تكونوا عند حسن ظني بكم .وسيكون سبيلي الى ذلك اخلاصي لنفسي ولكم وللايام التي جمعت بيني وبينكم .فلا احدثكم الا بما اؤمن به ايمانا مبعثه طول المعاناة والاختبار . وأرجو الا يكون مجرد مطابقتها لبعض ما تؤمنون به معي او كله ـ كما يقرر الكاتب الغربي ـ مبررا لاتهامي بمسايرتكم او ممالأتكم او محض التزام مني لعرض ما تتوقعون من الوافدين امثالي بسابق اصرار . فذلك ابعد الاشياء عن نيّتي السماح لنفسي بعمله في هذا الحفل القومي الكريم . الا ان يكون اعزازا للحق وأهله والحقيقة وحماية مشاعلها مـا اضاء بذكرهم افق الحديث واستنارت بشعلتها الشعاب .

ان الموضوع الذي نيط بي امر التحدث فيه هو « الشعر والقومية العربية » ولي ملاحظة على العنوان سأبديها بعد . فهو اذن ذو عارضين الشعر من جهة والقومية ـ قوميتنا نحن ـ من جهة ثانية .

فأما القومية العربية التي كلنا نعتز بها ، وان لم يكن بعض مفكرينـا ورجال الحكم فينا ـ كما يظهر ـ على بينة من امرها ـ (ورحم الله المتنبي فكأنما كان ينظر من وراء حجب الغيب الى هؤلاء حين انشد منذ الف عام او اكثر .

وكيف يصح في الافهام شـيء اذا احتاج النهار الـى دليـل)

اقول فأما هذه القومية فليست موضع الخلاف من ناحية واقعنا العربي. مهما اختلف في تفسير آينها وتحليلها الى عناصرها واستكناه وقائعها عند غيرنا من الامم علماء الاجتماع ـ فيما بينهم ـ او المؤرخون . وذلك لاننا نشعر بها جميعا ، ونشعر بها فردا فردا ، ونشعر بها صغارا وكبارا . ونشعر بها نساء ورجالا ، من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ـ شعورنا بأرواحنا في اعمق اعماقنا . وحسبنا من جوهر القومية ذلك بعد ان صهرتها وصهرتنا معها بنيرانها المطهرة احداث الزمان .

هذا من جهة قوميتنا التي افضل ان اترك امر تعريفها علميا والتبسط في شرحها الى زملائي الكرام في المؤتمر ممن هم اطول باعا منـي واكثـر اطلاعا بشئون السياسة والتاريخ . واني على يقين بأنا سنسمع منهم في هذه القاعة المدوية عنها وعن اثرها العتيد في حياتنا ما يوفى على الغاية ويفي بالمراد .

واما الشعر ـ وهو الذي يطيب لي الحديث فيه ـ فلا اعتقد انه يشك احد منكم كذلك بانه الفرع المنور بأزهاره من دوحة الادب الفارعة ـ او كان كذلك على الاقل حتى امس القريب . وستلمون مني بوجه العذر قريبا في هذا الاستثناء . فلا يمكن اذن ان نعرف قيمة هذا الفرع مـن فروع الادب وقدره بالنسبة الى دوحة الادب الام ولمقام الشعر والشعر القومي منه بصورة خاصة بين آثار الادب عموما الا اذا حاولنا ان نعـرف ماهية الادب بوجه عام ومهمته على وجه التدقيق ، حاولنا ان نعرف ذلك لا عندنا فحسب بل بين امم الارض قاطبة ، لما يحتفل به الادب ـ شعره ونثره ـ في كل بقعـة وتحت كل سماء من معنى انساني عام يتخطى التخوم والحدود .

فما هو الادب اولا ؟

ان الادب عندي ـ وارجوكم عدم المؤاخذة على استعمال كلمة « عندي » هذه ، فهي على الاقل تجنبني تهمة اطلاق القول على رسله وتحملني وحدي نتيجة الخطأ في التعريف ان كان ثمة خطأ ـ اقول الادب عندي كما سبق ان قررت مرارا في بحوثي السابقة : مظهر من مظاهر احتفالنا بالحياة . ـ الاحتفال بحياتنا ـ فتلك هي الغاية التي تستهدفها ببنيها الحيـاة وفي سبيلها يعيش الاحياء ويموتون ـ رضوا أم كرهوا ـ لا في سبيل انفسهم . وانما يختلف مظهر هذا الاحتفال في المجتمع البشري لاختلاف ظروفه واحواله ـ من عصر الى عصر ـ على تعاقب العصور اما في الادب ـ الذي هو مرآة الحياة في كل عصر ـ فينعكس هذا الاحتفال فـي « التعبير » عن العلاقات القائمة ابدا بين ذاتين ـ انا وانت ـ الذات التي تسوق الحديث والذات التي يتوجه اليها الحديث . وانما يمد الموضوع ـ اي موضوع ـ يمد سببا لا اكثر ولا اقل ـ للجمع بينهما على مسرح واحد هو ذلك الذي اتخذته الحياة لتمثيل ادوارها . فلئن كان الموضوع هوما نحاول تقريره فان «الذاتية» المزدوجة فيه هي دافعنا الخاص على التقرير. اذ هي التي تطبع الاثر الادبي بطابعها الخاص فتجعل له بالقول الملفوظ

هذا المبنى في الصياغة ، وبالاثر الملحوظ ذاك المنحى في التعبير .

ولذلك فان مدلول الصدق في الاثر الادبي ليس في مجرد مطابقتـه للوقائع الخارجية فذاك من اختصاص العلوم تقررها بلغة الرياضة او المنطق . وانما على قدر مطابقته ـ وراء ذلك ـ للاحوال التي تتقلب فيها كل من الذاتين . فهذا ما كان يشير اليه الجاحظ عندما اشترط في الادب الصحيح مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وعن هذا منشأ كل ما نرى من اختلاف الاساليب .

ويجب ان نحتاط فلا ننسى هنا ان الذات التي هي « أنت » ليست دائما ذاته مفردة يوجه اليها حوار خاص فيكون الحديث عندئذ مهموسا ، وانما تتعدد الى اكثر من ذات ، من اثنتين فصاعدا الى ما لا حصر له . تربط الذات المتكلمة بهم رابطة ود او ولاء او عشرة او زمالة او جوار فيتنوع لذلك اسلوب الخطاب ، في داخل جماعة تختلف سعة وامتدادا من الاسرة الى العشيرة الى القبيلة الى الشعب الى الامة الى الانسانية برمتها ... وربما عادت ذات الاديب احيانا هي التي يسارها الاديـب بحديثه المهموس فيكون ذلك منه في ذاته نجوى نفسية خالصة . نـرى شواهده في هذا الشعر الصامت الذي تطور اليه الشعر عند الرمزيين . وهذا يصدق على الذات المتكلمة ايضا . فقد تتحدث بلسان حال الامـة كلها لا بلسان صاحبها وحده .. كما يقع دائما في الشعر القومي .

وما دام ميزان تقويم الادب هو « حسن » التعبير عن العلاقات القائمة ابدا بين « انا » و « انت » فان الادب يبلغ ذروته في الاحسان اذا وفق في المزاوجة بين عنصري اللون والنغم ـ اي التصوير والموسيقى . ولا يتم له هذا على وجهه الاكمل الا في لغة الشعر .

ان لي عند كل نفحة ريحان من الفـل او من الياسمينا



نظرة والتفاتـة اترجى ان تكوني حللت فيما يلينـا

فهذا ما يميز الشعر كفرع مزهر بين فروع الدوحة الكبرى .

يصح لنا في ضوء ما تقدم ان نقول في تعريف الشعر والشعر الغنائي منه بشكل خاص بانه حل وتركيب لانفعالات الشاعر في اطار موسيقي . يوحى باجوائها للسامع ـ من جهة ـ تآلف الالفاظ على «نحو» موقع تسيغه طبيعة اللغة (اكرر هذه العبارة على نحو موقع تسيغه طبيعة اللغة) ، لتتخايل في ذهن السامع نفسه بحكم ما لهذه الالفاظ من دلالة رمزيـة من جهة ثانية تلك الاخيلة التي تزيد هذه الانفعالات تمكينا . بحيـث تتضافر الموسيقى والاخيلة معا ـ اولا واخيرا ـ لتعدينا من جديد بمـا سبق للشاعر من تجاربه الشعورية ... « تطربنا » كلما عاودناها .

وهكذا يبقى الادب مظهرا من مظاهر احتفالنا بالحياة في كافة اطوارها. ويظل الشعر ـ كفن ـ اجملَ سجل لماجريات هذا الاحتفال . واي هدف هدف للفنان اجمل ـ كما يقول الكاتب الاردني سليمان موسى في ختام تقريظة لديوان « وجدتها » لشاعرة العرب الانسة فدوى طوقان (1) ـ اي هدف للفنان اجمل من ان يعبر بفنه عن جمال هذه الحياة ويزيد حبنا لها ؟ »

✶

لعل بعضكم تساءل في حينه لماذا في تركيتي للشعر عند تعريفي اياه احتطت بعض الاحتياط بين قديمه وحديثه . فلم اتجاوز في التعريف العلم امسه . فهل دالت دولة الشعر حقا ؟ كما اصبح يعتقد جمهرة قراء الصحف عندنا ؟ ولم يعد له ذلك الاعتبار الذي نعم به طوال العصور ؟

واتدارك فاقول ان حكم رجل الشاعر هذا في الشعر وما ينشر كشعر ـ وان عازه البرهان ـ لم يعد مقصورا على دائرة قراء الصحف ـ مثقفين او غير مثقفين ـ فحسب . ولا مستهدفا الشعر الحديث وحده . بل اخذت تتعرض لتياره مذاهب الشعر خارج العالم العربي في كل مكان . وتتداول في المدارس النقدية هناك اكثر مـن تداولها هنا ـ داخل عالمنـا العربي ـ بالنقد والتجريح .

على ان الدليل المادي الملموس الذي لا يمكن دحضه على اعراض الناس عن الشعر مطلقا هو انه اذا طبع لبعض الروائيين او القصصيين في اميركا او اوربا مثلا كتاب قصص فجاوز عدد المطبوع منه ـ بفضل تصريفه ـ عشرات الملايين من النسخ ، فلا يبلغ عدد ما يطبع من اي الدواويـن الشعرية مهما بلغ اصحابها من الشهرة والشيوع لدى الجماهير التـي تحسن الانكليزية ـ وقد اخترت اللغة لانكليزية لضرب المثل عامدا فلم اقل الجمهور الاميركي ـ لا يبلغ غير بضعة الاف من النسخ تطبع على نفقة صاحبها لتوزيعها في معظم الاحوال بين معارفه . هذا عندهم ... وربما لا يختلف الحال عندنا الا في تضاؤل العدد اكثر فاكثر ونكوصه الـى مستوى ادنى واوحش لا تصح معها المقارنة بيننا وبينهم الا نسبيا .

فما تعليل ذلك ؟

ربما كانت هناك اكثر من علة واحدة ـ متشابهة او غير متشابهة ـ تضافرت على خلق مثل هذا الوضع عندنا وعندهم . غير اني لا ابعد كثيرا عن واقع الحال اذا قلت ان علة العلل في كل ما نشاهده من اثار شبح هذه النكسة في الشعر الحديث في جميع انحاء المعمورة يعود ـ اولا باول ـ الى هذه الخطورة الجبارة التي يحاول الشعراء الجدد ـ منذ جيل

(1) مجلة الآداب اللبنانية في عددها الاخير

او اقل قليلا ـ ان يخطوها . بلا سابقة من تاريخ البشر الطويل تاخذ بيدهم وتهديهم سواء السبيل . ان هذه الخطوة في المجهول لجبارة حقا وهي الرامية الى جعل فن التعبير الشعري يتجاوز ـ من الناحية الجغرافية ـ نطاق قومية بنى جلدتهم ـ عربا كانوا او غير عرب ـ بمعناها القومي الضيق الى اوسع آفاقها . ولذلك لم تعد الاساليب القديمة التي الفها الناس والفتهم عبر العصور كافية ولا وافية لخدمة هذا الوعي الانساني الجديد البالغ في الشعر اليوم حده من الشمول ـ واصبح لزاما على الشعراء اذا كانوا مخلصين لرسالتهم وانهم لكذلك ـ ان يستحدثوا اسلوبا في التعبير جديدا يشترك في فهمه لا ابناء اللغة الواحدة وحدهم ، بل ـ اذا امكن ـ ابناء اللغات جميعا ما اسعفته الترجمة العاجلة بالنقل من لغة الى لغة .

فنستطيع القول على ضوء ما تقدم ان شعراءنا الجدد ـ كغيرهم من ابناء اللغات ـ شرقا وغربا ـ يحاولون في كل ما ظهر حتى الان من تجاربهم التي لم تصقلها الايام بعد ولا اكسبتها المرونة الفنية التي لا غنى عنها في كل فن ، يحاولون ان يستحدثوا لهم اسلوبا جديدا في اللغة العربية كما الفه غير العرب . وينظمون في قضايا وشئون لا تخص العرب كامة وحدهم بل تحتضن امم البسيطة كلها . فهذا ما قد هب له في الصين مثل شاعر الصين او في الاسبان شاعر الاسبان . وكذلك يحاول ان يفعل الشاعر العربي في مصر وسوريا والعراق .

ان ما يهدف اليه شعراؤنا الجدد سام ولا ريب . انه ـ ان شئتم ـ بالغ حده من السمو. ولكن .. ولا بد من ((لكن)) هذه والا تركنا جانبا كبيرا من وجه محاولتهم مظلما كمثل ذلك الجانب من طالع القمر الذي لا تراه العين ... قلت ولكن اذا شاء الشعر ان يبقى فنا تعبيريا كسائر الفنون الجميلة وانه لكذلك فعلى الشاعر الا يتنكر ابدا لكيان امته المستقل ـ من الناحية التاريخية حسب محلها في رابطة الامم . بما لامته من شخصية تاريخية عتيدة يستطيع المؤرخ في اي وقت تلمس جذورها في تربة ادبها القديم . شخصية ذات طابع اجتماعي خاص ينفرد بها مجتمع الشاعر دون سواه بين المجتمعات البشرية وكما تظهر ملامحها واضحة للفنان اي ساعة من الزمان في مرآة ادبها المأثور .

فهذا ما فعله المتنبى مثلا عندما اشاد بالعروبة كما وعاها في عصره البطولي فانشد في مدائح معاصري سيف الدولة ـ البطل العربي ـ قوله (ولا اذكر انه مر بي في شرح معنى القومية العربية قول أصدق منه ولا اصفى . قال شاعر العرب) :

قوم ... بلوغ الغلام عندهمو — طعن نحور الكماة ، لا الحلم
كانما يولد الندى معهم — لا صغر عاذر ولا هرم
اذا تولوا عداوة كشفوا — وان تولوا صنيعة كتموا
تظن من فقدك اعتدادهمو — انهمو انعموا وما علموا
ان برقوا فالحتوف حاضرة — او نطقوا فالصواب والحكم
او حلفوا بالغموس واجتهدوا — فقولهم ((خاب سائلي)) القسم
او ركبوا الخيل غير مسرجة — فان افخاذهم لها حزم
او شهدوا الحرب لاقحا اخذوا — من مهج الدارعين ما احتكموا
تشرق اعراضهم واوجههم — كانها في نفوسهم شيم

ثم يحن الشاعر على هؤلاء حنين الابل على حوارها .

اعيذكم من صروف دهركمو — فانه في الكرام متهم

فما اشبه الليلة بالبارحة ...

لا بد للشاعر اذن ان يتكفل ذلك ويضمنه ـ قبل كل شيء ـ ليستطيع التحدث الى ابناء امم العالم : لسان امته مستوثقا مطمئنا . والا كان دوره على مسرح ادبها بين الاداب العالمية مفتعلا . لان الشاعر آنذاك وقد بتر كل ما له ولابناء امته من صلات ووشائج بماضيها الزاهر الذي تتفرد به يعتمد لا على ادبها الخاص ولا على هدفها الخاص في اعمالها الوطنية ولا على روحها الخاص في تقاليدها المنسية . وانما على عامل بسيط واحد هو شعوره ووجدانه . فاذا به يضرب بكل ما عداهما عرض الحائط غير قاصد . وهل يسعه غير ذلك وقصارى همه انه يشترك في هذين كانسان مع كل انسان سواه . فانى له ان يلم بكيان امته المستقل بين الامم؟ وهذا لو تاملنا عود بالشعر من بعض وجوهه الى سيرته الاولى في بعض ما أثر عنه من اساليبه المأثورة ولا يستلزم من حامليه كل هذا المخاض .

من هنا هذه الفوضى الضاربة اطنابها حول معنى ((الشعر)) في العصر الحديث .

*

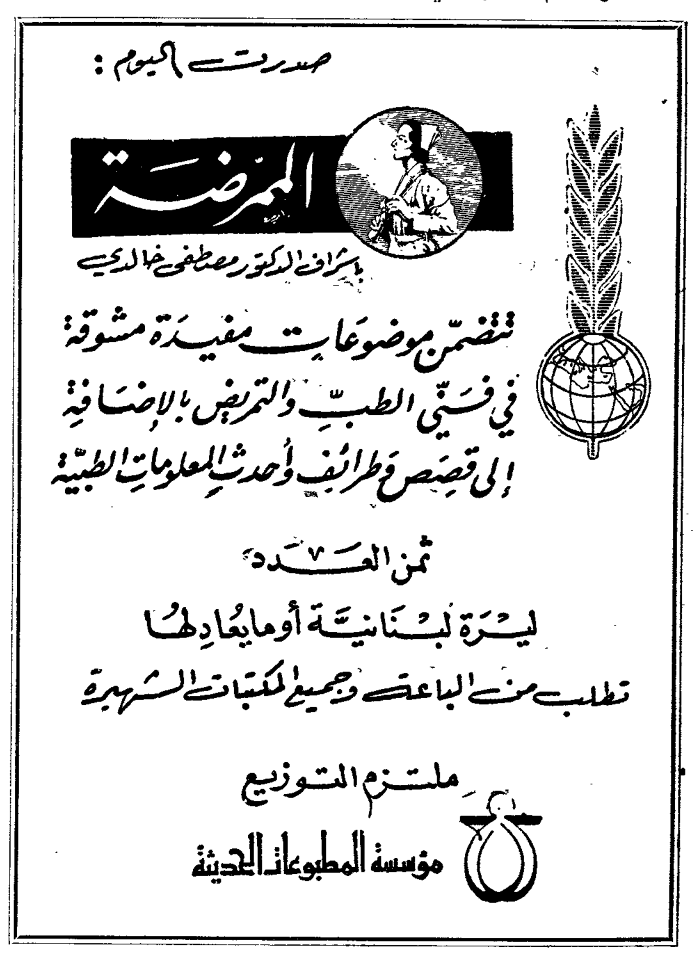
تلك اذن هي مشكلة الشعر الحديث لا الشعر العربي وحده .

وهذا هو عذري اني عندما اخذت في اعداد كلمتي حول موضوع البحث كما هو مقترح امامكم ترددت طويلا وبدا لي تبديل العنوان . اذ كنت ولا زلت اعتقد ان المشكلة ـ كما هي ـ يمكن استجلاؤها بوضوح اكثر تحت عنوان ((الشعر العربي والقومية)) ... لا كما هو مطروح على بساط البحث ((الشعر والقومية العربية)) . لان كلمة ((القومية)) باطلاقها تعني ـ فيما تعني ـ هذه اليقظة الشاملة التي تناشد بها الامم الان في كل بقاع الارض . كما ظهر اثرها في مؤتمر باندونغ مثلا بينما كلمة

« الشعر » على اطلاقه تعني الا تبني هذه اليقظة من قبل شعراء العصر جميعا بلغة لا يدعي احد انها جديدة ولكن ميدان نشاطها جديد .

وما كان بد وقد اخذ شعراؤنا الجدد على عواتقهم الافاضة في رسالتهم الجديدة التي هي رسالة القومية هذه في صميمها ان يتخذوا للتعبير عنها في اللغة العربية — كما بينت — اسلوبا جديدا . وما كان بد ان يضحوا في سبيل ذلك بكثير من المقومات الفنية التي لا يستقيم تقديرها وتذوقها لغير آذان العرب — وخاصة في مجال الموسيقى اللفظية التي يغلط بعضنا فيحسبها هي والموسيقى الشعرية شيئا واحدا — فذهبت اولا القافية الموحدة مفسحة الطريق الى تناوح القوافي ثم خفوتها اخيرا بالمرة . كما ذهبت بعد ذلك اوزان الخليل مخلية الدرب الى التلاعب الذي اصبح اجراؤه ممكنا بذهابها في تفاعيل هذه الاوازن .. وفي عدد هذه التفاعيل في السطر الواحد — ولا اقول البيت الواحد لان الشعر الحديث لا يعترف بوحدة البيت فهو الشيء الوحيد الذي لا يعترف بوحدته — قلت في السطر الواحد وما قد يلي هذا السطر او ذاك — بعده — من فقرات وسطور فيما يسمونه بنودا . كما ذهبت اكثر المحسنات البيانية التي كان تأثير صياغتها وسحرها وقفا على الذوق العربي الاصيل .

ما كان بد ان يقع كل هذا في سبيل تأدية رسالة الشعر في ميدانه الجديد — من مقومات فنية مسلم بها . والا اصبح مدسوس الرسالة باطلها . ومن هنا هذه المقومات المستحدثة التي اقتناها شعراؤنا — بالاقتباس — من خارج دنيا العرب فهم ينشدونها وقد يحققونها في وحدة اللون ووحدة الشعور ووحدة كل شيء .. ما عدا وحدة البيت طبعا . ولا غرو فهم يهدفون في كل ما يفعلون الى توحيد الانسانية جمعاء



تحت راية وحدتهم المنشودة ... ولو كان مجالها الترجمة .

فاذا سألتموني الان : ما خطب هذا الشعر الجديد ؟ قلت ان «لوحته» — كما ارى — لطخات من الالوان تفيض على غير هدى تندمج كلها لتكون رمزا موحدا لا يستطيع القارىء — ولا اقول السامع لاسباب ظاهرة — ادراك ما يرمز اليه من تشخيص «الذاتية» المزدوجة الا باستيعاب اللوحة في نظرة كلية شاملة يفترض منه القاؤها من مسافة بعيدة لا تتحمل التدقيق والتجزئة .

بخلاف الشعر القديم فان « لوحته » — كما لا يخفى عليكم — خطوط وألوان مجمدة الدلالة على ما تصور . وربما اقتصرت اللوحة على الخطوط وحدها احيانا . او اكتفت بلون واحد احيانا يستجلي المرء في كل جزئياتها — اذا دقق النظر من قريب — ما تنبض به اللوحة من معنى التشخيص .

و « الذاتية » المزدوجة في كلا الحالين واحدة .

فالفرق الفني بينهما هو الفرق القائم في لوحة زيتية بين عملية ادماج الالوان في عفوية وذهول وبين تجميدها على اركان واصول . بيد ان الخلاف الحقيقي — ان صح ثمة خلاف — هو في الميدان الذي يعمل فيه الاثنان . فالشعر القديم وما يجري على غراره وينسج على منواله كان ميدانه مقصورا على دنيا العرب وحدها في حلهم وترحالهم . بينما الشعر الحديث وسع هذا الميدان ليبلغ بصوته اسماع ابناء الارض قاطبة وذلك بطرائق فنية لا عهد للعرب بها من قبل مفروض فيها ان تستوعبها الترجمة حول يقظة الامم لتراثها الاصيل .

فهذا ما افهمه عندما ينشدني صديقي الشاعر نزار مثلا من سورية العزيزة قصيدته « من شاعر سوري الى مواطن اميركي » اي انه تتحول شعبيا . وتأملوا معي عنوان القصيدة فله دلالته الخاصة حول ما نحن بصدده .

ولنزار رأي في هذا الاتجاه الحديث يسرني ان اجد فيه تأييدا لما ذكرت . ففي حديث للشاعر نشرته « مجلة آخر ساعة » منذ شهر روى له المراسل الحصيف قوله :

« ان الشعر الحر هو اصعب الوان الفن لانه لا يعتمد — كالشعر القديم — على الايقاع والتناسب وتوازن اجزاء البيت والالاعيب البلاغية . انه كصور « بيكاسو » تأخذ جمالها من انعدام النسب واضطراب الخطوط وتداخل الظلال وموت المسافات في بعضها ... »

هذا ما يقوله نزار ومن اولى منه — شاعرنا المجدد — بابداء مثل هذا الرأي الصريح في شعره الجديد . وقد عللت لكم في كلمتي لم كان هذا هكذا .

وكما ترون سواء اعكف الشعراء بجوانحهم على اساليبنا القديمة ... ابقاء على التراث ام نزعوا بمشاعرهم الى الاسلوب الجديد ... تطورا مع الاحداث . فان الاصالة التي لا تقوم للشعر راية في مضمار الفنون بدونها ضرورية في كلا الحالين .

وقانا الله شر المقلدين .. وما اكثر المقلدين .. في الحالين !

ابراهيم العريض



النثر والقومية العربية

وثبة التحرر في أدبنا الحديث

بقلم محمود تيمور

نحن المخضرمين الذين عشنا في جيلين ، سابق ولاحق، لا يفوتنا ان فكرة القومية العربية ، وهي دعوة الساعة، كان لها بالامس صوت جهير .

بيد أن هذه القومية العربية لم تكن لها دلالة مختمرة في اذهان الكتاب ، ولم تكن مستبينة المعالم فيما تجري به الاقلام .

كنا مضطربين في امرها اشد الاضطراب ، مختلفين فيها كل اختلاف ، يتعصب لها منا فريق ، ويثور عليها فريق آخرون ، وكان المتعصبون لها والثائرون عليها سواء في التطرف او في الشطط والاعتساف ، وفقا لمقتضيات وملابسات حاقت بالامة العربية في تلك الايام .

المتعصبون للقومية العربية كانوا يتمثلونها لياذاً بالماضي، واعتزازا بالسلف ، فهم ينشدون للكتاب ان يرجعوا الى العصور الاولى ، ويؤثرون للادباء أن يحيوا في اجواء العهود الخوالي ويأبون على المفكرين ان يسلسو قيادهم لاتجاهات حديثة اسفرت عنها الحضارة العصرية في ميدانها الثقافي.

والثائرون على القومية العربية كانوا يشنونها حملة على كل قديم في التفكير والتعبير ، ويعتدونها عقبة في طريق التطور والتقدم ، ولم يسلم من حملتهم تراث العروبة في فنون ادبها وفي الوان ثقافتها بل في كثير من دعواتها الروحية الموصولة بالعقيدة والدين .

وتنابز الفريقان بالالقاب ، فريق المحافظين ، وفريق المجددين ، لكل منهما زاوية ينظر اليها ولا يعدوها ، ولكل منهما وجهة هو موليها ، فان قلنا انهما كانا كلاهما على خطأ فلسنا على خطأ ، وان قلنا انهما كانا كلاهما على صواب فلسنا نجانب الصواب .

اولئك المحافظون آمنوا بالقومية العربية ، فأقاموا من انفسهم سدنة لها ، متعلقين بأستارها يتمثل ايمانهم في الاستمساك بالتراث العربي القديم ، وفي الاستحياءلاساليبه ومناهج ادبه ، وتأنس نفوسهم باحلام ماضية ، وبما يزدان به من مفاخر وامجاد . وعذرهم في ذلك ان المجتمع العربي كانت تغزوه قوى أجنبية في شتى مناحي حياته ، ومن ورائها مظاهر حضارة عصرية ولوامع فكر جديد . فأشفق المحافظون على الامة العربية أن يطوح بها التيار الجارف ، حتى لا تتماسك ولا يبقى لها من كيان ، ولم يستطيعوا الا ان يهربوا من واقعهم الذي يحاصرهم من كل صوب ، هذا الواقع الملتبس الذي يباعد بينهم وبين عروبة يعتزون بها اكبر اعتزاز.

وهؤلاء المجددون ارادوا للامم العربية حياة غير حياتها المتخلفة ، فانبعثوا يمزقون عنها الفاف ماضيها الذي هو اشبه بأحلام النيام ، ويحطمون ما يغل عقولها من قيود مانعة من التحرر والانطلاق ، ويفتحون العيون على النور الجديد في آفاق الفكر والمعرفة .

ومن ثم نشأت الدعوات الادبية في كل امة عربية الى ابراز الشخصية ، وتنوير الوعي ، وتجديد الروح . ولم يكن للمجددين بد من اصطناع خطة الهدم ، لكي يقوم على الانقاض بناء مكين.

لبثت القومية العربية على هذا النحو ، بين اشياع المحافظة واشياع التجديد مثار تردد ونزاع ،بلمدار تشككوارتياب، وفي ادب الجيل الماضي تعبير صادق عن هذا التردد والنزاع او التشكك والارتياب ، سواء في ذلك الكتاب المحافظون والكتاب المجددون .

ولعل هذه المرحلة كانت مرحلة طبيعية من مراحل النهوض القومي ، وطورا لا غناء عنه من اطوار تبلور الفكر العربي . فقد جاهد المحافظون في سبيل احياء العروبة وتزكيته واقزار الايمان به في النفوس ، وعمل المجددون على انضاج الوعي العربي وتبصيره والنفوذ به الى فهم موقفه من الحياة التي يحياها ، ومن المجتمع الانساني الذي يعيش فيه .

وفي يومنا الحاضر اتيح للقومية العربية ان تستقبل طورا حاسما من اطوار حياتها ، وتجد لها صيغة جديدة لا مجال فيها لتعصب فريق وثورة فريق آخرين .

لم تعد القومية العربية حلم نائم على رمال الصحراء ، ولا اهتزازا لبكاء الدمن والاطلال ، ولا عويلا على مجد كان في غابر الزمان .

القومية العربية اليوم يقظة لعمل ، وسعي الى هدف ، وهي تفاؤل بغد ، وايمان بمستقبل وانبعاث الى امام ، وهي نزعة موحدة الى الحرية والعزة وتقويم الشخصية في هذا المعترك العالمي الذي يحف بنا من كل جانب .

ولعل ادق تعريف لهذه القومية في مضمونها الاصيل انها — كما قال استاذ الجيل« احمد لطفي السيد » —

« رابطة بين امم اتسعت بينها دائرة المشابهات ، وضاقت دائرة الفروق » .

فهذهالرابطة تجمعنا اليوم حول دعوة فكرية عميقة ، وخطوة تحريرية واسعة ، وكفاح انساني صميم .

نريد اليوم ان يكون لنا فكر نابع من عقولنا ومن وجداننا، وان تكون لنا بصيرة خاصة بالحياة من حولنا ، فنتحرر في التفكير والتعبير ، ولا يكون علينا من سلطان في التأثر والتأثير ، نؤمن بأنفسنا ، فنفيض عليها عزما وقوة ،ونمارس استجابتنا الواعية لكل ما في الافاق من هواء ونور .

حسبنا من فكرة القومية العربية انها حرب على الضعف والاستكانة ،حرب على التشكيك في الشخصية الجديرة بالاستقلال والتوثب ، وانها ثورة على العبودية والتطامن لسلطان الاجنبي ، ثورة على الوقوف في هذاالمعترك العالمي موقف التضاؤل والتخاذل ، وانها رمز في المجتمع العربي للالم الباعث على اليقظة والامل الدافع الى الكفاح .

لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة ، ان القومية العربية لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي ، ورسالة هذه النبوة هي تجميع القوة ،وتكتيل الجبهة ، والانطلاق بالطاقة البشرية في كيان المجتمعالعربي نحو كسب الحياة .

وان كتاب العرب في اعناقهم امانة ، هي ان يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة ، يزكونها بأقلامهم ، وينفخون فيها من إرواحهم ، ويعملون على ان تكتمل لها اسباب النماء والازدهار .

يشهد التاريخ بان التطورات الكبيرة في الحياة الادبية رهينة بالتطورات السياسية البعيدة المدى ، فالادب يؤثر في هذه التطورات ويتأثر بها في آن واحد والمجتمع العربي تحت راية القومية العربية يستشرف لبعثسياسييستكمل به حرياته ومشخصاته ، فلا معدى للادب عن ان يستجيب لهذا البعث كل استجابة ، وان يواكبه فيما يهدف اليه من اغراض جسام .

تلك هي الاقلام تصابحنا وتماسينا بانتاج ادبي ترتسم فيه وثبة التحرر ، فقد امسكت هذه الاقلام عن التعلق بأذيال الموضوعات التجريدية ، والوجدانيات الحالمة ،واقبلت على تصوير الروح الجديدة التي تتمثل فيها اليقظة والعمل والكفاح . وانما انصرف حملة الاقلام الى هذا الجد في التصوير الواقعي لانهم وجدوا انفسهم امام واقع اجتماعي قوي يرج النفوس ويملأ الاذهان ، لا كما كان اسلافهم بالامس يعيشون في واقع هزيل لا يحدوهم الى التعبير والتصوير .

ومهما يكن من جدال النقاد في ان يكون الادب هادفا او غير هادف ، ملتزما او غير ملتزم ، مجنداً او غير مجند ،فما احسب الكاتب العربي في هذه الفترة من زمنه يستطيع ان يغفل الاحداث التي تتخذ لها اليوم شعار القومية العربية ، فان هذه الاحداث تهز كيان كل عربي ، وتتغلغل في صميم كل بيئة عربية ، وان الكاتب ليستهين بأمانة القلم في يده اذا هو لم يتسمع لمختلف الهتافات والمناجيات التي تضطرم في ذلك المجتمع العربي ، واذا هو لم يلتقطها ولم يبث فيها من ذوب نفسه ومن فيض روحه ما يجعلها مداداً للفكر الجديد ، وكيف يكون الكاتب مخلصا في استيحاء الحياة من حوله ان صمت اذنه دون انبعاث قومي في مجتمع كبير يعيش بين ظهرانيه .

ما اهون ان يكون الاديب معدودا من اهل عصره ، بتاريخ ميلاده ، لا بما يحمل ادبه من معالم تضعه حيث وضعته الايام من احداث وطنه في ذلك التاريخ .

لسنا نبغي ان يفرض الكاتب على نفسه شيئا ، ولسنا نعني ان يتخذ الكاتب من قلمه يوما يعلو به صوت مسوق اليه ، محمول عليه . فذلك هو التكلف الذي لا جدوى فيه، وذلك هو الافتعال الذي نأباه . وانما الذي نبغيه ان يرهف الكاتب حسه ، ويفسح من نفسه مجالا تتجاوب فيهاصداء الحركة القومية ، فانه خليق ان ينتفض ويستشعر ، وان يتوافر له الانفعال القوي فلا تلبث نفثات فكره وروحه ان تذكي الجمرات التي تومض تحت الرماد .

ربما آثر الاديب الا يربط بين فنه وبين تيارات تتناوح من حوله اذ يؤمن بأن العمل الادبي اذا ارتبط بهذه التيارات نقص حظه من الفن ، وقصر عمره في حساب الزمن ، وفاته الخلود الذي يتاح للاعمال الفنية الخالصة غير المقترنة بملابسات عابرة في حياة الامم وكفاح الشعوب .

ولكن الحق ان الاديب اذا عمق حسه ، وصدقاستلهامه، وآمن بما يجري به قلمه لم يستعص عليه ان يكون فنه قويا خالدا او أن تناول احداث العصور ، وعبر عن ملابسات الجيل ، وانصاع للتيارات العارمة التي تمر بالمجتمع .

ومن الحق ايضا ان المجد العربي اذا عقد بناصية الاديب الخالص في فنه للحياة الانسانية المجردة فانه يعقد كذلك بناصية اديب يجند ادبه لهدف قومي ، ليكسبه به جهارة وقوة وحيوية ، فقد لمع في الاداب العامة ، ادب الكفاح الشعبي ، وبقي على الزمن بما فيه من روائع وعيون ، وكتب الخلود لاصحابه بين الادباء ، كما كتب الخلود لهم بين قادة النهضات .

واني لاذكر هنا اديباً عاش في عصر الثورة العرابية ، وجند ادبه في معسكر الوطنية المصرية لذلك العصر ، هو السيد عبد الله نديم ، فقد اجاد قلمه لونا من ادب الكفاح ادى مهمته في حينه احسن اداء ، ولربما عز علينا انتلمس فيما انتهى الينا من آثار « النديم » في ادبه الكفاحي ما يصعد به الى قمة الفن ، ولكنه استحق التمجيد والخلود.

واذا طاب لنا ان نهتف بحرية الاديب العربي فيما يجري به قلمه ، وفيما تضطرم به نفسه وان ننشد له طلاقة الطائر في الافق ، فعلينا ان نهتف كذلك بالرسالة الانسانية الملقاة على عاتق الاديب الحر ، رسالة الاحساس بالحياة التي يحياها ، والتعمق فيها ، وتزكية ما يلتمعفي مجتمعه من مثل رفيعة تدعو الى حرية وحق وخير وسلام ، والقومية العربية التي تعمر جوانح المجتمع العربي اليوم ليست الا مثلا انسانيا رفيعا ، فهي موجة من موجات التقدم البشري، تدعو الىالايمانبالنفس والىحريةالعملللخير والحقوالسلام.

محمود تيمور

نكبة فلسطين في أدبنا القومي ..

بقلم كامل السوافيري

نريد بالقومية العربية ذلك الشعور الموحد الذي يجمع الامة العربية الواحدة التي تسكن الوطن العربي الممتد ما بين حدود ايران والخليج الفارسي شرقا والمحيط الاطلسي غربا وما بين تركيا والبحر الابيض المتوسط شمالا والصحراء الافريقية الكبرى والحبشة والمحيط الهندي جنوبا والتي تربط بين ابنائها الى جانب اللغة العربية روابط التاريخ والبيئة الجغرافية والمصالح المشتركة والدين .

ونريد بالنثر الخطبة والمقال والكتاب والقصة والمسرحية التي يتناول كل منها القومية العربية وهذه الكلمة مقصورة على الخطبة والمقالة والكتاب .

وقد ظهرت الاتجاهات القومية في النثر منذ بداية القرن التاسع عشر حيث شعت على دنيا العرب اضواء النهضة الحديثة التي انعكست في ادب الكتاب الذين اخذوا يحاربون الطغيان ويدعون الى التحرر من النير الاجنبي ويهيبون بالشعوب العربية ان تستيقظ وتستعيد ماضيها الزاهر ومجدها الماضي .

ولم يكن الكتاب والخطباء ينتمون الى اقليم بعينه او قطر بذاته ولكنهم كانوا يمثلون الامة العربية كلها ففيهم المصري والشامي والعراقي والحجازي ولكن الهدف الذي كانوا يرمون اليه كان هدفا واحدا وغاية واحدة وهي التحرر من كل عبودية ، والدعوة الصادقة الى البعث القومي واليقظة العربية وقد اشرع الكتاب اقلامهم وسخر المفكرون انتاجهم لليقظة والبعث والتحرر .

وكما عبر العرب عن آلام امتهم وايقظوا وعيها عبر الكتاب والمفكرون عنها ايضا وهكذا لم يتخلف النثر عن الشعر في هذا المضمار بل سارا معا جنبا الى جنب في تحقيق غاية واحدة فنرى في مصر الافغاني ومحمد عبده ولطفي السيد وقاسم امين وسعد زغلول ومصطفى كامل الى جوار شوقي وحافظ ومحرم .

ونرى في الشام الكواكبي وأديب اسحق وشكيب ارسلان الى جانب ابي ريشه والعطار وشفيق جبري وفي فلسطين سعيد الكرمي والنشاشيبي والنبهاني ورفيق التميمي الى جانب طوقان وأبي سلمى ومثل ذلك في العراق الذي وقف كتابه الى جوار الرصافي والزهاوي والجواهري والكاظمي .

ولا يسمح المقام لنا ان نورد الشواهد ونزجي الامثلة ولكننا نكتفي بشاهدين يؤيدان ما ذهبنا اليه .

يقول المغفور له مصطفى كامل في احدى خطبه :

اذكروا مصر فان من ذكراها ذكرى آلامها وذكرى الالام تجر حتما الى ذكر عوامل الشفاء .

اذكروها كما يذكر الولد الحنون امه الشفيقة وهي على سرير المرض .

اذكروها فمن المستحيل ان يرى العاقل النار في داره والداء في شخص امه ويهمل النار ويهمل الداء ومن المستحيل كذلك ان يكون الوطن في خطر ونحن نيام وان يعمل الاجنبي لامتلاك بلادنا وسلب حياتنا بل لاستعبادنا واسترقاقنا ونحن هامدون لا عمل ولا حراك .

ويقول المرحوم اسعاف النشاشيبي :

اللغة هي الامة والامة هي اللغة ، وضعف الاولى ضعف الثانية وهلاك الثانية هلاك الاولى ، واللغات ميراث اورثه الاباء والابناء واحزم الوراث صائن ما ورث ، واسفههم في الدنيا مضيع ، وانا امم اللسان الضادي العربي ، وان لغتنا لهي العربية وهي الارث الذي ورثناه — وانا ولحقيقون — والآباء هم الاباء ، واللغة هي اللغة — بأن تبقى عروبة الجنس ، وعربية اللغة .

رافق الكتاب النهضة القومية الحديثة فأججوا نارها اولا بما اشعلوه في نفوس الامة من حماس وطني بخطبهم ومقالاتهم النارية التي الهبت القلوب ، وأججت الصدور ولعل هذه المرحلة الاولى التي وقف فيها النثر يوقظ الوعي ، وينبه الشعور فلما استيقظ الوعي ، وتنبه الوجدان انتقل النثر الى المرحلة الثانية مرحلة دفع الامة للعمل ، وانطلاقها للبعث ، وثورتها على الظلم والطغيان .

ولولا سحر الكلمة الادبية — مقروءة او مسموعة — ما وجدنا الالوف من ابناء الامة العربية في مصر والشام والعراق وفلسطين يجودون بدمائهم الزكية ، ويقدمون ارواحهم الطاهرة قربانا للتحرر القومي ، وثمنا للاستقلال السياسي ، وتخلصا من قيود الذل والاستعباد .

ثم بدات المرحلة الثانية للنثر حينما خاضت الامة معركة الحرية ضد الاستعمار بألوانه واشكاله المقنعة والظاهرة فانتصرت عليه واخذت تجني ثمار هذا النصر المؤزر فتصلح الفاسد من الانظمة ، وترفع مستوى طبقات ابنائها ، وتحرر النفوس من الخوف والقلق ، وأخذ النثر يسير في هذه المرحلة الجديدة ، يصور الاوضاع الاجتماعية ، ويعالج الامراض المتفشية ، ويدعو الى حياة افضل وأسمى يتمتع فيها كل فرد من افراد الامة العربية بالحرية والسيادة والرفاهية .

وامتدت نهضة النثر في العصر الحديث الى اليوم ووجدنا كتابا افذاذا يوجهون صرخاتهم في دنيا العرب داعين الى وحدة الصف واتحاد الرأي ، وجمع الكلمة وقد كثر عدد هؤلاء الكتاب فلم يقف بهم الامر عند حد المقالة ولكنهم اتجهوا في مناصرة القومية العربية الى انشاء البحوث ، وتأليف الكتب التي وصل عددها الى عشرات وفي مقدمتها كتب الاستاذ ساطع الحصري وعلي ناصر الدين وزريق .

وكانت نكبة العرب القومية في فلسطين ينبوعا تفجرت منه عواطف الكتاب والادباء وحيا والهاما للشعراء ، وموضوعا للتأليف المستمر في الاسباب والنتائج والعلاج .

ولن يتسنى لنا ان نوضح كل الجوانب ولكنا نشير اشارات سريعة الى

الكتب التي ظهرت بعد هذه النكبة في الناحية السياسية المتصلة بالقومية العربية اوثق اتصال فنذكر منها :

معنى النكبة للاستاذ قسطنطين زريق ، وعبرة فلسطين للاستاذ موسى العلمي ، من وحي فلسطين للاستاذ احمد رمزي ، بعد النكبة للاستاذ قدري طوقان .

اما الخطب والمقالات فلا تقع تحت حصر ولكن العدل يقتضينا ان نذكر كاتبا واحدا نشر ما يزيد على ٢٠ مقالا في القومية العربية وفي الدعوة الى وحدة العرب وتضامنهم ونبذ كل فرقة بينهم وهو المرحوم الاستاذ نقولا الحداد ولما لم يجد في حياته صدى لكتابته حطم القلم وفي نفسه لوعة وحسرة .

ولا نستطيع ان نسرد اسماء كل الكتاب الذين تشع القومية العربية في مقالاتهم وتلمح الايمان القومي في تفكيرهم لانهم اكثر من ناحية ولانهم يمثلون اجزاء الوطن العربي الكبير من ناحية اخرى .

ولكن هذا لا يمنعنا من ايراد نموذجين الاول للاستاذ احمد حسن الزيات من مقال نشره سنة ١٩٣٣ في مجلة الرسالة .

« لا تستطيع مصر الاسلامية الا ان تكون فصلا من كتاب المجد العربي لانها لا تجد مددا لحيويتها ، ولا سندا لقوتها ولا اساسا لثقافتها الا في رسالة العرب اما ان يكون لادبها طابعه ، ولفنها لونه فذلك قانون الطبيعة لان الاداب والفنون ملاكها الخيال ، والخيال غذاؤه الحس ، والحس موضوعه البيئة والبيئة من اعمال الطبيعة يختلف باختلافها في كل قطر .

اذكروا دائما ان الروح التي تنفحونها هي روح عمرو وأن اللسان الذي تنشرون به مجد مصر هو لسان مصر وان القيثار الذي توقعون عليه الحان النيل هو قيثار امرىء القيس وان آثار العرب المعنوية لا تزال تغمر الصدور وتملأ السطور وتغذي العالم وهي ادعى الى الفخر وابقى على الدهر واجدى على الناس . »

النموذج الثاني للاستاذ عمر الدسوقي من مقال نشره في مجلة الرسالة سنة ١٩٤٨ تحت عنوان وامعتصماه وفيه يقول : « اخقا أننا امة هازلة لا تدرك الخطر الداهم ولا تقدر الخطب الجاسم ولا تخبر العدو الظالم . هل ستمثل مأساة الاندلس على مسرح التاريخ ثانية فيلقى بعرب فلسطين في البحر كما ألقي عرب غرناطه من قبل ويومئذ نجهش بالعويل والبكاء فيقال لنا كما قيل لاؤلئك ملك لم تحافظوا عليه .

ان الامر جد فنصرة فلسطين لا تدعو اليها لحمة القرابة والنسب ولا صلات التاريخ والادب ولا حرمة الجوار ونخوة العرب فحسب ولكن تحتنا اليه المصلحة فدفاع مصر عن فلسطين دفاع عن اخ شقيق ودفاع عن مصلحة مشتركة ودفاع عن كسرة الخبز وموارد الحياة وأسباب العزة فليكن كل مصري بل كل عربي اين كان محله معتصما ينادي وفارسا يرتجى .

يتلقى الندى بوجه حيي وصدور القنا بوجه وقاح
هكذا هكذا تكون المعالي طرق الجد غير طرق المزاح

***

اخالني بعد هذا العرض قد وضحت موقف النثر من القومية العربية وبينت الدور العظيم لذي اداه في المعركة التي خاضها ضد الاستعمار الاجنبي فهو كما فعل زميله الشعر ايضا قد ايقظ الوعي ودفع للتحرر وبعث في الامة روح الجهاد المقدس من اجل حريتها واستقلالها وواكب الوثبات الوطنية والثورات التحررية في دنيا العرب وفي مصر حين ثارت على الفرنسيين وحين ثارت على الانجليز وفي سوريا حين ثارت على الفرنسيين وخطت في سفر الخلود صفحات البطولة والمجد وفي العراق حين تمرد على الظلم وحطم اغلال الاستعباد البريطاني وفي فلسطين التي كافح شعبها اقوى دول الارض وأخبث شعوب العالم ثلاثين سنة وزرع ارض بلاده بالضحايا والشهداء وفي الجزائر التي لا تزال تقدم ابنائها في ميادين الشرف كل يوم وفي عمان وفي كل مكان .

فللنثر مقالا كان او خطبة عامل من اعظم العوامل التي وحدت المشاعر بين ابناء الامة العربية وخلقت فيهم وعيا قوميا ثوريا وطنيا اظهر اثره واضحا في الوقوف الى جانب مصر الحرة اثناء العدوان الغاشم عليها وهو الذي سعر روح النضال واجج جذوة الكفاح وظل وفيا لرسالته في خدمة القومية العربية ومحافظا على روحها ومشيدا برسالتها راسما لها طريق التقدم لتحقيق الامال المنشودة .

حقق الله امال الامة العربية في الوحدة الشاملة والسيادة الكاملة


كامل السوافيري





ذكرى اللواء

القيت في مهرجان اللواء السليب بحلب

سليمان العيسى

عشرون ، دامية الخطى مخضوبة بلظى الكفاح
مرت ، كحالكة السواد ، على أكاليل الأضاحي
عشرون من عمر النضال .. معصبات بالجراح
من ساحة عطشى ، ولا شكوى ، إلى جمرات ساح
عشرون يا بلدي الصغير درجن في هوج الرياح
غنيت ملحمة اللهيب ، وانت تلهمني صداحي
عشرون ، أوقظها فأوقظ قصة الوطن المباح !
أي الجراح أمسه لأعود محترق الجناح !

*

عشرون ، يا وطني الصغير ، أحسها ضربات قلبي
درب العروبة والكفاح ، وزقزقات الفجر دربي
لم أنس يا بلدي ، ففيك على الرصاص فتحت هدبي
أطفالك الثوار هم شعري ، كما كانوا ، وحبي
حملوا العقيدة والسلاح ، بكف دون العشر زغب
الهادرون على طريق البعث ، أترابي وصحبي
لو شئت ناديت الصقور ، فدمدم الاعصار قربي
العائدون غداً .. وهبي يا رياح البعث ، هبي !

*

قالوا : غداً ذكرى اللواء ، ترابك العطر الشهيد
قالوا ، فتمتمت الجراح على فم الطفل الشريد
وتزاحمت عشرون عاماً ، كي تجلجل في نشيدي
ورميت دامية الطريق بنظرة الالف الودود
أهوى الصخور الحاملات حطام أجنحة الفهود
أهوى طريق السائرين ، وخلفهم مزق القيود
أهواك يا بلدي الصغير يضيق كبرك بالسجود
وتعيش تحت النير صلد العود ، جبار الصمود

*

قالوا : غداً ! وفتحت أجفاني على مأساة جيل
ولمحت أتراب الطفولة ينزحون مع الأصيل
الصبية المتمردون على الهوان .. على الدخيل
حملوا قلوبهم الصغيرة في الجبال ، وفي السهول
وتمزقوا .. لم تسمع الصدمات شكوى من كليل !
بعيونهم خلج الحياة بمهجة الوطن القتيل
وعلى الشفاه رسالة تلوي عناد المستحيل
عربية الاشراق ، من شعبي ، من النبع الأصيل

*

أأهز جرحك يا تراب المهد ، يا بلدي السليبا !
أعرفت شاعرك الصغير ، تصوغه ابداً لهيبا ؟
لولاك لم تعرف شفاه الشعر قافية خضيبا
لم تحترق منا العيون ، لتنهل الفجر القريبا
فجرت نبع الوحدة الكبرى ، أتومقها غريبا ؟
وضاءة الخطوات ، تزحم في انطلاقتها الغيوبا
وتطل كالعملاق ، تحشد حيث أومأت القلوبا
سنعود ، نعقد في مروجك عرسها خمراً وطيبا

*

أأهز جرحك ، والعروبة في دمي جرح يصيح ؟
أطفالك المتمردون عقيدة ، ومدى فسيح
ميداننا هذي الصحارى والمعاقل والسفوح
ميداننا الوطن الكبير .. معارك حمر ، وسوح
ميلاد تاريخ على هدرات ثورتنا يلوح
غيري المشرد فوق هذي الأرض أرضي ، والجريح
غيري الذي سيموت ، حطم شفرة الموت الذبيح
أنا للحياة .. وفاغر فمه لجلادي الضريح

✶

لن يهزلَ التاريخُ بعد اليوم ، لن تدمى ُخطانا
في الشوك ، لن نظما لترتويَ الجريمة من دمانا
لن يطردوا طفلي .. سنهزُج فوق قبرهمُ كلانا
كانت شموسٌ للطغاة ، ولن تذرَّ على حمـانا
حسبي وحسبُكَ أننا في القيد مزقنا صبانا
حسبي وحسبك أننا كنا اليتامى في ثرانا
عدنا .. لتحترق العناكب والظلام على سنانا
عدنا .. لتُشرقَ أمةٌ ألقى الخلود لها العنانا

✶

أنا ما أزالُ أردُّ عن عينيَّ أغشيةَ الضبابِ
وأراك يا مهد الصبا ضحكاتِ جناتٍ رطاب
رتلتُ أولى الغمغماتِ على سواقيك العذاب
وحملتُ ثورتكَ المضيئة في ضلوعي كالشهاب
نذرٌ لفكرتها دمي حَطبٌ لشعلتها شبابي
كبرَ البراعم ياتراب المهد في حلك الصعاب
كبرُوا .. فثورتهم دوي في النجود وفي الشعاب
تطغى الرياحُ ، فتزحم الطاغي ، وتمعن في الغِلابْ

✶

إنّا على شفة الوجود قصيدةٌ نشوى وشاعر
ورصاصةٌ تلدُ الضياء بأرضنا ، وزئيرُ ثائر
إنا على قمم « العرائس » ألف فجر في الجزائر
وعلى الخليج جباهُنا السمراء تعبق بالبشائر
إنا على شفتيْ جمالٍ موكبٌ للخلد هادر
خلّى على الدرب العبيد ، وغطت الافق الكواسر
وتفرُّ أشباحُ الطغاة ، لتحتمي خلف المجازر
ألثورةُ الحمراء تختصر الطريقَ الى المقابر

✶

ألصامدون ، وليس أروعَ من صمودك يا بلادي
ألثائرون على الهوان ، الباسمون على الشداد
جيلٌ تعطّشَ للحياة ، فهزّها بيد الجهاد
وتفجّرَ الينبوعُ ، فانتشت الحواضرُ والبوادي
في النصر ، في عُرْس العروبة ينطوي ليل الحداد
بلدي ، ستعذب في الضفاف غداً حكايات المعاد
يافا ، لنا في الشط موعدنا ، ولو جنَّ الاعادي
في العيد ، عيد الوحدة الكبرى ، اضمك يا بلادي

حلب **سليمان العيسى**

الجسر

تمثيلية إذاعية

بقلم فاضل السباعي

الاشخاص : الرقيب ، صدى خطيبته ، العريف
المكـــان : في الجبهة
الزمـــان : منتصف الليـــل

(١)

الرقيب : هل بلغك ما اعتزمته سريتنا ، ايها العريف ؟

العريف : لم يبلغني شيء ، يا حضرة الرقيب !

الرقيب : الجسر .. الذي يقيمه العدو ..

العريف : ما لـــه ؟

الرقيب : سنغير عليه الليلة .. سندمره .

العريف : (في لهفة) الليلة ؟!

الرقيب : ذلك ما استقر الرأي عليه . سنمضي كلانا : انت وانا ، ومـن ورائنا حامية شديدة المراس .. ولا نعود الا وقد انجزنا المهمة ،

العريف : يا للفرحة ! يا للفخار ، متى سنمضي ؟

الرقيب : أراك متعجلا نسفه !

العريف : تعجل العدو في بنائه

الرقيب : ليتعجلوا بناءه ، وليبذلوا في سبيله ما يبذلون . فلـن يعيينا نسفه ، بعد قليل ، في خمس دقائق . (فترة ..) اني كلما ادرت الى الجسر طرفي، شعرت بالغصة في حلقي . اني احس به قذى في عيني . ان اتم العدو بناءه ، فسيكون ممرا الى « الارض المجردة » : يزرعونها ويمرحون فيها ، ويقيمون ما يشاءون مـن مراكز دفاع .

العريف : (في عزم) ولكنا نتيح لهم ان يعبروه .

الرقيب : استطيع ان تصدق اننا ، نحن الاثنين ، سنضع حدا للمشكلة التي ملأت الاذهان طويلا ، في بلدنا وفي المنظمة الدولية ؟! كم من احتجاج سطر وبراهين سيقت للتدليل على عدم شرعية بناء الجسر، وما اصغى لندائنا انسان ، في حين كان الجسر يسير حثيثا نحـو الكمـال !!

العريف : تلك امور لا يحلها البرهان المنطقي ... ولكن كمية من المتفجرات مع قدر من الشجاعة ، كفيلان باطفاء جذوة المشكلة .. وان لدينا المتفجرات ، وان مزيدا من الشجاعة ليصطخب في نفوسنا الظامئة المتحرقة .

الرقيب : مشكلة كبرى ... لها حل صغير ، صغير جدا ، يخمد حسها ويكتم انفاسها فلا تصعد منها بعد ذلك زفرة ! ماذا لو اكثرنـا من الحلول الصغيرة لدى معالجة مشكلاتنا الكبرى التي تشـغل علينا العقول والالباب ؟ لو كنا صابرنا النفس اكثر مما صابرنا ، لامتد الجسر ، فكان للعدو ممرا يصلهم بالارض المجردة ، فاذا هم مصدر قلق دائم لنا ، هنا على الحدود ؟ !

العريف : لعل هذا الحل الصغير فاتحة حلول صغيرة تالية . وان لنا شرف الطليعة السباقة .

الرقيب : انت تعلم ، ايها العريف ، كم ملك علي الجسر خاطري ، وكـم منيت النفس بتقويضه بيدي هاتين ! كان غصة ، وكان قذى .

لقد طالما تحدثت عنه الى الصحاب ، وحلمت به في اويقات نومي، وكتبت فيه الى خطيبتي ، هناك في حلب ، ابثها شوقي الى وضع الحل الصغير للمشكلة الكبرى ! (فترة ...) والان ، ايها العريف ، تهيأ واحزم امرك ، وارتقب ان نعطى الايعاز بالمسير...

(٢)

الرقيب : (مخاطبا نفسه) ما احلى الرسالة المؤرجة بعطر الحب ، تقرأ هنا ، على الحدود تعبق فيها رائحة والدم والنار والارض الزكية.

(صوت بسط رسالة) يا خطيبتي الحبيبة . لقد وصلتنـي البارحة رسالتك ... فقرأتها ، حتى الساعة ، عشرين مرة اويزيد ... واني لازداد شوقا الى مطالعتها كلما فرغت من مطالعتها ..

(صدى صوت الخطيبة يقرأ الرسالة)

« خطيبي المفدى ..

« اكتب اليك ، والفخار يهدهد قلبي . اني ازهو بك على اترابـي وجاراتي . لقد حدثتهن طويلا عن ايات حماستك ، وعن توقك الى تقويض ذلك الجسر الذي يقيمه العدو اللئيم غير آبه بحق ولا منصت الى وعيد .

« ان حلك الصغير لهذه المشكلة الكبرى ، نعم الحل الذي يستـأصل جذورها فلا تعود تنبت اشواك الشر والعدوان .

« وعندما تعتزم سريتكم المعسكرة تقويض الجسر ، فكلي امل ان ينديب للمهمة الجليلة خطيبي الباسل . ولسوف تكتب لي ، بعد ظفرك ، مسهبا عن تسللك الى ارض العدو ، ونسفك بدقائق ما بنى باسابيع . اذاك ، سأروي خبر بطولتك لرفيقاتي ، ولن اكف عن الرواية والحديث ، فانما تتباهى العربية ببسالة رجلها في ساحة الوغى .

« ان المدينة التي احببتها مخلصا ، بخير . وانني ، كلما جلست الـى النافذة اتملى النظر من قلعة الشهباء ، اتذكر مدى هيامك بهذا المنظـر الخالد . وان حبك لمدينتك هنا في اقصى الشمال ، هو الذي دفعك الى حمايتها ، الى ان تبدأ بحمايتها ، ان تبدأ بحمايتها من الجنوب ، حيث العدو الغادر يتربص بوطننا الحبيب .

« واسلم لخطيبتك التي تنتظر عودتك ، مكللا بالغار ».

الرقيب : (مخاطبا نفسه) ايتها الحبيبة ، كم انت مؤمنة وذكية ! انها لتحيا ، كواحد مناء التجربة النضالية التي نحياها هنا في ارض الموت (فترة ...) لزاما علي ان اخط لها رسالة قبل ان امضي . (بصوت مستأن كمن يكتب :)

« يا خطيبتي الحبيبة .

« فرغت ، اللحظة ، من قراءة رسالتك للمرة العشرين ، فزادتني ايمانا. ان الجندي على الحدود ، ليتلهف الى الكلمة النبيلة المشجعة من مثـل ما افاض يراعك الزكي، لتجعل منه شعلة من قوة ومضاء .

« ساقوم ، يا حبيبتي ، بعد قليل بتقويض الجسر ، سادك اركانه . هذه المشكلة الكبرى المستعصية ، حلها الان بين يدي ، في ساعدي ، في الانامل التي تخط لك الرسالة .

« تحدثي الى صويحباتك عني . قولي لهن : خطيبي الذي قوض الجسر. قوضه بدقائق معدودة ، وعاد الى سريته سالما !

« فاذا اتاك نبأ نعيي ، فقولي لهن بفخار : قضى حبيبي على الحدود ، حفاظا على ارواحكن ... فترفن له دمع الشكر والوفاء !

« ان في قلبي لشوقا عارما لوطني الصغير ، هناك في الشمال . بودي ان انتشق نسيمه الطيب ، واعفر الوجه بترابه في مثل لون العقيق .

« ساعود اليك ، ايتها الحبيبة ، مظفرا .. احمل اشواقي وحبي . »

(٣)

الرقيب : (في همس) تمهل ، ايها العريف . لقد اصبحنا على مقربة منهم . حذار ان ينتبهوا لنا . اين موضعنا من حاميتنا ؟

العريف : انهم وراءنا تماما .

(حفيف زحف .. صفير صراصر الليل ..)

الرقيب : ارأيت الحارس ، على طرف الجسر ؟

(وقع اقدام بعيدة منتظمة ...)

العريف : اجل .

الرقيب : والى الثاني ، على الطرف الاخر ؟

العريف : (فترة ..) رأيته .

الرقيب : تسلل الى هذا الاول .. وثب الى ظهره .. كمم فمه براحتك.. ثم اغرز مديتك في عنقه ، ولا تبق فيه على روح .. وانا انصرف الى الاخر .. (فترة) تمهل قليلا حتى يستدير ... (وقع الاقدام يتباعد ...) هيا ...

(فترة ... تنتهي بصرخة مكتومة ، فاخرى ، فقعقعة سلاح ، وانهيار جسد الى الارض .. صمت مطبق..يخترقه زحف جديد..)

العريف : الحمد الله ، تمت المرحلة الاولى بسلام .

الرقيب : لنباشر العمل . مهمتنا يجب ان تنجز . انزل حقيبة المتفجرات عن ظهرك .

العريف : ها قد انزلتها .

الرقيب : هيا ،اربطها في اسفل الركيزة ، ريثما اربط حقيبتي الى الركيزة الاخرى .

(فترة ..)

العريف : قد ربطتها

الرقيب : اين « الفتيل الصاعق » ؟

العريف : قد أثبت اوله بالمتفجر .

الرقيب : هات طرفه الاخر .

العريف : دونك اياه

الرقيب : صله معي بالمتفجر . (فترة ..) اسحب .. اسحب الفتيل.. اربطه بـ « الصاعق » ، بينما اربط به « الفتيل البطيء » .

(فترة ...)

العريف : اصبح كل شيء معدا .

الرقيب : يا رب ، تمم بالخير . اسبقني ، ريثما اشعل رأس الفتيل .

العريف : هات اشعلها انا ، وامض ، انت

الرقيب : امض لا تردد .

(عود ثقاب يشتعل .. يليه وقع اقدام تجري مسرعة .. انفجار مريع ... يعقبه وابل من رصاص ..)

الرقيب : (خلال الازيز) اين انت ، ايها العريف ؟

العريف : اني هنا ، يا حضرة الرقيب . اسرع الي .

الرقيب :هانذا وراءك (فترة) ان حاميتنا ترد على رصاصهم .

(وابل من رصاص .. رصاصة قريبة تئز ..)

الرقيب : آ ...

العريف : (في جزع) ما بك ، يا حضرة الرقيب ؟

الرقيب : .. .. ..

العريف : ما بك ، يا رقيب ؟

الرقيب : (في صوت واهن) لا شيء.. يبدو .. ان رصاصة .. قد مست .. كتفي ./.

العريف : هات يدك .. ساحملك على ظهري ... ارفع جذعك .. مل الي يا الله ، يا رب..

(ازيز متلاحق .. رصاصة قريبة اخرى ..)

الرقيب : آ .... انزلني ، ايها العريف .

العريف : ... ...

الرقيب : انزلني .

العريف : لا بد ان احملك

الرقيب : انزلني .. وسدني الارض .. دعني ههنا ، وامض في سبيلك.

العريف : لا بد ان احملك

الرقيب : اتركني .. دعني .. الجسر .. دمرناه .. (بصوت يزداد وهنا)! الجسر ... الجسر .. آه .

العريف : ايها الرقيب ! (صمت) ايها الرقيب ! (في جزع) ايها الرقيب! .. ردا.. لقد دمرت جسر العدو .. فلم اغمضت عينيك ههنا ؟ (نجيب مخنوق) اصح .. تمتع بانتصارك العظيم .. حلك الصغير قوض المشكلة الكبرى .. لم يعد ثمة جسر ... هناك بطولة .. حية .. ستروى .. (الصوت يتباعد) سيرويها الناس جميعا ..

الصدى : (صوت الخطيبة ينبعث من وراء الافق .. في نشوة) سأروى خبر بطولتك لرفيقاتي ، ولن اكف عن الرواية والحديث .... (فترة ..) خطيبي الذي قوض الجسر ، قوضه بدقائق ... (في اسى) قضى حبيبي على الحدود ، حفاظا على ارواحكن .. فذرفن له دمع الشكر والوفاء .. وفاء .. (الصدى يتباعـد) قضى حبيبي بطلا .. بطلا .. وارتسم اسمه .. اسمه .. على كل لسان .. لسان ..

حلب

فاضل السباعي

من «الاصدقاء»



رسالة الى جميلة

(ملحمة شعرية لم تتم بعد .. مستوحاة من حياة الثائرة الجزائرية الفتاة جميلة بو عزة ... تلك التي شاركت بدمها في عملية تحرير وطنها من المستعمرين الفرنسيين .. ووقفت ذات يوم ، تتلقى الحكم عليها رميا بالرصاص ..)

محمد مفتاح الفيتوري

لن تسمع الجدران يا جميله !
فالسجن مثل جبهة السجان
من حجر صخر .. ومن صوان
وما الذي تصنع راحتان
نحيلتان .. مستطيلتان
لامرأة صغيرة .. نحيله !

***

السجن لا يسمع يا جميله
الا انقضاض المعاول
الا انفجار القنابل
الا عويل الزلازل
السجن سكران .. قاتل
وانت لا فأس ... ولا معول
لاخنجر ماض .. ولا منجل
أنت هنا حمامة تحجل ..
في قدميها السلاسل !!

***

الساعة الآن تدق الغداه
تدق باب الليلة التاليه
الساعة الواحدة .. الثانيه
ثلاث دقات بقلب الحياه
ثلاث خطوات تشد الظلال
وراءها في ظلمة السجن
أي حياة داخل السجن ؟!

هل سألت عيناك هذا السؤال
وأنت بين السوط والقيد
فابتلتا بأدمع الحقد
ام يا ترى لمحت بين الجبال
طلائع الثوار خلف الجبال
وهي تسد الافق بالأيدي
فاهتز في روحك حب جميل
مشى حزينا فوق هذي الرمال
حب فتى جزائري نبيل
ما زال حيا في صفوف النضال
لعله الآن ساهر
يرقب نور الجزائر
لعله الساعة يا جميله
يصغي لتنهيدتك الطويله
حين تدق القبضة الثقيله
ثلاث دقات فجائيه
ثلاث قبضات حديدية
وزحف باب ثقيل
أشبه بالرعد ..
أشبه بالطوفان يا جميله
والليلة .. الليلة صحو جميل
يلوح عن بعد ..
من كوة السجن الضبابيه
لا بد أن الصحو ، هذا الجميل

يلف حتى حائط السجن
لا بد أنه يلف الحقول
وشجر الزيتون ملء السهول
وورق التفاح ، والورد
لا بد أنه يضيء السبيل
لثورة تزحف عن بعد

***

ما أجمل الحياة يا جميله
لولا جنون الطغاة
وقهقهات السجون
لان ظالما يحب الحياه
ويكره الآخرين
لان سيدا يحب العبيد
ويكره الثائرين
لان سجانك يا جميله
ايتها النار الجزائريه
كل جنود الامبراطوريه

***

لا تطرقي رأسك يا جميله
لا تخفضي جبهتك النبيله
قفي بوجه العذاب
شامخة بالعذاب
لا تدعي رحمتهم تغسلك
لا تدعي نقمتهم تقتلك

انك قبر الامبراطورية
انك تسقين بآلامك
اشعة الشمس الجزائريه
انك تمشين بأقدامك
فوق جلال الامبراطوريه
فوق عروش قتله ..
ما زال في أعينهم جوع الملوك
ما زال في عروقهم دماء القتله
ما زال فيهم رعشة القراصنه
تمتد مليون سنة
ما زال صوت المقصله
يبعث فيهم الحنين والوله

***

أنفض التاريخ يا جميله
أملأ الوجوه بالوجوم
املأ الفضاء بالغيوم
أملأ العروق بالثارات
اذن هبيني لحظةمن حياة
حياة روح داخل السجن
حياتك الساعة يا جميله
في ليل زنزانتك الطويله
حين تدور ساعة الحزن
ثلاث دورات فجائيه
وحين لا ينفذ للاذن
الا خطى الجند الحديديه
وهي تجوب ساحة السجن
في رعشة شبه جنونيه
اذن هبيني قوة الوجود
قوة انسانية البشر
قوة الف ثائر في القيود
يفجرون طاقةالقدر
قوة شعبك العظيم
غضبان ، فرحان ، ثائر
قوة روحك المطل كالنجوم
فوق سماء الجزائر

***

يا ربما ترتجفين الان
في اطراقة طويله
يا ربما تبتسمين الآن
فالتاريخ يا جميله
تاريخنا حكاية حزينه
في قطرات دمنا دفينه
نقرأها فتستحم العيون
في عبق الذكريات ...
وتسطع الشمس على الساهرين
وتولد الاغنيات ..
« وفي المساء دخل القراصنه
ميناء بحر الروم
تحملهم أجنحة الرياح
وكان في «وهران» ضوء مئذنه
تطل في وجوم
كأنما تهم بالصياح
وهي ترى السفائن القادمه
صامتة ، واجمه
غادرة ، ناقمه
وهي تراهم من بعيد
وهي ترى الخوذات،والرماح،والبنادق
وهي ترى الرايات ،والخيول،والمحارق
« ودخل القراصنه
وشهقت أمواج بحر الروم
يا ويل بحر الروم
كان بحيرة صغيرة ، تعوم
في مائها الاطفال ،والنجوم
وتعبر الرياح الساكنه
وقبلما تصرخ روح الازمنه
« ألف ومئتان ، وخمسون سنة »
أطل فجر حزين
عريان اصفر
يلوح في مرآته معسكر
وفارسان من رجال المسلمين
ملثمان ، يقسمان
ويحفنان حفنتين من ثرى الجزائر
« بحق وهران ، وتلمسان
« لن ندع الكفار يهتكون
« ما خبأته الجزائر
« لن ندع الكفار يحرقون
« ما قدسته الشعائر
وعندما تقابل الجيشان
والفجر في دموعه غرقان
صاح رجال الشيخ محي الدين
باسمك يا واحد نستعين
الله اكبر ..
فالتقت الاصداء في حنين
حول جبال المغرب الحزين
الله اكبر
الله اكبر

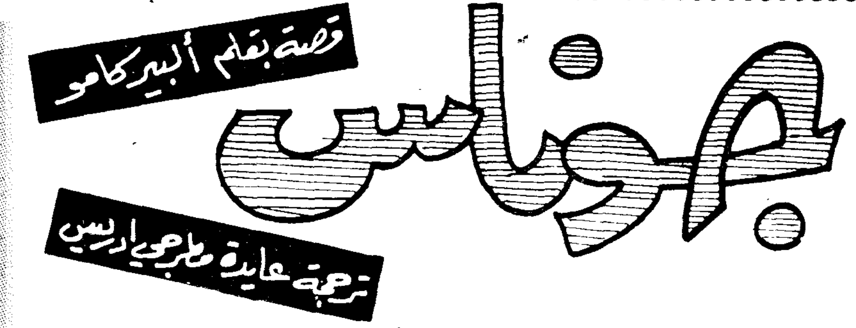
***

ومرت الاعوام يا جميله
مرت على أقدامها هزيله
وكان كل عام
يمر بالجزائر
ينجب في الظلام
الف امير مثل عبد القادر
مثلك في حشاه يحمل الرصاص
ساخرا من المنون
ومثل « بن بيللا » يغني للقصاص
وهو طائر سجين (١)

محمد الفيتوري

---

(١) - الملحمة لم تتم





((جوناس)) او ((الفنان في العمل)) هي احدى القصص التي نشرها الكاتب الكبير البير كامو منذ اشهر في كتاب عنوانه ((المنفى والملكة)) L'Exil et le Royaume . وهي من أجمل قصص المجموعة واعمقها انسانية والصقها بواقع الفنان ، ايا كانت ارضه ، وايا كان جنسه . هنا يصور كامو صراع الفنان لتأمين حياته العادية والفنية مع مجتمعه ومع ارادته ومع فنه . فهل تراه ينتصر ؟

المترجمة

كان جلبار جوناس ، الرسام الفنان ، يؤمن بنجمه . والحق انه لم يكن يعتقد الا به ، بالرغم من انه كان يشعر في نفسه باحترام وبنوع من الاعجاب بدين الآخرين . بيد ان ايمانه الخاص لم يكن بلا فضائل ما دام يقوم على الاقرار ، بصورة غامضة بانه سيحصل على كثير من الاشياء من غير ان يستحق شيئا . ثم انه لم يكن يبدي قط دهشته عندما تنازع زهاء عشرة من النقاد مجد اكتشاف موهبته اذ ناهز الخامسة والثلاثين من عمره . ولكن صفاء نفسه الذي نسبه بعضهم الى الاكتفاء ، يفسره جيدا ، على العكس من ذلك ، تواضع واثق . وان جوناس يعترف بفضل نجمه اكثر من اعترافه بمواهبه .

ولقد بدا اكثر دهشة عندما عرض عليه بائع لوحات راتبا شهريا يحرره من كل هم . وعبثا بين له المهندس راتو الذي كان يحب جوناس ونجمه منذ كان في الليسيه ان هذا الراتب لا يكاد يؤمن له حياة لائقة وان البائع لا يخسر في ذلك شيئا ، فكان جوناس يجيب ((مهما يكن...))

اما راتو الذي كان ينجح في كل ما يباشره ولكن بفضل قوة قبضته فقد كان يؤنب صديقه قائلا : ((ماذا ، مهما يكن ؟ - يجب ان تناقش في ذلك)) . ولم يحصل في ذلك شيء . فقد كان جوناس في قرارة نفسه يحمد نجمه وقد قال للبائع : ((كما تشاء)) ثم ترك الاعمال التي كان يشغلها في دار والده للنشر ليكرس نفسه بأجمعها للرسم وكان يقول: ((ان ذلك لحظ)) .

والواقع انه كان ((حظا يستمر)) فمهما كان يمعن بحثا في ذاكرته كان يجد هذا الحظ يسعفه ابدا . وهكذا فانه كان يغذي اعترافا رقيقا بجميل مكان والديه لانهما قد ربياه اولا بشرود مما اتاح فرصة للاحلام ولانهما ثانيا قد افترقا بسبب خيانة زوجية او على الاقل كانت هذه هي الحجة التي ادلى بها والده الذي نسي ان يوضح ان القضية كانت قضية خيانة من نوع خاص . فقد كان لا يطيق اعمال امرأته الخيرية التي كانت حقا قديسة لادينية وكانت قد وهبت نفسها للانسانية المعذبة . ولكن الزوج كان يدعي ان من حقه ان يتصرف تصرف سيد بفضائل زوجته . وكان هذا ((العطيل)) يقول ((حسبي خداعا مع الفقراء)) .

وكان سوء التفاهم هذا مفيدا لجوناس . فان اهله كانوا قد قرأوا او علموا ان من الممكن سرد حالات عديدة للقتلة الساديين المنحدرين من ابوين مطلقين ، فكانوا يتنافسون في بذل الوان التدليل ليخمدوا في المهد بذور مثل هذا التطور السيء . وبقدر ما كان تأثير الصدمة خفيا في وعي الطفل كان قلقهم يزداد، فلا بد ان تكون الاكتساحات التي لا ترى اعمق الاكتساحات . وكان كافيا ان يبدي جوناس رضاه عن نفسه ، او عن يومه حتى يبلغ قلق اهله المعتاد حد الجنون . وكان انتباههم يتضاعف بحيث لا يعود للطفل بعد ما يشتهيه .

وقد استحق شقاء جوناس المزعوم في النهاية اخا مخلصا في شخص صديقه راتو . فقد كان اهل هذا الاخير يدعون غالبا رفيق الليسيه الصغير لانهم كانوا يرثون لحظه السيء . وكانت احاديثهم المشفقة توحي الى ابنهم الرياضي القوي الرغبة في ان يأخذ تحت حمايته الولد الذي كان يعجب بما كان يحققه من نجاحات لا مبالية . ولقد كان الاعجاب والحميا مزيجا حسنا لصداقة تلقاها جوناس كباقي الاشياء ببساطة مشجعة .

ولما اتم جوناس دروسه من دون مجهود خاص كان من حظه ايضا ان يلتحق بدار والده للنشر ليجد هنالك له وضعا ، وبطرق غير مباشرة ليجد موهبته في الرسم . ولقد كان والد جوناس الذي كان يعد اول ناشر في فرنسا يعتقد ان الكتاب هو المستقبل اكثر من اي وقت كان ، وبسبب ازمة الثقافة بالذات . وكان يقول ان التاريخ يدل على انه بقدر ما نقل

القراءة يكثر شراء الكتب . وعلى هذا المبدأ فانه لم يكن يقرأ المخطوطات التي تعرض عليه الا في النادر ولا يعتمد في نشره الا على شخصية المؤلف او حالية مواضيعه : (ولما كان الجنس من هذه الوجهة هو الموضوع الحالي الوحيد دائما فقد انتهى الناشر الى التخصص به .) وكان يهمه فقط ان يجد لها اخراجا مثيرا ودعاية مجانية .

ولقد تلقى جوناس في الشقة المخصصة للقراءة فراغا كثيرا كان عليه ان يشغله .وهكذا التقى بالرسم .

وللمرة الاولى اكتشف في نفسه حماسة غير منتظرة ولكنها لا تكل فأخذ يكرس ايامه يرسم فيها من غير تعب ويبدع في هذا التمرين . ولم يكن هناك ما يبدو انه يثير اهتمامه اكثر . وبالكاد استطاع ان يتزوج في السن المناسبة : فقد كان الرسم يفترسه كله . ولم يكن يحفظ للكائنات وللظروف العادية الا بسمة مرحبة تغنيه عن ان ينشغل بها . ولكي يتاح لجوناس ان يهتم بالحب كان من الضروري ان يقع حادث لدراجة بخارية كان راتو يقودها بقوة . فتجمدت ذراع جوناس اليمنى في ضمادة . وانتابه الملل . وهنا ايضا فقد حمل على ان يرى في هذا الحادث الكبير تأثير نجمه المسعد . فلولاه ما كان لديه الوقت للنظر الى لويز بولن كما تستحق.

على ان راتو كان يرى ان لويز لا تستحق ان ينظر اليها . ولم يكن يحب ، وهو القصير الكثيف الا النساء الطويلات . وكان يقول له : انني لا اعلم ماذا تجد في هذه النملة . والواقع ان لويز كانت قصيرة القامة، سوداء البشرة والشعر والعينين ، ولكنها متناسبة وجميلة الهيئة . وكان جوناس الطويل الصلب يتعطف على النملة خاصة لكونها نشيطة بارعة . فقد كانت رسالة لويز النشاط ، ورسالة كهذه كانت تتلاءم جيدا مع ذوق جوناس للجمود ولحسناته . ولقد اخلصت لويز اول الامر للادب لاعتقادها، على الاقل ، ان النشر كان يهم جوناس . كانت تقرأ كل شيء من غير ترتيب وأصبحت في اسابيع قليلة قادرة على ان تتحدث في كل شيء . ولقد اعجب جوناس بها وحكم ان باستطاعته نهائيا ان يستغني عن القراءة ما دامت لويز تحيطه علما بما فيه الكفاية وتتيح له ان يعرف الضروري من الاكتشافات العصرية . وكانت لويز تؤكدقائلة : يجب ان لا يقال فلان خبيث او بشع ولكن يجب ان يقال انه يريد في نفسه ان يكون خبيثا او رديئا . وكانت الدقة في هذه الملاحظة ذات اهمية ويخشى منها ان تقود ، على الاقل ، كما لاحظ ذلك راتو ، الى شجب الجنس البشري.ولكن لويز حسمت ذلك وهي تدل على ان هذه الحقيقة التي تساندها الصحافة والتي تهتم بشؤون القلب والمجلات الفلسفية ، هي عالمية ولا يمكن ان تناقش . وقال جوناس : كما تشائين ، ناسيا بسرعة هذا الاكتشاف القاسي ليحلم بنجمه .

وأهملت لويز الادب عندما علمت ان جوناس لا يهتم الا بالرسم وعندها تولعت بالفنون التشكيلية واخذت تختلف الى المتاحف والمعارض مصطحبة جوناس الذي كان لا يفهم ما يرسمه معاصروه ويجد نفسه متضايقا من بساطته كفنان . على انه كان يسر بأن يكون محيطا بكل ما يتعلق بفنه. صحيح انه ينسى في اليوم التالي حتى اسم الرسام الذي كان قد شهد آثاره ولكن لويز كانت على حق عندما كانت تذكره جازمة باحدى الحقائق التي احتفظت بها في مرحلتها الادبية وهي ان الانسان لا ينسى في الحقيقة شيئا . ومن غير ريب كان النجم يحمي جوناس الذي كان يستطيع ان يوفق على هذا النحو ، ومن غير نية سيئة ، بين يقين الذاكرة وسهولة النسيان .

ولكن كنوز الاخلاص التي كانت لويز تنثرها كانت تتلألأ بأبهى شعاعاتها في حياة جوناس اليومية ، ولقد كان هذا الملاك الطيب يغنيه عن شراء الاحذية والكساء والثياب الداخلية ، هذا الشراء الذي يختصر بالنسبة الى الرجل العادي ايام حياة هي ، في ذاتها ، قصيرة جدا . وكانت تتحمل عبء الوف اختراعات آلة قتل الوقت ابتداء من مطبوعات الضمان الاجتماعي المبهمة الى اوضاع الضرائب المالية المتجددة دوما . وكان راتو يقول له « اجل ان ذلك متفق عليه . ولكنها لا تستطيع ان تذهب الى طبيب الاسنان بدلا منك » ولم تكن تفعل ذلك . ولكنها كانت تخابر الطبيب وتأخذ منه المواعيد في احسن الاوقات . وكانت تهتم بتفريغ سيارة الاربعة الاحصنة ، وبحجز الامكنة في فنادق الفرص وبالفحم المنزلي . وكانت تشتري هي نفسها الهدايا التي كان جوناس يرغب في تقديمها . وكانت تختار وترسل ازهاره . وكانت تجد ايضا الوقت الكافي في بعض الامسيات فتمر عليه ، في غيابه ، فتصلح له السرير الذي لن يحتاج الى استعماله هذه الليلة قبل ان ينام .

وبالاندفاع نفسه ، دخلت هذا السرير واهتمت بأخذ موعد مع المختار واصطحبت اليه جوناس قبل سنتين من اشتهاره . ونظمت رحلة شهر العسل بطريقة يزوران فيها جميع المتاحف . هذا بعد ان وجدت سلفا، في وسط ازمة السكن ، شقة مؤلفة من ثلاث غرف اقاما فيها بعد عودتهما . ثم صنعت ولدين : صبيا وفتاة ، الواحد اثر الاخر تمشيا على خطتها بأن تصنع ثلاثة اولاد ، هذه الخطة التي نفذت بعد فترة وجيزة من ترك جوناس دار النشر ليكرس نفسه للرسم .

وبعد ولادتها مباشرة لم تعد لويز تهتم الا بولدها ثم بأولادها.وكانت تحاول ان تساعد زوجها ولكن الوقت كان ينقصها . وكانت تأسف من دون شك ان تهمل جوناس ولكن طبعها الجازم كان يمنعها من ان تقف عند هذه التأسفات . وكانت تقول : لتكن الخسارة فان لكل طاولته . وكان هذا التعبير يسر جوناس الذي كان يعتز به لانه كان يرغب كجميع فناني عصره بان يعد صانعا . واذن فقد اهمل الصانع بعض الشيء فاضطر الى شراء احذيته بنفسه ، وبالرغم من ان ذلك كان من طبيعة الاشياء فان جوناس كان يغرى بان يستشعر من ذلك السعادة ، ولا شك في انه كان عليه ان يقوم بجهد ليزور المخازن ولكن هذا الجهد كان يكافأ بساعة من ساعات الوحدة التي كانت تضفي قيمة كبيرة على سعادة الزوجين.

ومع ذلك ، فقد كان موضوع المجال الحيوي يغلب سائر موضوعات الزوجين ، ذاك ان الوقت والمجال كانا يضيقان في الوقت نفسه حولهما . ولم تكن تبقي ولادة الاولاد ومهنة جوناس الجديدة ومسكنهما الضيق وضآلة الماهية التي كانت تحول دون شراء شقة اوسع من ذلك — لم يكن ذلك كله يبقي الا مجالا ضيقا لنشاط لويز وجوناس المزدوج . وكانت الشقة تقوم في الطابق الاول في فندق قديم من ايام القرن الثامن عشر في الحي القديم من العاصمة . وكان كثير من الفنانين يسكنون في هذه الدائرة . وكانوا مخلصين للمبدأ القائل ان التماس الجديد في الفن ، يجب ان يتم في اطار قديم . وكان جوناس يشاطرهم هذا الاعتقاد فيسر كثيرا في ان يعيش في هذا الحي.

واما من جهة القدم فان شقته كانت قديمة على اي حال . ولكن بعض ترتيبات حديثة جدا اضفت عليه جوا فريدا يقوم خاصة في كونه يقدم لزائريه حجما كبيرا في الوقت الذي لا يحتل فيه سوى مسافة ضيقة . فالغرف المتميزة بجدرانها المرتفعة المزينة بنوافذ بديعة كانت مهيأة من غير شك بأبعادها الضخمة للاستقبال والابهة . ولكن ضرورات المجتمع والدخل السنوي المحدود قد اجبرت الملاكين المتتابعين على ان يقطعوا

هذه الغرف الواسعة جدا بحواجز فيعددوا بهذه الطريقة الشقق التي يؤجرونها بثمن مرتفع لقطيع مستأجرهم .

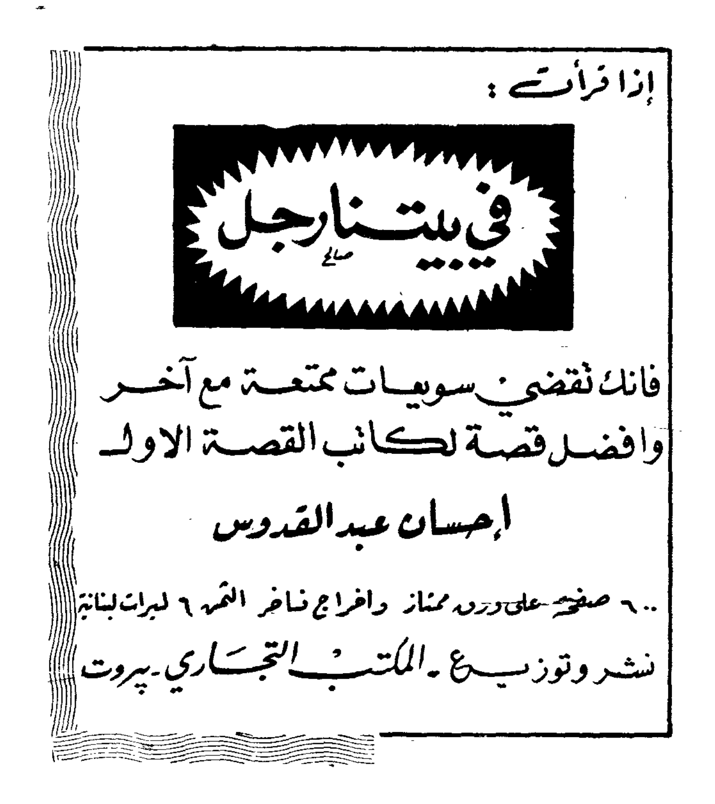
بالرغم من ذلك لم يكونوا يقللون من قيمة ما يسمونه بالتكعيب الهوائي الهام .وهذه الحسنة لم تكن لتنكر . ولكن يجب ان تنسب فقط الى عجز الملاكين في ان يقطعوا الغرف ايضا في ارتفاعها . ومن دون هذا العجز لم يكونوا ليترددوا في تقديم التضحيات اللازمة ليقدموا مزيدا من المساكن للجيل الصاعد المزواج والسريع التناسل في هذا العصر . ولم يكن التكعيب الهوائي ليقدم سوى الحسنات . فهو يجعل الغرف صعبة في تدفئتها عند الشتاء مما يجبر الملاكين للأسف ان يزيدوا في تعويض التدفئة . وفي الصيف بفضل رحابة المساحة المكسوة بالزجاج فقد كان النور ينتهك الشقة من جميع جهاتها . ولم يكن هناك من شبابيك خارجية . لقد اهمل الملاكون وضعها وقد يئسوا من دون شك من علو الشبابيك وسعر النجارة ولكن ستائر سميكة يمكن ان تؤدي الدور نفسه ولا تشكل اي مشكلة من حيث الثمن ما دامت تقوم على نفقة المستأجرين . ولكن الملاكين لم يكونوا يرفضون مساعدة المستأجرين فيقدموا لهم باسعار لا تزاحم ستائر يحضرونها من مخازنهم الخاصة . وفي الحياة العادية كان هؤلاء الامراء الجدد يبيعون النسيج القطني والمخمل .

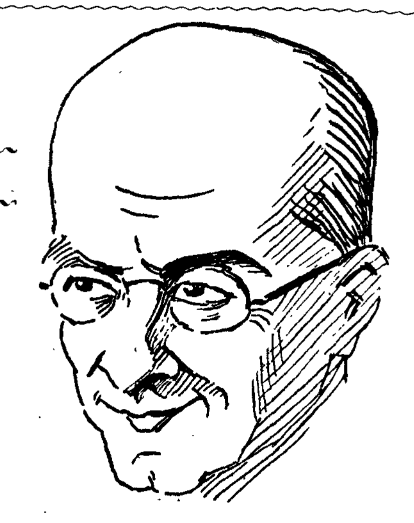
ولقد ذهل جوناس لحسنات الشقة ورضي من غير مشقة بسيئاتها وقال للملاك بصدد التعويض عن التدفئة : كما تشاء . اما من ناحية الستائر فانه قد وافق لويز التي رأت انه يكفي ان تسدل الستائر في غرفة النوم وحدها وان تبقى النوافذ الاخرى عارية . وكان هذا القلب الطاهر يقول : ليس لنا ما نخفيه . وقد انجذب جوناس خاصة بالغرفة الكبيرة ذات السقف المرتفع جدا بحيث لا يمكن التفكير باقامة جهاز للانارة . كان المرء يدخل رأسا الى هذه الغرفة التي يصلها ممر ضيق بغرفتين اصغر منها متتابعتين . ومن طرف الشقة يجاور المطبخ المنافع ومساحة ضيقة مزدانة باسم قاعة الحمام . ويمكن بالفعل ان يكون كذلك شرط ان يوضع جهاز في اتجاه عمودي وان يرضى بأن يتلقى الماء المنهمر في جمود مطلق .

وكان ارتفاع السقوف الغريب حقا وصغر الغرف يجعلان من هذه الشقة مجموعة غريبة من متوازيات مستطيلات مكسوة كلها تقريبا بالزجاج كلها ابواب ومنافذ لا يجد الاثاث فيها سندا وتبدو فيها الكائنات الضائعة في الاشعة البيضاء القوية كأنها احجام صغيرة تسبح في اناء ماء عمودي . ثم ان جميع النوافذ كانت تطل على الساحة ، اي انها تطل ، لمسافة قصيرة ،على نوافذ اخرى تتبع الاسلوب نفسه ويبدو وراءها رأسا الرسم المرتفع لنوافذ جديدة تطل على ساحة اخرى . « انها غرفة المرايا » هكذا كان يقول جوناس مفتونا . وعلى نصيحة راتو فقد تقرر ان تخصص احدى الغرفتين الصغيرتين للزوجين اما الاخرى فلايواء الطفل الذي سيولد . اما الغرفة الكبيرة فستستخدم مصنعا لجوناس في النهار وغرفة مشتركة في المساء وعند ساعات الطعام . والحق انه كان باستطاعتهم عند الضرورة ان يأكلوا في المطبخ هذا اذا رضي جوناس ولويز ان يظلا واقفين . وقد ضاعف راتو من جهته الترتيبات اللبقة . فبفضل الابواب التي تدور بسهولة والطاولات الصغيرة التي تخفى بسرعة والتي لا يمكن طيها - بفضل هذا كله توصل جوناس الى ان يعوض عن قلة الاثاث وان يبرز طابع علبة المفاجئات الكامنة في هذه الشقة الطريفة .

ولكن عندما امتلأت الغرف باللوحات والاولاد كان لا بد من التفكير بمسكن جديد من غير تأخير . فقبل ولادة الطفل الثالث كان جوناس يعمل ، بالفعل، في الغرفة الكبيرة وكانت لويز تشتغل الصوف في الغرفة الزوجية بينما يحتل الطفلان الغرفة الاخيرة ويجران فيها قطارا كبيرا كما يسرحان ايضا ، على قدر المستطاع ، في الشقة كلها . ولقد تقرر آنذاك ان يوضع المولود الجديد في زاوية من المرسم الذي فصله جوناس اذ كدس تصاويره بشكل حاجز مما يساعد على ان يكون الطفل بمقربة من السمع للاجابة على نداءاته . ولم يكن جوناس بحاجة قط الى ان ينزعج فقد كانت لويز تسبقه الى ذلك ولم تكن تنتظر صراخ الطفل حتى تدخل الى المرسم وان كانت تتخذ الوف الاحتياطات ، ودائما على رؤوس الاصابع . وقد تأثر جوناس من هذا الحذر فأكد يوما للويز بأنه ليس بالغ الحساسية وان باستطاعته ان يعمل على صوت خطاها . وكانت لويز تجيب ان هذا يعني ايضا ان لا توقظ الطفل ، واذ امتلأ جوناس اعجابا بقلب الام هذا الذي كشفته عنه لويز فقد كان يضحك ملء فمه من احتقاره . وفي الحال لم يستطع ان يبوح بأن تدخلات لويز الفجائية كانت اكثر ازعاجا من انفجار حقيقي . ذلك ان هذه التدخلات كانت تطول اكثر من

- البقية على الصفحة ٧٢ -





إيليا أبو ماضي

السراج الواهج اليقظان . من اطفأ سحره ؟
والفضاء الحالم .. الهيمان من اسكت طيره ؟
بعد أن غاصت الى اعماقه الزرقاء فتره
أمضت ..؟ ؟.. ثم استراحت. في حنايا الموج قطره؟
كان لا يدري خطاه .. أتراه الآن يدري ؟
لست ادري ؟

★

مثلما جئت الى الارض شعاعا قد مضيت
كالصدى المنغوم ... في كل المسارات مشيت
فأنا الفاك في الانسام .. كالعطر سريت
أنت ضيفي الآن ... !! عرشت الثرى طيبا ونبتا
كان لا يدري خطاه .. أتراه الآن يدري ؟
لست ادري ؟

★

الحروف انتفضت ... تصغى .. وترنو وتنازع !
وغدت .. تسعى .. عيونا ، وقلوبا ، وأضالع !
مثلما مرت على الاوتار باللحن الاصابع !
خالد أنت !.. كأرزات روابيك اليوانع
كان لا يدري خطاه .. اتراه الآن يدري
لست ادري ؟

★

لا تقولوا مات .. ما ماتت اغانيه الفنيه
فأغانيه ... شرايين الينابيع الشجية
شرب الليل ... واعطانا من النور نقيه
هكذا يحترق الفنان في كل عشيه
كان لا يدري خطاه .. أتراه الآن يدري ؟
لست ادري ؟

★

اذني خلف جدار القبر ... تصغي لقصيده
شققت كل جدار ... ضم دنياك البعيدة
قد حواك القبر لكن ... قد أبى يطلق دوده
كيف يحويك وجود انت قد كنت وجوده !
كان لا يدري خطاه .. أتراه الآن يدري ؟
لست ادري ؟

★

ورأيت الموج يصغى في الدجى يهفو اليك
كنت ترتاح الى زرقته بين يديك
وتناديه .. فيصغى .. واذا نادى عليك
فهو الآن يناديك .. ينادي مسمعيك
كان لا يدري خطاه .. أتراه الآن يدري ؟
لست ادري ؟

★

ومضى يخطر .. من حول ذهولي .. طيف ذاتك
كرنفالات صباح في ليالينا الحوالك
قد شربناها ... وما زلنا ظماء عند بابك
ايها الهادر مثل الموج في كل المسالك
كان لا يدري خطاه .. أتراه الآن يدري ؟
لست ادري ؟

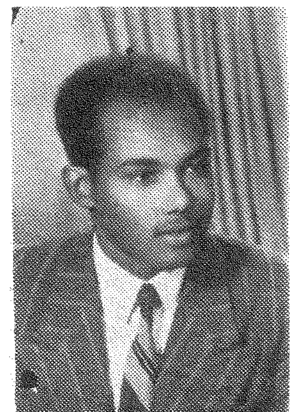
★

ايها الراحل عنا .. أترى تذكر انا .. !!
نسأل الاطيار عن دنياك امّا تتغنى
والينابيع التي تحفر في الظلمة لحنا
قد سألناها فقالت ذاب في العالم فنا
كان لا يدري خطاه .. أتراه الآن يدري ؟
لست ادري ؟

★

أتعبته في طريق العمر ... آمال كبار ..
قد ذوى العود ولكن لم يزل بعد اخضرار
طالما غنى طويلا ... ولياليها قصار !!
أغلقت شباكها الانجم .. وارتاح النهار !
كان لا يدري خطاه .. أتراه الآن يدري ؟
لست ادري ؟

★



محي الدين فارس
عضو رابطة الفنانين السودانيين بالقاهرة

نظرية الملكية في الإسلام

بقلم الدكتور سعدون حمادي

— ١ —

من خصائص الفكر الضعيف هو أنه يعكس التطور الخارجي دونما مقدرة على التمحيص والتقييم واتخاذ موقف معين ، بعكس الفكر النشيط ذي الشخصية المستقلة الناضجة والمناعة القوية ضد تغلغل النظريات الوافرة فيه . فالمجتمع الضعيف الفكر يرجع صدى المدارس الفكرية التي تنشأ في الخارج دونما مقدرة على ابداع شيء من عنده ولا تقييم لما يرده من الخارج بشكل صحيح يبرز مواضع القوة والضعف فيه . وليس من قبيل المبالغة القول بان المجتمع العربي الحاضر لا زال ضعيف الفكر يقلد بدل ان يبدع وتمر خلاله النظريات دون ان يكون له أثر فيها . والامثلة على هذا الترجيع كثيرة سنتناول واحدا منها في هذا البحث هو نظرية الملكية .

في تراث الفكر الغربي نظريتان متضادتان . واحدة تقرن الملكية الخاصة بالحرية وتعتبرها جزءا اساسيا منها ودليلا عليها بل سورا لها ، والثانية ترى بالملكية الفردية مظهرا للاستغلال ووسيلة لزيادة الاستغلال لجهود الاخرين وبالتالي للسيطرة على شؤونهم وسلب حريتهم .

ترجع النظرية الاولى بجذورها لنظرية جون لوك في نشوء المجتمع واصل الدولة . فجون لوك يرى بان الانسان ولد في حالة طبيعية ومعه حقوق اساسية هي الحياة والحرية والملكية . ونشوء الدولة ليس الا نتيجة لتعاقد جرى بين الناس غرضه ايجاد وسيلة جماعية لخدمة وحماية هذه الحقوق بدلا من ان يدافع عنها كل فرد لوحده . والفرد بانتقاله من الحالة الطبيعية الى الحالة المدنية اي بدخوله المجتمع اتى ومعه حقوق طبيعية اصيلة وهي دين الفرد على المجتمع الذي لم يوجد الا لحمايتها ورعايتها . وكل سلطة تحيد عن ذلك وتخرق العقد باطلة يحق للفرد الخروج عليها دفاعا عن حرياته الاصيلة . وترى هذه النظرية بان اصل الملكية الخاصة هو انصباب جهود الفرد على الطبيعة . فاذا ما اختلط عمل انسان بجزء من موارد الطبيعة غير المملوكة من الغير نشأ له حق التملك بذلك الجزء . اذن ، فأصل الملكية جهد الفرد . انها حق طبيعي سابق لكل القوانين التي تسنها الدولة . ولا تستطيع اية سلطة او حتى المجتمع بكامله ان يعتدي عليها . فحق التملك جزء اساسي من الحرية لا يمكن تحديده او الانتقاص منه .

اما النظرية التي ترى العكس فهي التي تضع بيد من يملك عوامل الانتاج المقدرة على استغلال جهود الاخرين وسلب حريتهم ، وان لا سبيل لاصلاح المجتمع الا بالغائها . هذا الخلاف الفكري في الغرب قد انعكس اثره في المجتمع العربي وسبب ظهور رأي يحاول ان يوفق بين التراث الاسلامي والنظريات الماركسية كجزء من محاولة التوفيق الكبرى بين التقدم الحديث وتقاليد المجتمع . فأدعى ان الاسلام لا يبيح الملكية الخاصة ويقرر الغاءها واحلال الملكية العامة مكانها . وفي هذا البحث سنأخذ مثالين للمناقشة هما رأي أنور اقبال قريشي (١) عن الرأي الاول ومحمود أبو السعود (٢) عن الثاني .

— ٢ —

من المعروف تاريخيا ان ملكية الارض الخاصة كانت شائعة في جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام فقد اشتهرت الطائف والمدينة بساتينهما التي يملكها اثرياء الحجاز . والحضارات السامية عرفت الملكية الخاصة فاعترف بها العرف السائد آنذاك وحمتها القوانين . ولم يؤد ظهور الاسلام الى تغيير جذري في قضية الملك الخاص فهو لم يبتدع هذه المؤسسة لانها كانت موجودة ولم يلغها كما يدل على ذلك التاريخ والشواهد التي سنوردها في هذا البحث فيما بعد . ولم يرد في القرآن اي نص صريح يشير الى تأسيس الملكية الخاصة بالارض ولا الى الغائها .

صحيح ان الاسلام يعتبر الله مالك السموات والارض وله يعود كل شيء فهو الذي خلق الكون وما فيه وان كل موارد الطبيعة هبة الله لعباده ، ولكن الاعتماد على هذه النظرية العامة للكون لاستنتاج ان الاسلام لا يبيح الملكية الخاصة بالارض لا يخلو من الخطأ .

تقول الاية الكريمة :

« والارض وضعها للانام ، فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام . والحب ذو العصف والريحان . فبآي الاء ربكما تكذبان » . (٣)

يشترك الاسلام مع كل الاديان السماوية الاخرى بهذه النظرة الشاملة للكون القائمة على اعتباره من صنع الله الذي

---

(١) في كتابه غير المطبوع بعد : « لاند سيستمز ان ذي مدل أيست » الفصل الثاني

(٢) في مقاله : استغلال الارض والشريعة الاسلامية (بالانكليزية) المنشور بمجلة ذي اسلامك ريفيو آب ١٩٥٢

(٣) سورة الرحمن — ٩ — ١٣

يملك كل شيء فيه ، وهي نظرة فلسفية لا يمكن ان نستنتج منها الغاء ملكية الارض الخاصة . وهدف هذه النظرة توضيح ماهية الكون وعلاقته بالله لا تحديد العلاقات الاقتصادية بين الافراد على الارض . ومما يلاحظ على هذه السورة ككل والجزء الاخير من الايات المذكورة انها تهدف عموما للتدليل على وجود الخالق وعظمته بتعديد نعمه ومآثره وما يدل عليه في الكون لا الحكم بشيوع الارض . فالسورة متجهة لتحديد علاقة الله بالكون أكثر من علاقة انسان بأنسان آخر . (٤)

كذلك الآية التي تقول : « ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » لا يصح تفسيرها حرفيا وبشكل معزول عن هذه النظرة الشاملة للكون « لله ما في السموات وما في الارض » .

ولكن لهذا الموضوع جانبا آخر لا يمكن اغفاله . فالنصوص هذه وان كانت لا تنفي الملكية الخاصة ولكنها تشف عن نظرة تضع قضية الملكية في اطار فكري عام مختلف عن نظرة الحق الطبيعي التي سبق توضيحها . فالله بنظر الاسلام يمثل الحق المطلق والعدالة التامة وهو القوة التي تسير الكون ، فان كان الامر كذلك فلا يعقل ان يكون جائزا بعرف الاسلام اطلاق يد المالك بالتصرف بأرضه بغض النظر عن مصلحة ورفاه الاخرين . الاسلام – بنظريته الشاملة للكون – قد ربط قضية الملكية نظريا ومن طرف خفي بقانون اخلاقي اعلى ، فنظرته الشاملة للكون اخلاقية باساسها اي انها تقول بوجود قوة حق وخير وراء العالم وهذه النظرة وان كانت لا تنفي حق التملك ولا تنظم تفاصيله ، تضع – بشكل نظري على الاقل – حدودا عامة للتصرف .

وآية كريمة اخرى تنص :

« كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده » (٥)

الاشارة هنا لثمار الارض وللزكاة الواجبة عليها . نحن نعرف ان الزكاة ضريبة تجبى على الارض المملوكة ملكا خاصا ، وانها تجبى للانفاق على الفقراء وانها احد اركان الاسلام الخمسة وتكون هذه الضريبة نسبة ثابتة من ثروة المكلف التي تشمل انتاج الارض والذهب والفضة والبضائع والحيوانات مع اعفاء حد ادنى . فمن جهة توضح هذه الضريبة اعتراف الاسلام بالملكية الخاصة ، ومن جهة اخرى تؤسس مبدأ الحق العام بهذه الملكية ، فهي تتضمن اعتبار ان لفقراء المجتمع حقا في ثروة الاخرين يجبى منهم ليزكيهم فالثروة لا تعتبر خالصة الا اذا دفع مالكها حق فقراء المجتمع .

---

(٤) قد اثارت عبارة « والارض وضعها للانام » نقاشا طويلا في اوساط الفكر في الباكستان بين مؤيدي الملكية الخاصة ومؤيدي الملكية العامة ، وللاطلاع على تفاصيل المناقشة يمكن الرجوع لكتاب « مسألة ملكية الارض في الاسلام » لابي علي المودودي ، المنشور بالعربية من قبل مكتبة الشباب المسلم بدمشق – سنة ١٩٥٧ .

(٥) الانعام : ١٤١

تأسيس حق التملك في الشريعة الاسلامية

يتأسس حق الملكية الخاصة في الارض في اربع حالات الشراء والارث والمنحة من الدولة واحياء ارض موات .

ليس في تفصيل الحالتين الاوليين ما يتعلق مباشرة بموضوع بحثنا هذا ، فقد عرفت الشرائع الاخرى هاتين الطريقتين قبل الاسلام ومارستها شعوب كثيرة . اما الطريقتان الثالثة والرابعة فمنشأهما اسلامي لذلك فاحكامهما تعكس روح الاسلام واتجاهه العام ، وتوضح خصائص نظرته للملكية اكثر من الطريقتين الاوليين . والآن لنتناول بحث هاتين الطريقتين بشيء من التفصيل .

الاقطاع

حدث في صدر الاسلام ان منحت الدولة اراضي زراعية لبعض الافراد ممن قدموا خدمات جليلة للدعوة وسميت عملية المنح هذه بالاقطاع . فالرسول نفسه منح بلال الحبشي قطعة من الارض تقديرا لخدماته . ويذكر بعض المؤرخين ان عادة المنح هذه قد نشأت في عهد الخلفاء الراشدين وان الارض الممنوحة اصبحت ملكا خاصا لمن قدمت له المنحة . ولكننا نلاحظ ان الاقطاع هذا قد تطور وتغير بمرور الزمن مع توسع الدولة وتشعب حاجاتها وتطورها من بسيطة الى معقدة ففي البداية كانت الدولة محدودة الحاجيات وبسيطة التركيب ولكنها بالفتح والتوسع اصبحت بحاجة لموارد مالية وادارة وتنظيم اكثر تعقيدا مما سبق . ويلاحظ من التطور التاريخي للاقطاع انه قد تحول تدريجيا من ملك خاص الى نوع من الملكية الخاصة المحددة . فالخلفاء العباسيون اخذوا يترددون في منح الاراضي ملكا خاصا للافراد والعوائل ويفكرون بضرورة تغيير ما جرى عليه الحكام السابقون . وقد ناقش الفقيه ابو يوسف بكتابه المعروف « الخراج » قضية الاقطاع بالتفصيل وخلص لتقرير ان الاقطاع منح الشخص الممنوح ملكية خاصة في الارض الممنوحة في بداية نشوئه، ولكنه تحول تدريجيا لنوع من الملكية المحددة فيما بعد . والخلفاء العباسيون انفسهم بدأوا يعتبرون ان هذه الطريقة تؤسس في الارض نوعا من الملكية يحتفظ للدولة بدرجة من الرقبة على الارض . ووراء هذا التحول تكمن عوامل سياسية لا يستهان بها . فالخلفاء العباسيون واجهوا مشكلة توسع نفوذ بعض العوائل السياسي نتيجة لنفوذهم المالي وحيازتهم اراضي واسعة ونكبة البرامكة على يد الرشيد شاهد على رد فعل السلطة لتفاقم هذا الخطر . والخلاصة هي ان مؤسسة الاقطاع وان كانت تعكس اعتراف الاسلام بالملكية الخاصة الا انها بتطورها على النحو المذكور تعكس ايضا استعداد الاسلام لتحديدها اذا ما اقتضت المصلحة العامة ذلك . فزيادة حاجيات الدولة المالية وتوسع النفوذ السياسي والاقتصادي لبعض الافراد والعوائل والخوف من نشوء نظام اقتصادي اقطاعي ينافس الدولة جنح بالحكم العباسي لتعديل الاقطاع بتحويله من ملك خاص الى ملكية محددة تبقى

بموجبها الدولة المالك الحقيقي وان كانت حيازتها واستغلالها في يد الافراد .

هذا التطور في موقف الاسلام من الاقطاع يثير اعتراف السيد قريشي الذي يعتبره بدعة وخروجا على تعاليم الاسلام الاساسية التي تبيح الملكية الفردية التامة . ويتوضح خطأ هذا الرأي في أنه يعتبر التغيير الذي حدث في الاقطاع تدبيرا شخصيا قام به بعض الخلفاء ولا يعبر عن رأي الاسلام في الموضوع . وبذلك يكون تفسيره شخصيا لا اجتماعيا لانه يغفل ان التدبير المذكور كان تلبية لحاجيات جديدة نشأت عن توسع الدولة وجوابا لمشاكل سياسية نجمت عن تجمع اقطاعيات واسعة بيد قلة من الافراد والعوائل .

احياء الارض الخالية

يعرف ابو يوسف الارض الخالية بانها تلك التي لا اثر فيها للزراعة او البناء وغير المعدة لاستعمال المنطقة المجاورة والتي ليست مرعى مشاعا ولا أرض مقبرة وغير المستعملة للحصول على الاخشاب او علف المواشي والتي ليست بحيازة او ملكية اي شخص . وتقسم هذه الارض الى ارض موات وارض خالصة . الارض الموات هي الارض الخالية المهملة بسبب موت المالك بدون وريث او التي لم تكن مملوكة لاحد قط ولم تستغل لانعدام الماء . اما الارض الخالصة فهي الارض الخالية التي اسندت ملكيتها للدولة .

يتفق المؤرخون والفقهاء على أن الرسول قد اسس قاعدة اسناد ملكية الارض الخالية لمن يستغلها . فقد روى الحسن ابن سمرة عن الرسول قال « من احاط حائطا على ارض فهي له » (٦)وعن عروة قال « ان رسول الله قضى أن الارض ارض الله ، والعباد عباد الله ، ومن احيا مواتا فهو احق بها، جاءنا بهذا عن النبي الذين جاءوا الصلوات عنه » (٧) . وعن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله «من احيا ارضا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق . » (٨)

الملاحظ على هذه النصوص هي أنها تتضمن شرطين لاكتساب ملكية الارض الخالية : تسويرها واستغلالها . وفي رواية أخرى عن طاووس قال : قال رسول الله « عادي الارض لله وللرسول ثم لكم من بعد ، فمن احيا ارضا ميتة فهي له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين . » (٩)

وعن سالم بن عبدالله ان الخليفة عمر بن الخطاب قال على المنبر « من احيا ارضا ميتة فهي له وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين ، وذلك ان رجالا كانوا يحتجرون من الارض ما لا يعملون » (١٠) باسناد هذه الاحاديث

(٦) كتاب « الاموال » باب فتوح الارضين صلحا رقم ١٥٠ ص ٥٩.

(٧) الاموال .

(٨) ابو داود : باب في احياء الموات ــ جزء ٤ ــ ص ٢٦٥ رقم ٢٩٤٩ ، والخراج لابي‌يوسف ص ٧٧ والاموال ص ٢٨٦ رقم ٧٠٢

(٩) ابو يوسف : كتاب الخراج ــ باب في موات الارض في الصلح عنوة وغيرهما ، ص ٧٧ .

(١٠) نفس المصدر المذكور اعلاه .

واجماع الفقهاء تقرر الشريعة الاسلامية بشكل غير مختلف عليه ان الذي يشغل ارضا خالية يفقد حقه فيها اذا لم يستغلها خلال السنين الثلاث الاولى . ويضيف ابو حنيفة شرطا آخر هو موافقة السلطة الحاكمة . ويفرق مالك بين الارض القريبة من المناطق المأهولة بالسكان كالمدن والارض البعيدة عنها ، ويضع شرط موافقة السلطة على الصنف الاول دون الثاني . ومن الواضح أن هذا الرأي مستند على اعتبار ان شرط موافقة السلطة على تملك الارض القريبة من المدن ضروري لضمان حقوق قاطني الارض المجاورة . ومما يعرف عن ابي حنيفة بانه يعتمد على مضمون النصوص وروحها دونما تمسك شديد بالحرف والنص . وقد اعتبره كثير من فقهاء المسلمين والباحثين الاجانب صائبا في رأيه هذا .

كانت الامور بسيطة في عهد الرسول ، الاراضي الخالية موفورة وعدد المسلمين قليل وسياسة الباب المفتوح في اشغال هذه الاراضي لم يكن من المتوقع ان تخلق مشاكل جدية ولكن بمرور الزمن زادت رقعة الاراضي المملوكة من قبل الدولة وزاد عدد المسلمين فظهرت الحاجة لتنظيم تمليك هذه الاراضي للافراد بواسطة الدولة ، واصبحت موافقة السلطة ضرورة تقتضيها المصلحة العامة . وبذلك فرض على تمليك الارض الخالية تحديد جديد غايته حماية الصالح العام .

نظم استغلال الارض في الاسلام

وفي نظم استغلال الارض ايضا تبرز هذه النظرة للملكية الخاصة : اباحتها ضمن حدود المصلحة العامة . وشيء من التفصيل ضروري لتوضيح ذلك .

عندما فتح العرب المسلمون العراق وسوريا وفلسطين ومصر نشأت ضرورة للبت في مصير الاراضي المفتوحة . فالذين اسلموا من سكان هذه البلدان حفظت لهم ملكية ارضهم على ان يدفعوا العشر . اما الذين بقوا على دينهم فتحدد علاقاتهم بالارض بماهدة بينهم وبين المسلمين وهذا في حالة السلم ، اما اذا اختار السكان الحرب وخسروها فتصبح ارضهم غنيمة تحت تصرف الامام . وفي عهد الرسول كانت هذه الاراضي توزع بين الفاتحين كغنائم حرب ويفرز خمسها للدولة . وقد ادخل الخليفة عمر بن الخطاب اجراء جديدا قضى بموجبه ترك حق اشغال الارض لاصحابها على ان يدفعوا ضريبة ارض دعيت الخراج . وكان هذا التدبير الجديد المصدر التاريخي لما يدعي اليوم بالارض الاميرية. وبذلك نشأ نظام جديد في ملكية الارض. ترتكز فكرة الارض الخراجية على الفصل بين ملكية التربة كمادة اسندت للدولة وملكية الاستعمال التي تركت بيد الافراد . وقد توسعت رقعة الارض الخراجية فشملت مساحات عظيمة من ارض العراق وبقية الاقطار المفتوحة في عهد الخليفة الثاني . وقد روي انه كتب لقائد الجيش في العراق سعد بن ابي وقاص عن كيفية التصرف بالغنائم :

واترك الارضين والانهار لعمالها ليكون ذلك في اعطيات المسلمين ، فانا لو قسمناها بين من حضر ، لم يكن لمن بعدهم شيء » . (١١) كذلك يروى ان « عمر قال لعقبة بن فرقد حين اشترى ارضا على شاطيء الفرات : ممن اشتريتها ؟ قال : « من اربابها » فلما اجتمع المهاجرون والانصار عند عمر قال : « هؤلاء اهلها فهل اشتريت منهم شيئا ؟ » قال «لا» قال : «فارددها على من اشتريتها منه وخذ مالك»(١٢) وقد اعتبرت الارض التي وزعت على المحاربين وتلك التي قبل اصحابها الاسلام على انها ملك خاص للعشر وسميت بالارض العشرية بينما خضعت ملكية الارض الخراجية لتحديدات معينة . فالارض الخراجية يمكن ان تباع وتثقل برهن وتورث ولكنها لا يمكن ان تمنح حسب رغبة صاحبها ، واذا ما توفي دون أن يترك وريثا رجعت للدولة .

وتجدر الاشارة في هذا المجال لرأي الفريد بونيه بالارض الخراجية حيث يقول ما ترجمته « تستند فكرة الارض الاميرية على اعتبار ان الدولة قد منحت هذه الارض بقصد استغلالها واعمارها . والذي تمنح له هذه الارض ملزم بزراعتها وبذلك يصبح قادرا على تأدية حصة للحكومة كضريبة . وبجانب هذه الحقوق الادارية هناك شرط موافقة السلطة التي بدونها لا يكون نقل الملكية شرعيا » (١٣)

وهناك نظام الوقف في الاسلام يهمنا شرحه لتعلقه بموضوع البحث . يمكننا تعريف الاراضي الموقوفة بأنها تلك التي نقلت ملكيتها بدون رجوع لغرض ديني او خيري . والارض الموقوفة هذه لا يمكن بيعها أوالتنازل عنها اورهنها. ويرجع المؤرخون الاصول الاولى لهذا النظام للخليفة عمر بن الخطاب الذي فرز قسما من اراضي الدولة كوقف لمنفعة المجتمع الاسلامي . ونظام الوقف هذا يوضح استعداد الاسلام لتحديد الملكية الخاصة في سبيل خدمة المصلحة العامة . ويعتقد طلاب ابي حنيفة ان الوقف يعني اخضاع ملكية شيء معين للملكية الالهية يتوقف بموجبها حق المالك وتنتقل ملكية الشيء لله ويرجع الانتفاع به لعباده .(١٤) ويتضمن تفسير الفريد بونيه الفكرة ذاتها فيرى ان مؤسسة الوقف توضح ان نظرية الملكية في الاسلام تستند على مبدأ ان الارض ملك الله الذي منح حق استعمالها للبشر . (١٥)

المزارعة في الشريعة الاسلامية

يختلف الكتاب على موقف الشريعة الاسلامية من مسألة المزارعة فمحمود ابو السعود يرى ان الاسلام قد منع تأجير الارض منعا باتا ، بينما يرى قريشي العكس تماما . وقد أورد ابو السعود شواهد وروايات لاسناد موقفه اهمها الرواية المسندة لرافع بن خديج التي استشهد بها خصمه قريشي كذلك . روى رافع بن خديج « كنا نحاقل الارض على عهد رسول الله (ص) فنكريها بالثلث والربع والطعام المسمى ، فجاءنا ذات يوم رجل من عمومتي : فقال « نهى رسول الله (ص) عن امر كان لنا نافعا ، وطواعية الله ورسوله انفع لنا ، نهانا ان نحاقل بالارض فنكريها على الثلث والربع والطعام المسمى وامر رب الارض ان يزرعها او يُزرعها وكره كراءها وماسوى ذلك»(١٦) وهناك سبع روايات اخرى عن رافع بن خديج تؤكد نفس المضمون . وقد رد قريشي على ذلك بتفصيل الظروف التي وردت بها الروايات والاستعانة بروايات اخرى توضح مضمون النص المذكور. فقد اورد ان حنظلة بن قيس قد حقق في الامر مع رافع بن خديج ووصل الى التوضيح التالي : الحقيقة هي انه في زمن الرسول (ص) اعتاد الناس تأجير اراضيهم بشروط غير عادلة كاشتراط رجوع حاصل الارض القريبة على السواقي او حاصل البقع الممتازة الاخرى لصاحب الارض. ونظرا لانتشار العادة فقد عمد الرسول (ص) لمنع تأجير الارض بمثل هذه الشروط القاسية اذ ان حصة المالك في المنتوج لم تكن محددة بوضوح تام . ويرى قريشي ان التفاصيل المتعلقة بهذه الروايات توضح ان المزارعة لم تكن موضوع المنع بل المزارعة بالشروط القاسية التي كانت شائعة آنذاك . ورغم ان قريشي قد استعمل هذا المنطق لاسناد رايه القائل بان الاسلام يبيح الملكية الخاصة بشكل مطلق الا ان المعلومات التي يستعين بها تثبت شيئا مختلفا ، تثبت ان الملكية الفردية في الاسلام محددة بمقتضيات الصالح العام . من الواضح من النص المذكور ان الرسول (ص) قد حدد شروط تأجير الارض – للفلاحين واخضع العلاقة بين المالك والمستأجر للعدالة اي لمبدأ أخلاقي أعلى ، وبذلك قد حدد الحق المطلق لصاحب الارض في التصرف بأرضه .

ورأي الفقهاء المسلمين يؤيد هذا الرأي فثلاث مدارس متفقة على اعتبار ان اية مزارعة تمنح مالك الارض امتيازات خاصة باطلة . تشترط الشريعة الاسلامية لتكون المزارعة صحيحة ان يقتسم الطرفان المحصول بعد حصاده . اذا اشترطت مزارعة ما اعطاء احد الطرفين حصة ثابتة فهي باطلة . كذلك يبطل اي تعاقد يشترط اعطاء الطرف الذي يزود البذور حصة تساوي ما قدمه اولا ثم اقتسام ما تبقى بين الطرفين ، اذ قد لا يبقى شيء من المحصول بعد فرز هذه الحصة المعينة لصاحب البذور . اذا اشترط تعاقد ما اعطاء احد الطرفين انتاج جزء معين من الارض وما تبقى للطرف الثاني فهو باطل اذ قد يكون مجموع المنتوج مساويا لانتاج ذلك الجزء فقط .

والمبدأ الذي تبنى عليه هذه الاحكام هو ان المزارعة شراكة يجب ان يتساوى الطرفان بها في تحمل مخاطر الانتاج ، فكل شرط يعطي احد الطرفين ضمانا اكثر من الطرف الآخر ينقض شرط المساواة ويحيل التعاقد باطلا . وهذا هو نفس

(١١) كتاب الاموال : باب فتوح الارضين صلحا رقم ١٥٠ ص ٠٥٩ .
(١٢) الاموال : رقم ١٩٦ – ص ٠٧٧ .
(١٣) الفريد بونيه : الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الاوسط (بالانكليزية) ص ١١٦
(١٤) قريشي ، ص ١٥
(١٥) بونيه – المذكور اعلاه – ص ١١٩
(١٦) صحيح مسلم : باب كراء الارض بالطعام : ج ٥ ، ص ٢٣ .

المبدأ الذي يحرم الاسلام بموجبه الربى . فالتسليف بفائدة تعاقد يعطي المسلف ضمانا برجوع ما له والفائدة بغض النظر عن المخاطر التي سيتعرض لها المستلف الملزم بارجاع ما اقترضه مع الفائدة حتى ولو لم يربح شيئا من المشروع الذي استلف المال لاجله . ومن ذلك يتضح ان الاسلام لا يعتبر مجرد ملكية الارض كافية لتبرير الحصول على دخل منها اذ يجب ان يشترك المالك بتحمل مخاطر الانتاج كذلك، اي ان يقدم شيئا بشريا . وهو يعتبر استقطاع حصة معينة مضمونة من قبل مالك الارض بمثابة ربى يشبه ذلك الذي يحصل عليه الممول .

— ٣ —

صحيح انه ليس في التراث الاسلامي ما يشير بوضوح لتأسيس الملكية الجماعية في الارض ولكن بجانب ذلك يدل التحليل المار على ان الملكية الخاصة كانت دائما خاضعة لقوانين اخلاقية واعتبارات المصلحة العامة . واذا ما اصطدمت مصلحة الفرد الخاصة بالمصلحة العامة للمجموع اعطيت الغلبة للثانية على الاولى . لذلك فنظرية الحق الطبيعي التي تعتبر التملك الفردي دين الفرد على المجتمع وحق اتى به من الحالة الطبيعية الدينية الصرفة هناك المجتمع لا مجال لها في الاسلام . وهذا التأكيد على اهمية المجتمع نابع من نظرة اوسع تتضمن المهمة التأريخية التي اتى الاسلام لتحقيقها . فبجانب المهمة الدينية الصرفة هناك مهمة الاصلاح الاجتماعي الشامل ، فقد حاول الاسلام تحقيق وحدة وتقدم المجتمع العربي . ولانجاز ذلك كان على الفلسفة الجديدة ان تحارب ذلك النوع من الفردية الشائعة في مجتمع الجاهلية . ولاول وهلة قد يبدو هذا الرأي متناقضا مع ما عرف عن الاسلام من تأكيد على حرية الفرد . ولكن هذا التناقض ظاهري لا حقيقي . وبرأيي الخاص ان من معجزات الاسلام انه استطاع تحقيق الوحدة القومية وحرية الفرد بنفس الوقت دونما تضارب . كان الفرد في المجتمع الوثني القبلي حرا بمعنى ان سلوكه غير محدد باعتبارات وقيود ثقيلة . كان سلوك الفرد مقيدا بقيم نابعة من حياة بسيطة ، لذلك كانت تلك القيود غير ثقيلة . ولكن سبب هذه الحرية هو خلو الحياة من مهمة تأريخية كبيرة — خلوها من اعباء تحقيق رسالة تتعدى الحدود وعدم ارتباطها بمسؤولية تجاه شؤون العالم . لذلك فالفرد الذي كان يشعر بالحرية كان في موضع تفاهة ايضا ، في موضع لا يشعره باهميته كأنسان مسؤول عن اكثر من نفسه وقبيلته . الشعور بالحرية كان يرافقه شعور بعدم الاهمية . ولكن بمجيء الاسلام كرسالة للعالم انتشل الفرد من هوة التفاهة وعدم الاهمية والعيش على الهامش بدون معنى ووضع على اكتافه مسؤولية تحقيق رسالة للبشر واصبح مقياس السلوك هو المشاركة بتحقيق هذه الرسالة . وبذلك اصبح سلوك الفرد خاضعا لقيم اعلى منه، قيم نابعة من تلك الرسالة واوسع من عالمه القديم . هذا الشعور بالاهمية والمعنى والمسؤولية لتحقيق رسالة حق للبشر هو النوع من الفردية الذي احله الاسلام محل فردية الجاهلية ، وهو النوع الذي يلائم التماسك القومي والتعاون الاجتماعي . وبذلك اكد الاسلام على الوحدة والتعاون والمسؤولية الاجتماعية وحارب القبلية والانانية واللامسؤولية من هذه النظرة العامة يتفرع تأكيد الاسلام على المجتمع في تنظيم الملكية الخاصة . والخلاصة الاخيرة هي ان الاسلام لم يلغ الملكية الفردية — وحسب نظرته الشاملة — لا يمكن ان يلغيها ، ولكنه ينظر للملكية الخاصة على انها حق اجتماعي لا طبيعي .

— ٤ —

تواجه البلاد العربية اليوم — بضمن المشاكل المتعددة — مشكلة الارض التي يتوقف على حلها حل ازمة من المشاكل السياسية والاقتصادية . فالارض الزراعية لا زالت المصدر الرئيسي لعيش الاكثرية ولكن نظام استغلالها ليس من النوع الذي يساعد التطور الاقتصادي والسياسي ولا التقدم الاجتماعي بصورة عامة . فهناك قضية اصلاح نظم الاراضي القائمة على اساس الملكيات الكبيرة الواسعة المؤجرة لفلاحين يستغلونها بطرق بدائية لقاء حصة في المنتوج تتراوح بين النصف والثلاثة ارباع للمالك وما يتبقى للفلاح . وقد واجهت مصر هذه المشكلة بمشروع جزئي يهدف لتحقيق ملكية صغيرة منتجة ومتطورة ، اما في بقية اجزاء البلاد العربية فقد بقيت المشكلة قائمة — صراع بين مالكي الارض والفلاحين يدور حول قضية التقدم الاجتماعي برمتها . ونتيجة لذلك تطرح الان قضية الملكية بوجهها العلمي والنظري في اوساط السياسة والفكر . ووجهها النظري يستهدف التعرف على حقيقة موقف تراث المجتمع . وبكلمات اخرى ان الحركة الاصلاحية تفتش عما يبررها في تراث المجتمع ونجاحها في ذلك لا شك مفيد. الاصلاح الذي له جذور في المجتمع اسهل وتقبله اسرع .

هناك مسألة توزيع الاراضي على الفلاحين وفرض ضرائب على الارض والارث واعادة توزيع الثروة وتأميم المصالح الكبرى ومصادر الثروة الطبيعية لا بل كل قضية تدخل الحكومة في النشاط الاقتصادي . وكل ذلك مرتبط تمام الارتباط بنوعية حق المالك بالارض . والخلاصة هي ان نظرة الاسلام للملك على انه حق اجتماعي تساعد الاصلاح الاجتماعي وتسهله بعكس الحال فيما لو كانت غير ذلك .

سعدون حمادي

محرر باب الشعر يباشر مهمته ...

بقلم وليام روز بينيت
ترجمة محمد عبد الله الشفقي

اني لاذكر تلك الايام التي كان رؤساء تحرير المجلات ينظرون فيها الى النظم باعتباره مادة تنشر لا لشيء الا لشغل الفراغ الموجود بالمجلة ، كما كانوا لا يفرقون بين نوع من الشعر وآخر ، ويبدو ان هذه الايام قد مضت ولن تعود ، باستثناء بعض المجلات المحبوبة التي تتمتع الآن بتوزيع هائل. وفي الاونة الاخيرة نشر عدد ضئيل من هذه المجلات الواسعة الانتشار نظما يستحق ان يحظى بلقب « شعر » عن جدارة ، هذا بالرغم من ان محرريها يدعون عدم الالمام او الاهتمام بالشعر .

اني اكتب مقالي هذا موجها حديثي لهؤلاء الذين يريدون كتابة الشعر الحق ـ لا مجرد النظم ، والذين يتوقفون الى نشره في المجلات . ولكن اتعرض للشعر المرح، غير اني سأشير اليه متعجلا لاقول ان الشعر المرح الجيد يتطلب مهارة فائقة،ولا بد ان يتضمن هذا الشعر مزايا تضمن لنا استمتاع الاجيال القادمة به . لنضع الشعر المعروف في طرف والشعر المرح في طرف آخر ... حينئذ نكتشف في منتصف الطريق ـ بين هذين الطرفين ـ نظما يتناول الامور والشئون العادية البسيطة ، وغالبا ما يحتوي هذا النوع على مواعظ اخلاقية غير مقبولة . ولقد شاع هذا النوع في معظم مجلاتنا ، وما زالت قلة ممن تؤمن بنبضة القلب الانسانية الصارخة تمارس هذا النوع من النظم وتقدمه للمطابع . غير انه لا يشترك مع الشعر الجيد في صفات كثيرة ، لان وحيه ينبع من هامش العقل ، وهو يعالج موضوعات مألوفة تافهة ، كما انه لا يتمتع ـ من حيث الشكل ـ بصفات مميزة .لهذا لا يهمنا في مقالنا الراهن هذا النوع .

هناك فئة من الشعراء لا تهتم بنشر قصائدها في مجلات الشعر الدورية ... وربما تمتع الشاعر ـ او الشاعرة ـ الذي ينضوي تحت لواء هذه الفئة بمزايا رفيعة . ان الشاعر الحق يتمتع بنزعة استقلالية كاملة بل ويجب عليه ان يكون كذلك دائما . والشاعر الحق يقرأ ما تنشره المجلات من قصائد فيرى ان هذه القصائد مضطرة الى الخضوع لمقاييس جامدة ـ في نظره ـ الى ابعد الحدود ، كما يرى هذا الشاعر ان المشرفين على نشر هذه القصائد لا يتمتعون بملكة التذوق والتمييز . وغالبا ما يكون الشاعر الحق محقا في رأيه هذا . فأغلب المجلات لا تملك محررين مختصين بفحص القصائد فقط دون غيرها من ابواب الادب الاخرى . وقد يحدث احيانا ان يتعود احد المحررين في المجلة ابداء رأيه في الشعر والحكم عليه بعد ان تم له التمرين والالم باطراف من التذوق . ولكن هذه الظاهرة لا تحدث على نطاق واسع . والشاعر المبتديء في حاجة الى طريق ينفذ من خلاله شعره البكر : انه يتوق الى قراءة قصائده وهي مطبوعة في المجلة ، لان المرء حين يرى عمله الاول منشورا في مجلة ، يتعلم دروسا ثمينة ، واحيانا مفزعة . الشاعر المبتديء يريد ان يشعر بان بينه وبين جمهوره صلة ما . ان شعره لم يصل بعد الى هذه المرحلة التي تتاح له فيها فرصة عرض اصول القصائد على الناشرين . وحتى لو وصل شعره الى هذه المرحلة فان الناشر الحديث ـ شأن الناشر القديم ـ لا يتلهف على نشر اولى الثمرات المجهولة لشاعر مجهول اللهم الا اذا كانت هذه الثمرة من الروعة بحيث تستحق كل تقدير . وفي هذه الحالة يضطر الناشر الى طبعها ، غير ان معظم الشعراء المبتدئين لا يتمتعون بهذه الملكات الفائقة . ولكن ، يجب عليهم ان يبدأوا ويستعدوا للظهور . وهم يحدثون انفسهم قائلين : اذا بدأ انتاجنا في الظهور على صفحات المجلات التي عرف عنها حسن انتقائها لكل ما هو جيد ، فان ذلك سيساعد على تشييد صروح شهرتنا.

وبعد ذلك يشغل الشاعر المبتديء نفسه بمشكلة النقود ، والاجور !! آه لو اتيحت له فرصة جمع مبلغ من المال لقاء ما يكتبه من شعر ! والذي يحدث في الواقع ان مجلات الشعر في امريكا ـ دون غيرها من مجلات البلدان الاخرى ـ تكافيء شعراءها ، غير ان المبالغ المدفوعة ليست بالضخمة على كل حال . ومن المؤكد انه اذا ما تمتعت مجلة الشعر بمركز مالي محترم ونشرت شعرا جيدا فلا بد من رفع أجور شعرائها . غير ان النشر في المجلات يخضع لقانون العرض والطلب . والمشرف على المجلة يتساءل : اذا استطعت شراء قصيدة بسعر منخفض ـ لان الاقلية تطلب الشعر ـ فلماذا ادفع مزيدا من النقود ؟

وقبيل الحرب العالمية الاولى حدث في الولايات المتحدة ان فكر بعض رواد الادب المبرزين في المشكلة التالية : ان الشعر في حاجة الى جمهور يقرأ له ... وفي تلك الاونة تعود معظم اصحاب المجلات اتاحة مساحة ضئيلة للشعر ،واستخدموه في سد الفراغات الشاذة عند اسفل الصفحات ، وهي فراغات من السعة بحيث لا تسمح بزخارف الحروف ، ومن الضيق بحيث لا تستوعب حتى اقصر القطع النثرية . كان الشعر يقاس حينئذ « بالمسطرة » . وكان في استطاعة الشخص الذي يكتب الرباعيات الجيدة أن يبيعها ، على شرط ان يقنع بدولار او دولارين عن كل رباعية. وحلف الرواد المبرزون بجميع الالهة صائحين : ان عادة ابطال مجلات الشعر التي لا تؤذي عادة يجب ان توقف عند حدها ! وكانت مس هارييت مونرو أقوى هؤلاء الرواد واكثرهم تقديرا للشعر كفن من الفنون الجميلة . وفتحت اعتمادا ماليا لاصدار دوريتها الصغيرة المسماة بـ « الشعر ـ مجلة للنظم » وقد كانت قاصرة على هذا النوع من التعبير

الادبي (الشعر .) دون غيره من الانواع . وفي الوقت الذي ظهرت فيه هذه المجلة الدورية كان هنا بعض الشعراء ممن بدأوا ينظمون القصيد ، ثم عرفتهم امريكا الحديثة بعد ذلك واعتبرتهم من رواد الشعر الاوائل ، وهم : روبرت فروست Robert Frost، فاشيل لندسي V. Lindsay ادجار لي ماسترز Edgard Lee Masters آمي لويل ، ازرا باوند ، وشعراء التصوير الدقيق Imagists وكثيرون غيرهم . وفي شيكاغو جمعت مس هاربيت مونرو حولها كل من يهتمون بالشعر كفن حيوي لا كوسيلة للحصول على اجر لقاء النظم . ان التاريخ الادبي سيشهد بنجاح مجلة « الشعر » في تقديم افضل المواهب الشعرية في هذا البلد . واكثر من هذا ان مجلة « الشعر » حرصت على مكافأة شعرائها ماليا .

ولم تكن مس مونرو وحدها هي التي حاولت اصدار مجلة للشعر في هذه الفترة .. غير ان الاستجابة التي قوبلت بها مجلتها قد تمخضت عن ظهور عدد كبير من دوريات الشعر الصغيرة التي تحاول جاهدة الوقوف على قدميها والاخلاص لرسالة الشعر فقط . وماتت بعض هذه الدوريات في سن مبكرة ، وعاش البعض الاخر .

وفي ايامنا هذه تصافحنا مجلات كثيرة تقتصر على الشعر فقط ... غير ان معظم الذين يسيطرون على هذه المجلات لا يملكون مواهب مس هاربيت مونرو ، ومن ثم يعتبرون عقبة تعترض هؤلاء الذين يريدون التعرف على الشعر المعاصر .

بيد ان هذه المجلات تساعد الشاعر المبتديء على محاولة التحليق بأجنحته على صفحاتها ، والشاعر المبتديء في هذه المجلات يعرف جيدا انهم لن يلصقوا به تهمة التطلع الى غرض اخر (الحصول على المال) . ذلك لان هذه المجلات لا تقتفي اثر مجلة « الشعر » التي كانت تدفع نقودا لشعرائها . فالمجلات فقيرة ، وهي تبذل جهودا مضنية لدفع «فاتورة الحساب» لصاحب المطبعة !!

وفي عام ١٩٢٠ اصدر هنري سنديل كانبي Henry Sendel Canby ملحقا ادبيا لصحيفة « نيويورك ايفننج بوست New York Evning Post

... كانت الحرب قد وضعت اوزارها .. ومزقت خيوط حركة الشعر في امريكا وبريطانيا . واعقب هذه الحرب جمود في المشاعر . ولم يساعد هذا الجمود بالطبع على خلق اجواءيتنفس فيها الشعر بحرية . ومع ذلك، صمم محررو الملحق الادبي (وكانوا يهتمون بالشعر اهتماما كبيرا) على وجوب فتح الطريق امام الشعر الجيد ، على ان يتم اختيار القصائد الجيدة دون ادنى تحيز ، وطبقا لاحكام المشرفين العادلة ، وان تظهر القصائد في صورة امينة غير مشوهة . كما اصروا على عدم الحيلولة دون نشر القصائد المطولة اذا ما كانت هذه القصائد ممتازة .

واليوم ، يحاول محررو « ساتردي ريفيو » الادبية Satarday Review ان يترسموا خطى هذه السياسة . لقد خصصوا اقصى ما تتيحه الامكانيات الضئيلة من مساحات لينشروا القصائد الجيدة التي تصل اليهم. كما حاولوا اعداد عقولهم لتقبل المناهج الجديدة في نظم الشعر ، وكذلك التجارب المبتكرة ، واختيار موضوع القصيدة « اود ان اقول ان الشاعر لا يختار - عن وعي - موضوع قصيدته !! »

اريد الان ان اتحدث واضرب الامثلة من المجلة التي اعرف كل شيء عنها اكثر من غيري . حين يعرض الشاعر المبتديء قصائده على مجلتنا فان يواجه رأي المشرفين على باب الشعر فيها . ما هي المراحل التي تمر بها القصيدة التي تستبعد ؟ كيف يستطيع الشاعر المبتديء ان « يقتحم الابواب » ؟ ما هي الفرصة المتاحة امامه وسط هذا الخضم من الشعر العديدين ؟ ولماذا يحدث في غالب الاحيان ان تعاد اليه القصائد ومعها قصاصات من الورق تنبيء برفضها ؟

سأحاول ان اجيب على هذه الاسئلة بايجاز . ان معظم القصائد التي تقدم لـ « ساتر دي ريفيو ... » تمر قبل كل شيء على مكتبي انني افتح كل مظروف بدون تحيز وبدون ان تتغير وجهة نظري وحالتي الوجدانية بتغير الظروف المقدم الي . ويخيل الي ان في استطاعتي ان ادعي الان انني طالعت اصول عدد هائل من القصائد . لقد مارست هذه المهمة منذ سنين . كذلك حاولت ان انظم الشعر بنفسي، ولذلك اعرف مقدار الجهد الذي يبذله الشاعر حين يكتب قصيدته . وحين تعرض القصيدة على احد المشرفين فانه سيحكم عليها طبقا للمقاييس المثلى في نظره . وقد يحدث احيانا ان تكتب قصيدة مطولة الى درجة لا تسمح بنشرها . فاذا ما رأى المشرفون ان قصيدتك المطولة لا بأس بها فانهم سيعيدونها اليك مع مذكرة «تفسيرية» لا مذكرة «رفض». ولنستبعد الان هذا الطاريء ونتتبع المراحل التي تمر بها القصيدة

الجديدة وهي بين يدي محرر باب الشعر . سيحاول المحرر اولا ان يفتش عن الشواهد التي تدل على تمتع الشاعر بالقدرة الفنية ، واقصد بهذه القدرة احساس الشاعر بالصيغة ، وبالايقاع ، والشعور بما للكلمات من طاقة تعبيرية ، والبعد عن الوسائل العتيقة المبتذلة في مجال التعبير عن الاراء والافكار ... وسيحاول المحرر العثور على العبارات البارزة ، والتصوير الدقيق ، والايجاز في حدود المعقول ، والقدرة على التخيل والقدرة على استخدام اللغة . انه يريد ان يتأثر بما تقوله ، وبالطريقة التي تقول بها ما تريد الافضاء به . ويجب علي ان اكون صريحا فأقول ان التجربة قد دلت على ان محرر باب الشعر لا يجد من هذا كله الا عبارة هنا وعبارة هناك ... لا شيء غير هذا !!

ان الشاعر في حاجة الى محصول لغوي ضخم ، وخبرة سابقة في ميدان التجربة وميدان القراءة ، وذلك لكي يتجنب التعبير الفث عن المشاعر الضحلة ومناحي الفكر السطحية . ان الشاعر يحتاج الى فطرته وغريزته ، ويحتاج الى التجربة حين يفكر في القالب الذي سيصب فيه لفنه . ولا بد للشاعر من احساس داخلي بالايقاع الشعري . ان الشاعر يكون سعيد الحظ اذا أتيحت له القدرة على استخدام القافية والاوزان المنتظمة حين تراوده الرغبة . بل ويجب عليه ان يتحلى بهذه القدرة ، وحينئذ ... حينئذ فقط يستطيع ان يدلي بدلوه في الشعر الحر والمناهج التجريبية الاخرى . وتصيبني الدهشة احيانا حين ارى ان القلة فقط هي التي تتمتع بهذه الصفات الاساسية التي لا بد منها . اما الباقون فليس لهم نصيب ، ومع ذلك ، يدفعون بقصائدهم الطويلة في ثقة لتمر على مكتب المشرف على باب الشعر . يبدو انهم يتوقعون ان يحدث لقصائدهم تطور وتحول اثناء مرورها بصندوق البريد !!! والا فما بالهم يفتقرون الى القدرة على التمييز بين البناء الجيد والبناء « التجاري » ؟ انهم لا يملكون المقاييس التي يقارنون في ظلها بين انتاج واخر . ونظرا لانهم محرومون منها فانهم يظنون انهم ملهمون .

حسنا ... قد تكون القصيدة مملوءة بالالهام الذي لا زيف فيه . ولكننا نجد ان القصيدة الجيدة التي تزخر بالالهام قد كتبها شاعر يلم بصناعة الشعر . ان مزاولة اي عمل يتطلب المهارة ، وتتحقق هذه المهارة عن طريق المران ، والمران يتطلب وقتا طويلا وجهدا كبيرا . وبالطبع هناك بعض الموهوبين المحظوظين الذين يبدو وكأنهم ولدوا وفي جعبتهم بصيرة غريبة وادراك لنمط ما من انماط الفنون . ولكن .. يجدر بالمبتديء العادي الا يضع نفسه في هذا المستوى . واريد ان اقول له بصفة عامة : لا تبعث بانتاجك ما لم تكن على يقين من انك بذلت اقصى جهدك لوضع مادتك في اروع صورة . ولا ترسل لنا خطابا مشحونا بنماذج عديدة من انتاجك لان هذا يدل في الغالب على انك لا تملك القدرة على التمييز والاختيار ونقد نفسك بطريقة موضوعية . لا تتصور ان احدا سيظلمك . ان المحرر سيبذل كل جهده ليكون عادلا .

لنفرض ان المحرر رضي عن قصيدتك وعرضها على باقي المحررين . فالذي يحدث ان المحرر لا يكون وحده هو الحكم على كل ما تنشره مجلته من قصائد . ومن المحتمل دائما الا يتفق معه باقي المحررين في الرأي . بل ومن المحتمل ان يخطيء جميع المحررين في التقدير ! ان المحررين ليسوا معصومين من الخطأ على الاطلاق . والحكم يصدر احكامه دائما وهو عبد لاتجاهاته ومشاربه . ولهذا قد ترد القصيدة اليك بالرغم من تمتعها ببعض المزايا الملموسة . وفي هذه الحالة ، لا يسعك الا ان تؤمن مرة اخرى بالمزايا الموجودة فيها ، وتعيد فحص القصيدة فربما عثرت على اخطاء جديدة . وحاول مرة اخرى اذا ما وجدت في نفسك الرغبة في المحاولة . اما بخصوص القصائد المرفوضة فان معظم الكتاب قد تجمع لديهم عدد وافر منها في وقت من الاوقات . وبخصوص انتاجي انا كشاعر ما زلت اتلقى قصائد لي رفض المحررون نشرها . واني لاتذكر تلك الحادثة التي عرضت لنا حين كان « الملحق الادبي » صبيا . لقد بعث الينا احد شعراء امريكا المشهورين قصيدة من قصائده . واعترض الدكتور كانبي على بيت من ابياتها فقط قائلا ان الفاظ هذا البيت سطحية ، ومن ثم اعاد القصيدة الى الشاعر العظيم مرفقا بها هذا النقد . وبعد مضي ايام بعث الشاعر بقصيدته مرة اخرى وقد ادخل بعض التعديلات على البيت المشار اليه ، وكتب يقول :

« انني اوافقكم على الرأي الذي ابديتموه . لقد كان البيت يحمل طابع الاهمال ، وكان من الممكن تعديله واصلاحه . اشكركم على ارشادي لمواضع الخطأ . »

لم يكن هذا بمثابة استسلام لهيئة المحررين حتى ينشروا قصيدته . فلم يكن شاعرنا في حاجة الى هذا الرضوخ ، فقد كان مشهورا ومعترفا به في جميع الاوساط ، ونشر قصائده في مجلة من المجلات لا يهمه الى حد كبير . لقد كان هذا الشاعر يملك القدرة على توجيه النقد الى فنه ، كما كان يملك القدرة على قبول نقد الاخرين . لقد كان شاعرا بحق ... شاعرا يفخر بفنه وفي الوقت نفسه يقف امام فنه دون ما غرور او خيلاء ؟...

القاهرة

ترجمة
محمد عبدالله الشفقي

وجوه السندباد

خليل حاوي

كان اليقين بان جمال المرأة ظل لجمال علوي ، وسلم يقود الى ذلك الجمال ، محور الوجوه والشعلة الساكنة ، وكان ذلك من قبل Dante الى Rosetti وما بعده بقليل .
قال Hapkins لجمال تموت نضارته :
« عد ايها الجمال ، عد الى الله ، ذات الجمال وواهبه » اما Yeats ذلك الشاعر غير المؤمن ، فوجد سرمدية الجمال في مرصعات الفن في بيزنطية ، جمال ثابت ، ثبات الله ، في الذهب المتوهج .. لقد تنكر شاعر الدم الحار لاله الدم الحار ايام عجزه وانفراط اعصابه .

بماذا يعزي اليوم واحدنا امرأة جار العمر على رخامها النضر ؟ بماذا يتعزى هو نفسه من حيوية اعصابه .. بماذا ، بماذا ؟ انحمطت الماهيات وتمزق المحور وراحت الاشياء ، بعد نظامها الدائري ، في دوامة مجنونة . والفن : مدرسة تنفض مدرسة ، والخيال : ملاذ الضعفاء يدفنون رعبهم في سرابه العقيم .

لعله لم يبق لنا غير قطرة الدم المتحدرة من جيل لجيل ، لعلها وحدها المحور الذي يدور حوله الزمن

لعلها وحدها لا يتغلب عليها الزمن المتغلب على الرخام والذهب) . وبعد فالقصيدة تحاول ان تعبر عن هذه التجربة بتجسيد حالاتها المتنوعة المتصارعة ، في جوهر ما يحتمه التجسيد من نفي لكل تمهيد او حكم او تقرير .

١ — وجهان

لم تَرَ الغربةَ في وجهي ،
ولي رسم بعينيها طَريٌّ ما تغيَّرْ
آمنٌ في مطرحٍ لا يعتريهْ
ما أعتري وجهي الذي جارتْ عليهِ
دمغةُ العمرِ السَّفيهْ
كيف - وربّي - لا ترى
ما زوَّرَ العمرُ وحفَّرْ
كيف مرَّ العمرُ من بعدي ، وما مرَّ ،
فظلَّتْ طفلةَ الأمسِ وأصغرْ
تَغزِلُ الرسمَ على وجهي ،
وتحكي ما حكته لي مِرارْ .
عن صبيٍّ غصَّ بالدمعةِ
في مقهى المَطارْ :
« غبتَ عنّي والثواني مرضتْ ،
ماتَتْ على قلبي ، فما دار النهارْ
.. ليلنا في الارزِ من دهرٍ تراهُ
أَمْ تراهُ البارحــهْ ؟
.. صدرُكَ الطيِّبُ
نفسُ الدفءِ والعنفِ ،ونفسُ الرائحَهْ ،
وجهُكَ الاسمرُ .. »
— أدري أنَّ لي وجهاً طريّاً
أسمراً لا يعتريهْ
ما اعتري وجهي الذي جارَتْ عليهِ
دمغةُ العمرِ السَّفيهْ
وجهيَ المنسوجُ من شتّى الوجوهْ
وجهُ مَنْ راحَ يتيهْ :

٢ — سجين في قطار

مرَّةً ليلتُه الاولى
ويومٌ يومُهُ الاولُ في أرضٍ غريبهْ ،
مرَّةً كانتْ لياليه الرتيبهْ ،
طالما عضَّ على الجوعِ ،
على الشهوةِ حرّى
وانطوى يعلكُ ذِكرى
يمسحُ الغبرةَ عن أمتعةٍ ملءَ الحقيبهْ .
حجرٌ تحملُهُ الدوّامةُ الحرّى ،
سجينٌ في قطارْ
ما درى ما نكهةُ الشمسِ ،
وما طيبُ الغبارْ
ورشاشُ الملحِ في ريحِ البحارْ .

* * *

منْ أسابيعَ وفي غرفتهِ
تلك الكئيبهْ
تأكلُ الغبرةُ أشياءَ الحقيبهْ
تأكلُ الوجهَ الذي خلّفهُ
لمّا تعرّى
ومضى وجهاً طريّاً
ما له أمسٌ وذكرى .

٣ — مع الفجر

مَنْ ترى يحتلُّ ذاكَ الفندقَ الريفيَّ ،
عرس الجنِّ فيه.. مُحرّقَهْ !
لَهَبُ الرقصِ ، ورقصٌ في اللَّهَبْ ،
والتعَبْ ؟
من ترى يتعبُ منْ
لينِ الزنودِ المُحرقَهْ
من ترى يرتاح في حمّى السريرْ !
صاحَ : « هذا الكأسُ لي
من أهرقَهْ ؟ »
ضحكَتْ : « ثوبي الدمشقيُّ الحريرْ
لستُ أدري ، لم أسلْ من مزّقَهْ »

* * *

أتُشْقِنَ الدوخةَ من خصرٍ لِخَصْرٍ ،
عادَ من عرسِ الغَجَرْ
دمغةٌ في وجههِ
في دمهِ طعمُ الشَرَرْ ،
عمرُهُ ثانيةٌ عبرَ الثواني
يتلقّاها ، وينسى ما عبرْ ،
ما لهُ ذاكرةٌ تحصِي الصُّوَرْ ،
عمرُهُ عمرُ الغجَرْ

وَلَهُ وجهُ الغَجَرْ

وجهُ من تبصقهُ الدوّامةُ الحرّى
فيرسو في الموانِي ومحطّاتِ القطارْ
لِبنَاتِ «البار» ما في جيبه ،
.. ضحكةٌ .. حشرجةٌ خلفَ السّتارْ ،
وجهُ مَنْ يتعبُ من نارٍ
فيرتاحُ لنارْ .

٤ - بعد الحمّى

وجهُ مَنْ يصحو من الحمّى :
فراغٌ ، شاشةٌ ترتجُّ ،
عينٌ مطفأةْ ،
وصريرُ المدْفأةْ

٥ - جنّة الضجر

وجهُ ذاكَ الطالبِ القاتمِ
على أعصابِ عينٍ متعبَهْ
في زوايا مُتْحَفٍ ، في مكتبَهْ
وجهُهُ يَعْرَقُ مصلوباً
على سفرٍ عتيقْ
وعلى صمتِ الصوَرْ ،
ووجوهٍ من حجَرْ ،
ثمّ يرتاحُ الى الصمتِ العريقْ
حيثُ لا عمرٌ
يبوخُ اللونُ فيه ، والبريقْ .

* * *

ضجَرٌ في دمهِ ،
في عينهِ الصمتُ الذي حجّرَهُ طولُ
(الضجَرْ)
وجهُهُ من حجَرٍ
بينَ وجوهٍ من حجَرْ

٦ - بطاقات مزورة ، وأقنعة

لو دعاهُ عابرٌ للبيت ،
للدفء ، لكأسٍ مترعهْ ،
سوف يحكي ما حكى المذياعُ ،
يحكي : «سرعةُ الصّاروخ ، تسعيرُ نَتَخفّى ،
(الرّيالْ) ،
جوّنا المشحونُ بالإشعاعِ

وتخفّي العمرَ من دربِ السنينْ
والموتى بحمّى الخوف .. » لا شؤمٌ
محالْ ،
«طيّبٌ جوُّ العيالْ »
إبتذالْ ،
لو دعاهُ عابرٌ للبيتِ
لن يمضي مَعَهْ
لو دعته إمرأةْ ،
ربّما طابَتْ لها الخمرُ
وطاب الشعرُ .. نِعْمَ التوطئَهْ ..
« ما بِنا ، لا ما بِنَا من حاجةٍ
للضوءِ .. او للمدفأةْ .. »

* * *

ما لها فرّتْ وغابتْ
حلوةٌ كانت ، وكانت طيّعَهْ !

* * *

عَتْمَةُ الشارعِ ،
والضوءُ الذي يجلو فراغَ الأقْنِعَهْ
وقناعٌ مسّهُ ، حدّق فيهِ ،
لو دعاهُ ؟ آهِ لن يمضي مَعَهْ .

٧ - في عتمة الرّحم

خفّفوا الوطءَ
على أعصابنا يا عابرينْ
نحن ما مُتْنَا ، تَعِبْنَا
من ضبابٍ وَسِخٍ ، مهترِيءِ الوجهِ ،
(مُداجي)
يتمطّى افعواناً ، أخطبوطاً ،
وأحاجي ،
رَحِمُ الأرضِ ولا الجو اللعينْ
خفّفوا الوطءَ
على أعصابِنَا يا عابرينْ
نحن في عتمةِ قَبْوٍ مطمئنٌ
نمسحُ الحمّى ، ونصحُو ، ونغنّي
خفّفوا الوطءَ
على أعصابنا يا عابرينْ .

٨ - الوجهان

بينما أمسحُ عن وجهي ترابَ القبرِ ،
(ذِكراهُ) ،
تَلَفّتُّ ، انحَنَيْتْ
فوقَ عينَيْها ، رأيتْ
وجهَ طفلٍ
غصَّ بالدمعةِ في مقهى المطارْ ،
وهي تحكي ما حكَتْهُ لي مِرارْ ،
وكأنَّ العمرَ ما فاتَ على زهوِ
(الصبايا)
وحكاياتِ الصغارْ .

٩ - الوجه السرمديّ

عشتَ في حَنْوةِ بيتٍ ، ما وقاكِ
أنّهُ بيتٌ على الصخرِ تَعَمّرْ ،
إنَّ خلفَ البابِ ، في صمتِ الزوايا
يحفرُ الموجُ ، وتدوي الهمهمَهْ
إنَّ في وجهِكَ آثاراً
من الموجِ ، وما محّى ، وحفَرْ ،
وأنا عدتُ من التيارِ وجهاً
ضاعَ في الحمّى ، وفي الموج تكسّرْ ،
بعضُنا ماتَ ، ادفنيه ، ولماذا
نعجن الوهمَ ونطلي الجمجُمَهْ ؟

* * *

أسندي الأنقاضَ بالأنقاضِ
شدّيها .. على صدري اطمئنّي
سوفَ تخضرُّ ،
غداً تخضرُّ في أعضاءِ طفلٍ
عمرُهُ منكِ ومنّي
دُمْنا في دمهِ يسترجعُ
الخصبَ المغنّي ،
حلمُهُ ذكرى لنا ،
رجعٌ لما كنّا وكانْ ...
ويمرُّ العمرُ مهزوماً
وَيَعْوي عندَ رجليهِ ورجلَيْنا
(الزمانْ) .

كيمبردج **خليل حاوي**





ـ ماما كيف نضيع سامبو ؟

ـ نضعه في كيس كبير .

ـ اي كيس ؟

ـ واحد من اكياس السكر الفارغة .. كبير يسع سامبو .. ويسع معه.

ـ ماذا يسع ..؟

ـ كل طعامك .. لاشيء..

ـ وبعد ..؟

ـ وبعد يحمله البقال الى مكان بعيد

ـ ماشيا ؟

ـ ماشيا او راكبا الترام

ـ امي الا يعرف سامبو ان يعود ؟

ـ هذا العجوز الاجرب ..؟ لا لو رجع فليس امامه الا ان يموت غرقا في البحر ..

ـ وتأكله سمكة كبيرة ، اليس كذلك ؟

ـ لتأكله العفاريت . اما انا او هذا العجوز الاعمى في هذا البيت ..

حوار سمعته ام اسعد اكثر من مرة ... حكاية المائدة من الام للصغير كلما جلس يأكل .. تستثير بها شهيته للطعام .. وحوار الام والصغير ليس جديدا .. ولكنها تحس الساعة بانه لم يكن مزاحا ... فقد عادت لتوها من زيارة لجارة فلما بلغت البيت تلقتها على الدرج عينان مدورتان سوداوان تطلان من وجه سمين لطيف

ـ احزري ان كنت شاطرة اين سامبو ؟.

وكان حفيدها موشكا ان يستبق جوابها فلا يخليها تحزر لولا ان اطلت امه من اعلى الدرج وصرخت به صرخة كاد يتعثر بسببها لولا يدا جدته اللتان سارعتا تتلقفانه . ورفعت رجلا متثاقلة النقلة ترقى الدرج ويدها في يد الصغير فما تبلغ الباب حتى تلقي على الكنة تحية كئيبة ثم تمضي الى غرفتها لتلقي بشالها الاسود الى السرير وتسرع للشرفة الخلفية حيث يجلس سامبو فلا تجد الا طبقا من التوتياء متآكل الدهان وعظمة باقية لم تقو عليها اسنان الكلب

اما هو فلم يكن هناك..

وهنا تذكرت الحكاية ..

وجمدت تتأمل العظمة . كانت بيضاء نظيفة لم يدع سامبو شيئا عالقا بها كأنما كان يحس انها اخر اكلاته في هذا البيت ، وان مصير شيخوخته بعد هذه العظمة معلق بشفتين حقودتين .. واحست بقلبها مسرحا لمأساة جديدة من هذه المآسي الصغيرة التي قد لا تستحق اسمها لولا ان مصدرها كنـــه ،

كنه وكلب عجوز ، وكانت العداوة في نظر الكنه متكافئة الى درجة ان تجعل مصير الكلب العجوز طعاما لسمكة او ضياعا في حاكورة مهجورة ومن قال ان الدور بعد الكلب لن يكون لها ؟

سفيهة تريد كيسا يسعه ويسع .. وتسكت كأنها وهي تتلذذ في وصف الطريقة انما تتخيل حماتها تتكوم في الكيس ويحملها صبي مأجور الى اي مكـــان ..

ماذا يقول سامي لو عرف ؟

اجل سامي .. فالاخر الكبير لا يجد في مصير الكلب اكثر من نهايـــة طبيعية يستحقها كلب شيخ .. ولعله سيبتسم ببلادة لو سمع زوجتـــه تقول (كيس يسعه ويسع ..) اجل ماذا يقول سامي ؟

وتمثلت صورته رأسا.شاب قوي يصعد سلم الباخرة بحماس من يرتمي في المجهول ، ولما بلغ راس السلم رفع خصلة هي مدلاة على جبينه ولوح لامه وصاح بها بصوته القوي . امي لا تبكي . وصيتي لديك سامبو . اريده مدللا كما لو كنت موجودا لا تهملوا حمامه فيأكله القراد .

وارتمت ضحكته عليها من عل حتى مسحها صفير الباخرة الطويل . ولما رجعوا من الميناء تلقاها سامبو عند اعلى السلم فتسمح بها وحك حذاءها بمنخره كانما احس ان العطف بعد سامي لن يأتي الا منها ، وكانت هي قبلا قليلة الاحتفال به وقد ضربته مرة ومرتين حين مزق باسنانه طرف مفرش السرير ، وكان ما يزال صغيرا اذ ذاك ، وكثيرا ما ناقشت سامي في نفعه ، وكانت اول من وقف في وجهه حين عرض عليها مازحا ان يحضر كلبة انثى للبيت لتتشكل منها وسامبو عائلة من الجراء السود .. ولكنها الان بعد سفر سامي مستعدة ان تنسى ، فتحب سامبو كما لم تحبه قبلا. وكانت مخلصة النية فافطار سامبو في الصباح صار خبزا اكثـــر طراوة وصار حليبا لم يعتد ان يراه طافحا بالماعون هكذا . ولما حان وقت حمامه لم تبخل عليه بالصابون ونظفته وسرحت شعره الاسود الطويل بمشط خشبي وقبلته وهي التي طالما حذرت سامي من عبث تقبيل الكلاب فنفسها مسموم ينفث جراثيم لا تعرف لها اسما .

ولما وصلت من سامي اول رسالة حملت المظروف ذا الاطراف الزرقاء الحمراء وقالت له : « سامي يسلم عليك . لقد دخل (الطبية) وقد لا تعرفه حين يرجع الينا لابسا نظارة على عينيه. كل الاطباء يلبسون النظارات. حضر نفسك لتنتقل الى عيادته فتكون كلبا وجيها . كلب الدكتور .. الدكتور سامي .» واستحت ان تقول بصوت مسموع « وساكـــون انا ام

الدكتور .» وانتشت الى درجة ان قصت له قطعة من قالب الكعك الذي صنعته كنتها ، حملتها اليه خلسة بعد ان قضمت اطرافها المزينة بالزبيب ومبروش جوز الهند وصارا صديقين .

ان صداقة كلب تعوض كثيرا فالانسان مع كنته مضطر الى ان يشكو ، فاذا كان الابن في صف الزوجة وكانت الخادم لا تحفل بها فمن لها غير سامبو ؟

كان الوحيد الذي يمكن ان تفتح له قلبها وتصب شكاياتها في اذنيه الطويلتين

ـ سامبو : أرأيت ابله من كنتي ؟ تسلق البطاطس ولا تستحي ان تقول الفندرة ليست للعجائز .. وترفض ان اجالس صديقاتها . وتأنف حتى ان تجلس معي الى مائدة واحدة . كان حياتي في بيت ابني صدقة منها .. مجنونة من تزوج ابنا ، لو تزوجت يا سامبوفساكرهك ، ساكرهك .

وفي ليال كثيرة حين تغلق الزوجة عليها وعلى زوجها الباب وتبقى العجوز وحيدة في القاعة تروح ترفو جوارب ابنها وتحادث سامبو باخبار سامي وكيف اعفته الجامعة من الاقساط لانه مجتهد . اشطر الطلبة على الاطلاق . تقول هذا وتقوم فتخرج كومة رسائل تستعيد سطورها بجهد ، ويعرف سامبو ان هذه من سيده الغائب فيروح يحرك ذيله بنشوة قوية ، ولا يكتئب الا حين يرى العجوز تمسح دمعة تغبش نظارتيها .

وكان هذا التعاطف بين عجوزين اكثر ما يؤذي الكنة فقد كرهت ان ترى الحماة مطمئنة الى هذا الحيوان فجعلت من هذا مجال تندر يسمح لها ان تقول بمسمع من الحماة : « ان الحيوانات تخرف ايضا .. »

فيضحك زوجها برقاعة كأن المعنية جارة لا ام .

ولم يظل الامر محصورا في تندرها فقد كانت دائما مستعدة ان تحول عواطفها الى احساسات معادية تعبر عنها حركات رجليها وهي ترفس الكلب فلا تبالي بعوائه الحزين اذا اقترب من مائدة الطعام او لحس ارجل الصغير بلسانه ، او عوى في وجه صديقة لها .

وكانت تردد دائما انها ليست مستعدة ان تتحمل في البيت خرفين .. وكانت جادة .. وهوذا سامبو قد راح . مسكين ! اهذه نهاية تتوج شيخوخته الطيبة وتكافيء شهورا وسنينا من الاخلاص ؟

كيس يسعه ويسع ..

وكانت تردد دائما انها ليست مستعدة ان تتحمل في البيت خرفين .. وكانت جادة .. وهوذا سامبو قد راح .

مسكين ! اهذه نهاية تتوج شيخوخته الطيبة وتكافيء شهورا وسنينا من الاخلاص ؟

كيس يسعه ويسع ...

ترى يأتي دورها على يد هذه الشرسة ؟

وجمدت العجوز في مكانها على الشرفة فهي في حياتها لم تحس وحشة تتمدد في قلبها كما احست الساعة

وبكت حتى شبعت دموعا .

وانتفضت حين اتى الليل.

كان لا بد ان تفعل شيئا من اجل سامبو .. من اجل شيخوختهما معا .

ونزلت الدرج تتحامل على قدمين لا تلبيانها بمرونة . لم تجد صبي لبقال فتسأله . ولم تخرج بشيء حين حملت سؤالها الغريب : « من راى سامبو محمولا في كيس ؟ »

كانوا يسمعون ثم يهزون اكتافهم . انهم لا يدركون ماذا يعني لها ان يموت سامبو وتموت هي من بعده على يد جلاده ، مسكين ! تسع سنوات مخلصة لا تشفع له ان يموت في البيت ..

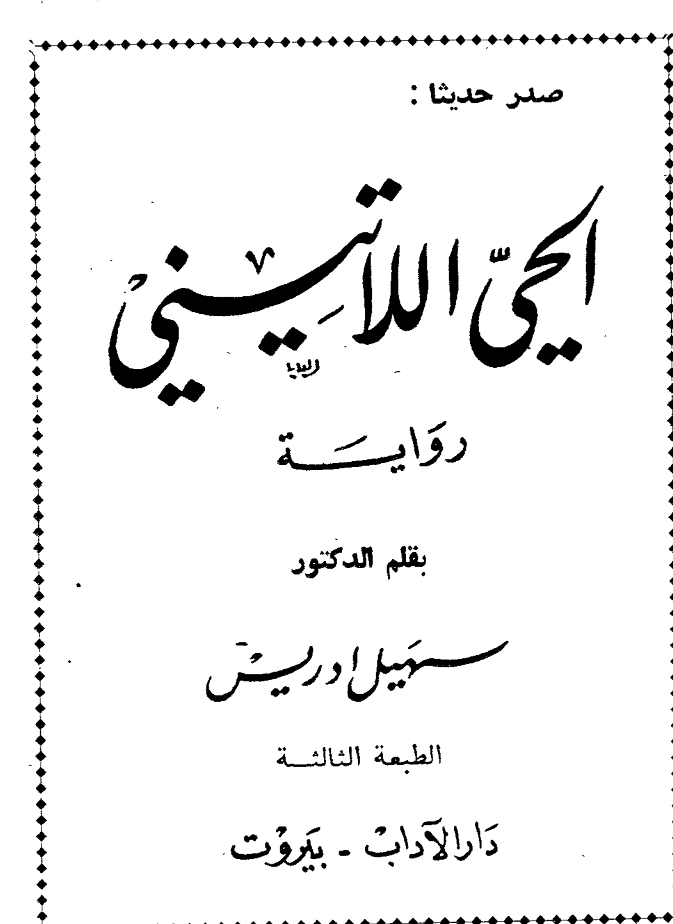
واخذت دربها في اتجاه الغرب ، صوب البحر . وانحدرت في الطريق الذي يؤدي الى المنارة ثم انعطفت يسارا تدفعها الريح دون جهد . كانت ليلة سوداء ليس لها قمر . ومصابيح الشارع عمياء لا تضيء فلا يسمع فيها الا صوت الموج يضرب بصخب احمق اطراف الصخور المنتصبة على محاذاة الشاطيء العميق .

وحاولت عيناها ان تشقا الظلمة لتبصرا سامبو في كيسه او على قوائمه يطالعها من بين الصخور او تحمله موجة رفيقة تتأبى على الجثث

ولكنها لم تر الا الظلمة وخيالات اضواء بعيدة في الماء وراحت تمشي، وقطعت الكورنيش الطويل وسلمها هذا الى الضواحي لا تتوقف الا اذا سمعت عواء

ولم تنتبه الى انها شطحت بعيدا الا حين ارتمت على حجر تستريح وتسلم لليل عتابها المجروح ولكن الليل لم يجب . ظل صامتا لا يمزق صمته الا عواء بعيد لكلاب سارحة ليس بينها سامبو على كل حال .

سميرة عزام



دمٌ ومرجان

قصة بقلم صباح محيي الدين

هذه محاولة . محاولة نقل اسلوب صنعة من فن الى اخر ، من التصوير الى القصة ...

لأوضح فاقول : التصوير ينفرد عن غيره من الفنون في انه يعتمد على التواقت فيما يؤديه . ينظر المرء الى لوحة فيرى كل شيء دفعة واحدة . ان كانت اللوحة مشهدا طبيعيا رأى الاشجار والسماء والماء والطيور فخرج من نظرته بانفعال كلي ، غير مجزء . وكذلك اذا كانت اللوحة دينية او حربية ، او حتى تجريدية ، فانه حتى في هذه الحالة يرى الالوان والخطوط والاحجام وما بينها من تنافر او تناظر دفعة واحدة .

اما الموسيقى فقائمة على التتابع والتواقت معا ، نغمة تتبع نغمة ،ولحن يسوق لحنا ، على الرغم مما بين الالات من تواقت .

واذا جئنا الى القصة وجدنا انها تقوم على التتابع فحسب . اذ ان السرد ، سرد الحوادث ، او سرد الانفعالات يأتي مسلسلا على الورق وفي ذهن القاريء . يدخل البطل ثم يتكلم ثم يتلقى الجواب ثم يخرج ، في حين ان الواقع يختلف تمام الاختلاف ، اذ ان البطل يدخل وهو يتكلم مثلا ويخرج وهو يتلقى الجواب .

فالقصة اذن ، في اسلوبها المعروف ، بعيدة اشد البعد عن اداء الواقع .

ولقد جرت محاولات عديدة للخروج بالقصة من سجن « التتابع »واطلاقها في ميدان « التواقت » .

فحاول بعض الكتاب مثلا ان يأخذوا حادثة لها اكثر من بطل ويسردوها مرات متتالية بعدد الابطال ، كل من وجهة نظره وحسبما رآها وعللها . ولعل خير مثال على هذه الطريقة قصة امريكية اسمها « جسر سان لويس ري The Bridge of San Luis Rey — على ما اذكر — ومؤلفها ثورنتن ويلدر Thornton Wilder

وكذلك حاول آخرون، واشهرهم جان بول سارتر، ان يلتزم التواقت في روايته المطولة «طرق الحرية» Les chemins de la liberté اذ جعل شخصياته تعيش في اكثر من مكان معا ، في الواقع وفي الذكرى وفي المستقبل . ولم تكن محاولة موفقة لضخامتها اذ ان القاريء يتيه في مهامه الحوادث المتواقتة المتراكبة .

وثمة محاولات اخرى من هذا القبيل ما زالت تجري لجعل القصة تؤدي صورة واقعية عن الحياة .

*

هذا كلام طويل يمهد لقصة قصيرة . ولقد حاولت في هذه القصة ان اتحاشى الصعاب التي واجهها غيري ، فاقتصرت من الشخصيات على اثنتين ، ومن المواقف على اقل عدد ممكن .

وثمة اشياء جديدة في هذه المحاولة ، او هذا — على الاصح — ما يخيل لي :

اولا : التواقت الفعلي ، اي ان انفعالات الشخصيتين تسير جنبا الى جنب ، في القصة ، وعلى الورق

ثانيا : اشتراك الشخصيتين في الكلام ، وفي بعض الاجواء وهذا الكلام وان كان مشتركا الا انه يصدر عن عواطف ويؤدي الى انفعالات مختلفة في كل من الشخصيتين . وهذا ما يجري في الواقع .

*

واعود فاقول : ليست هذه الا محاولة ، قد ترضي او لا ترضي ،ولعل ما يشفع بها انها تسعى الى اعطاء القاريء صورة اقرب ما تكون عن الواقع المعاش ، كما تحياه شخصيات القصة ، وكما نحياه جميعا .

الكاتب

جلس م . على المقعد الذي يتصدر ظهر اليخت الصغير ووضع كتابه الى جانبه ونظر الى الافق البعيد حيث تمتزج زرقة السماء الصافية بزرقة البحر المائية .

وقفت ل . مسندة الى حاجز اليخت الصغير وقبضت بيدها على امراس الحاجز ، واخذت تنظر الى الافق حيث تمتزج زرقة السماء الصافية بزرقة البحر المائية .

وكان الماء من الهدوء بحيث ان اليخت كان كانه ينزلق على بحر من الزيت الاملس

واحس م. بالسكينة تهبط على نفسه فاستسلم لها بكل جوارحه. انها لفرصة سعيدة ان يخرج بعد ظهر هذا اليوم في سفرة مثل هذه يمتزج فيها بالطبيعة الحية ، بالنور وبالهواء وبالماء

وأحست ل . بالسكينة تهبط على نفسها فاستسلمت لها بكل جوارحها، انها لفرصة سعيدة ان تخرج بعد ظهر هذا اليوم في سفرة مثل هذه تمتزج فيها بالطبيعة الحية ، بالنور وبالهواء وبالماء

وكان اليخت متوجها الى قرية صيادين على بعد نحو ساعة ونصف الساعة يقال ان البحر فيها صاف مهما بلغ من العمق ،والرمل فيها احمر كالمرجان .

ومد م . يده الى كتابه ليتسلى به ، اذ لم يكن بين المدعوين الى هذه السفرة غيره ، من تربطه بهم اكثر من معرفة عابرة ، لا تضمن لذة الحديث والتبسط .

ومدت له يدها وكانت ل . قد افردت في مكانها هذا ، اذ لم يكن بين المدعوين الى هذه السفرة غيرها ، من تربطها بهم اكثر من معرفة عابرة لا تضمن لذة الحديث والتبسط

ومرت بينه وبين الافق فتاة التقى بها مرة او مرتين من قبل ونظر اليها فلم يعلق في نفسه منها سوى شعرها الاشقر الطويل وثوبها المشجر .

وفتح كتابه وأخذ يقرأ .

وتحولت ل . عن مكانها تريد ان تنزل الى بطن السفينة كي تلبس المايوه، فوقع نظرها على رجل يجلس على المقعد الذي يتصدر ظهر اليخت وفي يده كتاب ولم يعلق في نفسها منه سوى حركة وهو يفتح كتابه ويأخذ في القراءة .

* * *

رفع م. رأسه عن كتابه فاذا بالفتاة وقد خرجت من بطن السفينة وهي ترتدي المايوه ، كان مايوها برتقاليا زاهي اللون كأزهار الرمان عند تفتحها يتناسق ولون بشرتها الخمري . وادرك م. انه يديم النظر اليها اكثر مما يجب بين معارف عابرين ... ورأى ان لون عينيها اخضر وان ثوبها المشجر كان ستارة تخفي وراءها جسما مكتمل التركيب ، اقرب الى الامتلاء ، بشرته طفولية ملساء ، رياضي التقاطيع ، ناهد الصدر ، صبياني الساقين.

وأحس بالحاجة الى التحدث اليها فقال :

خرجت ل. من السفينة وسارت الى حاجز اليخت تستند اليه وتقبض بيديها على امراسه . وكانت ترتدي مايوها برتقاليا زاهي اللون كأزهار الرمان عند تفتحها ، اختارته من بين عشرات المايوهات لانه يتناسق ولون بشرتها الخمري وادركت ان الجالس على المقعد رفع رأسه عن كتابه ، واخذ ينظر اليها اكثر مما يجب بين معارف عابرين . وأدركت انه يتفحصها وابتسمت لنفسها حين رأت من طرف عينيها التغير في وجهه ، اذ رأى الفارق بينها لابسة ومتجردة

وشعرت انه سيكلمها وسمعته يقول :

ــ اما زلنا بعيدين عن القرية ؟

وادرك انها فاتحة فاشلة فسكت .

فقالت :

وكادت تضحك من هذه الفاتحة

فقالت :

ــ نصف ساعة على الاكثر .

ــ هل جئت في مثل هذه السفرة من قبل ؟

ــ مرات عديدة

وعاد ينظر اليها بعينين جديدتين . لم يقم بهذه السفرة الا لان رفاقه فيها كل مشغول بنفسه عنه ، يتركون له المجال للاخلاد الى الهدوء والسكينة . الا ان هذه الفتاة .. غير الفتاة التي عرفها معرفة عابرة .. لقد خلقت خلقا جديدا منذ نفضت عنها ثيابها ... من يدري لعله يجد مادة قصة فتكون السفرة موفقة في اكثر من ناحية .. كان في قصصه يحاول دوما ان يكشف عن الوجه الحقيقي لشخصياته .. ان يزيل القناع الذي يختبئون وراءه ، ان يجردهم .. ويا لها من قصة ممتعة قصة فتاة تتغير شخصيتها بين ثوب ومايوه . وحدس ان افضل سبيل الى استبقائها معه اكثر وقت ممكن هو اشعارها بأنه في حاجة اليها فقال :

وانتظرت منه ان يستمر في الحديث . لقد سمعت عنه انه قصاص ، وقرأت له بعض قصصه وهي قصص فيها كثير من الجرأة في التفكير والتعبير . الا انه يبدو جريئا على الورق فقط كأكثر الكتاب . ام تراه سيلبس المايوه ؟ هل يعرف السباحة ؟ كيف سيكون حين ينزع ملابسه يا ترى ؟ ايظل هكذا ملموما على نفسه ، ينظر اليها بعينين جامدتين فارغتين ، ام تدب فيه بعض الحياة . وداخلتها رغبة في ان تهز جموده، وتخرجه عن هذه الصراحة البادية عليه . وسمعته يقول :

ــ يقولون ان امام الشاطىء صخورا مرجانية جميلة حولها صخور بلون الدم تسبح بينها اسماك رائعة الالوان

وتوقف م . قليلا يستعد للخطوة التالية

وتهيأت ل . لاستقبال الخطوة التالية

ــ هل تعرفين اين توجد هذه الصخور ؟

نعم اغطس اليها كلما اتيت الى القرية

وتعمد م. ان يكون صوته هادئا فيه مسحة من عدم المبالاة :

وخفضت ل. رأسها كي لا يراها تبتسم اذ علمت انه سيقول :

ــ هل تقبلين برفيق لك في الغطس هذه المرة ؟

* * *

قفز م. من سطح اليخت الى البحر واحس بطراوته تلف جسمه ، وغطس وهو فاتح عينيه في عالم اخضر بلون الزجاج ، يغمره سكون مطلق تستريح له النفس وتسترخي فيه الاعصاب .

وخرج الى البحر ونفض الماء عن شعره ووجهه ونظر حوله ، فاذا بسائر رفاقه يسبحون نحو الشاطىء ، لا تبدو سوى رؤوسهم كأنها كرات عائمة .

ورأى ل. تسبح غير بعيدة عنه ، وتلفتت تنظر اليه وتشير بيدها .

قفزت ل. من سطح اليخت الى البحر واحست بطراوته تلف جسمها وغطست وهي فاتحة عينيها في عالم اخضر بلون الزجاج ، يغمره سكون مطلق تستريح له النفس وتسترخي فيه الاعصاب .

وخرجت الى السطح ونفضت الماء عن شعرها ووجها ونظرت حولها فاذا بسائر رفاقها يسبحون نحو الشاطىء لا تبدو منهم سوى رؤوسهم كأنها كرات عائمة .

ـ تعـــال

وضرب في الماء ذراعيه بسرعة ليصل ل. واخـــذ يسبـح الـــى جانبها في حركات منتظمة انتظام حركاتها هي ، كأنهما ـ الاثنين مرتبطان بمحرك واحد .. ووصلا الشاطيء فخرجا اليه وجلسا على الرمل ونظر م. الى البحر وقد اخذ بذهبه الاصيل واستطال ظل اليخت عـــلى صفحته الخضراء الزرقاء ، ثم نظر الى ل . وقد لمت ركبتيها على صدرها تحدق ساهمة في الافق فقال :

وسمعته ل. يضرب الماء بذراعيه بقوة ليصل الى حيث هي . ثم اخذ يسبح الى جانبها يجاري حركاتها حركة حركة كأنه ربط اليها بخيط ووصلا الى الشاطىء فخرجا اليه ، وجلسا على الرمل ولمت ل. ركبتيها الى صدرها ، واخذت تنظر الى البحر بذهبه الاصيل وقد استطال ظـل اليخت على صفحته الخضراء الزرقاء ، ثم نظرت الى ل . وقد اتكأ علـى كوعه يحدق ساهما في الافق وسمعته يقول

ـ لم يبق من النهار سوى نصف ساعة على الاقل

ولم تجب عليه الا بهمهمة خافتة

ثم قالت :

وكادت لا تجيب عليه

ثم قالت :

ـ اما زلت عازما على الغطس ؟

ـ لقد شوقتني اليه ... وانا مستعـد

ـ تعـــال

وقامت فقام يسير خلفها قليلا ونظره يقف عند شقرة شعرها التي تلمع كالذهب العتيق وقد انسدل على كتفيها والتصق بهما ثم ينساب الى ظهرها العاري وقد لوحته الشمس حتى اصبح بلون الدراق . والـــى خصرها ، وينزل بسرعة الى ساقيها وقدميها ، وهما ينتقلان بخفة فـوق الرمل لا يكادان يتركان فيه اثرا

وسارا نحو عشر دقائق ثم انعطفا الى جون صغير منعزل غابا فيه عـن اعين رفاقهما ، ولم يعودا يسمعان فيه سوى وشوشة البحر على الرمل. وقالت ل . مرة اخرى ، بصوت فيه رنة اثارت فضول م .

وقامت فقام . وشعرت به يسير خلفها قليلا فلم تعر ذلك اهتمامـا كثيرا وسارت ، كلها للذتها الحاضرة والآتية ، لذة السير على الرمل الناعم الدافيء تترك فيه الاصابع حفرا صغيرة كأنه انفجار ذرة ، ولذة الغطس التي تترقبها بكل جوارحها ، وتنتظر منها نشوة لا تعرفها الا في اعمـاق الماء حيث ـ تشعر بأنها انقلبت الى جنية من جنيات البحر .

وسارا نحو عشر دقائق ثم انعطفا الى جون صغير منعزل اكتشفته منذ زمن لم تكشف عنهلاحد ولا تسمع فيه سوى وشوشة البحر على الرمل.

ولم تستطع ل. كف هيجانها امام عالمها الخفي وقالت :

ـ تعال افرجك عـلى دنيـاي

ونزلت الى البحر ، الا ان م. ظل على الشاطيء ينظر اليها وهي تسير ببطء ، ينسج الزبد لها خلاخيل من الفضة ، وتساءل لماذا احضرته الى هذا المكان المنعزل ولماذا تريد ان تفرجه على دنياها . وعادت اليه فكرته التي راودته على اليخت .. فكرة القصة وقد دخل عليها عامل جديد .

ووقفت غير بعيد عن الشاطيء ورفعت ذراعيها لتلف شعرها في جديلة ضخمة ، فبدت كأنها عشتروت خارجة من البحر والشمس المائلة الى المغيب تملأ اطار ذراعيها المرتفعتين وتلتمع على شقرة شعرها في تاج ذهبي .

ونزل م . الى الماء يخوضه مسرعا

وهو يقول :

ونزلت الى البحر تمشي فيه ببطء تتملى من لذة الماء يلامس رجليها. ويرتفع الى ساقيها رويدا رويدا كيدين ناعمتين وتساءلت لماذا احضرت هذا الرجل معها الى هذا المكان الذي لم تأت فيه مرة قبل مع احد. اتراها رغبتها التي داخلتها فوق اليخت ، لهز جموده واخراجه عن الصرامـــة البادية عليه ام تراها غريزة الانثى فيها تريد ان تتبين مدى سلطانها على رجل مثل هذا الرجل ؟ ورفعت ذراعيها لتلف شعرها في جديلة ضخمة كي لا يعوقها اثناء الغطس والتفتت نصف التفاتة الى خلف لترى هل لحق بها م . فسمعته يخوض الماء مسرعا

وهو يقول :

لا تقف امـــام لذاتك مكتوف اليدين

لا يعيش المرء في دنياه هذي مرتين

ووصل الى جانبها وسألها :

ووصل الى جانبها وسألها

ـ هل تعرفـين الخيـــام ؟

وادرك بسرعة خطأه ، اذ رآها تنظر اليه بعينين جميلتين واسعتيـــن متسائلتين فقال في نفسه : لنجرب سبيلا آخر . وابتسم في وجههـــا قائلا :

من هو هذا الخيام ؟ كأنها في مدرسة وهو يمتحنها ؟ اذا استمـر فسيخيب ظنها فيما عولت عليه ، أليس لديه حديث آخر ؟وراته يبسم في وجهها ويقول

ـ انزلي قليلا ... اكثر اكثر ...

فنزلت رويدا رويدا حتى غابت في البحر حتى حدود المايوه ، ولـم يعد يبدو منها سوى رأسها وعنقها ومنبت نهديها وجديلتها الشقراءتطفو نصف طفو على الماء .

فنزلت رويدا رويدا وهي تتساءل عما يريده ، وتحس بالماء يلف بدفئه بطنها وصدرها ، ويعلو حتى يغطي اكثر صدرها . ووقفت في مكانها تستوعب لذة الماء وتتملى منها .

ووقف م . في مكانه ينظر اليها ، ويحس برغبة فيه تبرعم وتبـدا بالتفتح ، وسمعها تقول :

ووقفت ل. في مكانها تنظر اليه والشمس المائلة الى المغيب تضيء جسمه ونظرت اليه معاتبة فرأت فيه فتوة وقوة ما كانتا له وهو لابس . وقالت :

ــ أأظل هكذا الى غد ؟

فأجاب بلهفة ما كان يظن انه قادر عليها بهذه السرعة :

فأجاب بصوت شعرت ل . منه بهزة خفيفة في اعصابها .

ــ لا تتحركي .. دقيقة اخرى

وجمد الاثنان في مكانهما كأنهما تمثالان لولا انفاسهما المتسارعة . واحس م .بدافع يدفعه بقوة نحوها فتقدم مسرعا فاذا بها وكأنها شعرت بأنه عازم على شيء ، تهب من مكانها وتقذف نفسها في البحر وتسبح مسرعة وضحكاتها تركض على سطح الماء .

وأحس م . بأنها قد رأت ما اعتمل في نفسه فانفتل عائدا على خطاه، ووصل الى الشاطيء فجلس فاذا بها تعود نحوه وتصيح :

وجمد الاثنان في مكانهما كأنهما تمثالان لولا انفاسهما المتسارعة . واحست ل. بانها ان لم تتحرك ، فان م. مقدم على امر لم تتأهب له بعد ... فهبت من مكانها وقذفت بنفسها في البحر واخذت تسبح مسرعة وهي تضحك لاخفاء ارتباكها .

وبعد ان سبحت بضعة امتار التفتت نحو م. فاذا به يعود على خطاه ويصل الشاطيء فيجلس ، فعادت تسبح نحوه وصاحت :

ــ الا تأتي

وداخل م. مثل الملل من هذا المد والجزر في حديثهما وحركاتهما وانفعالاتهما فقرر ان يتظاهر بالتعب وقال :

وشعرت ل. بانها ترغب في ان تراه يأتي نحوها ويسبح معها ويغطسا الى الاعماق واذا به يقول :

ــ انـا تعب ... سأبقى على الشاطيء

ورأى انها لم تحر جوابا بل وقفت في الماء حيث هي واخذت تنظر اليه وقد مال رأسها الى كتفها الايمن قليلا ، كأنها تبحث عن حل لمسألة عويصة ، ثم سمعها في لهجة فيها اغراء وشبه وعد تقول :

ووجدت في جوابه تحديا لها ، ولما اظهرته نحوه من لطف ، ورجوعا لا مسبب له عما نشأ منذ لحظات . ووقفت تفكر . ثم قالت في لهجة تعمدت ان يكون فيها اغراء وشبه وعد :

ــ أحقا لا تريد ان تتفرج على دنياي ؟

فقام من مكانه وسار الى البحر واخذ يسبح

وكانت الشمس قد اصبحت عند خط الافق تقريبا تحرق على البحر دم الشفق البرتقالي وينحسر النظر لبريقها على صفحة الماء.

ووصل م . الى حيث تطفو ل . فقالت :

فرأته يقوم من مكانه ويدخل البحر ويأخذ يسبح

وكانت الشمس قد اصبحت عند خط الافق تقريبا تحرق على البحر دم الشفق البرتقالي وينحسر النظر لبريقها على صفحة الماء ...

ووصل م . الى حيث تطفو ل . فقالت :

ــ هيا بنا

وغطست ورأى اخمص قدميها في لحظة خاطفة ثم انطوى عليها اليم فغطس بدوره . وفتح عينيه في الماء يفتش عنها . وأحس ، حين غادر سطح الماء انه قد دخل في عالم جديد ، كأنه قد اجتاز صفحة مرآة الى وراء المرآة ، ففي الاعماق لم يكن بريق الشفق الذي يخطف الابصار الا بصيصا من نور اخضر يضيء هذا العالم الغريب بنور يأتي من كل طرف..

وادرك م . ان هذا العالم له قوانينه وله حياته الخاصة ، ونوره الذي يضفي على الاشياء والمخلوقات رداء من الشعر المغرب .

واخذ يشق الماء بذراعيه وسرعان ما رأى ل. امامه على مرمى الذراع ،فمد يده اليها ولكن لم يقبض الا على الماء .. وابتسم في باطنه اذ نسي ان العالم له قوانين خاصة .

وفجأة رآها تستدير وتأتي نحوه ، فكأنه اكتشفها من جديد مرة اخرى: شعرها وقد انفلت من عقال الجديلة ، يطفو خلفها كأنه ضمة من الاعشاب الذهبية وعيناها مفتوحتان كأنهما كوتان خضراوان في دنيا كلها خضرة وماء وجسمها قد اكتسى ابعادا واحجاما ولبس ليونة ولدونة لم تكونا له على البر .

ورآها تؤشر بيدها فقبض على كلتا يديها واقترب منها فقاومت محاولة وخلصت يديها منه الا انه لفها بذراعيه وقبض عليها بجميع جسمه . الا ان الماء الخوان لا امان له ولا ممسك ، اذ ضربت ل . الماء بقدميها فاذا بها تتملص من بين ذراعيه كالسمكة من يد الصياد واحس بجسمها وهـو

وغطست ل . وبحركات سريعة غاصت في جوف الماء ، محاولة ان تنزل الى اعمق ما يمكن حيث الاسماك والمرجان والهدوء الذي لا مثيل له في الجو الخارجي . وسبحت تحت الماء في حركات بطيئة تورية منتظمة ، كانها سمكة الا انها سمكة تدرك جمال هذا العالم الفريد الغريب . وتستسلم للسكينة التي يسكبها في اعماقها واجالت انظارها حولها تبحث عن صخور المرجان وداخلتها لذة عظيمة ــ تتجدد في كل مرة تنزل فيها تحت الماء وهي تنظر الى النور الغامض الذي يضيء كل شيء من كل ناحية كانه من جوهر هذا العالم لا آت من بريق الشفق الذي يخطف الابصار فوق

واحست بالماء البارد يمر على جسمها باصابع صديقة حنونة لطيفة ، لطلق شعرها من عقال الجديلة فيطفوا خلفها . ذكرت ان م. غطس خلفها ، فاستدارت لترى اين هو ورأت شبحا اسود يزحف نحوها ، كانه خلد كبير يشق طريقه نحوها وابتسمت في خلدها اذ تصورت وجه م. لو انها قالت له يشبه الخلد وهو تحت الماء . واقترب منها حتى اصبحت ترى وجهه واضحا ، فاشرت له بيدها ان يتبعها .

ورأته يأتي نحوها وعيناه تلتمعان كانهما مشبعتان بالفوسفور وقبض على يسحبها نحوه وتخلصت منه ورفست الماء الى محاولة الصعود الى السطح ولكن كان اسرع منها اذ لف ذراعيه حولها ، فتملصت منه بعنف الا انها احست بيديه تمران بسرعة وعنف على صدرها وبطنها وساقيها .

يمر على جسمه في حركة سريعة خاطفة .

لم يدم الامر سوى ثوان معدودات ، صعد بعدها م . الى سطح الماء ، فاذا ل .تسبح بعيدا عنه وهي تلقي اليه نظرات فيها الدهشة وفيها ما يشبه السرور وفيها الاستفزاز

وسبح م. بسرعة حتى وصل الشاطيء وجلس على الرمل واذا بها تسبح نحوه وتقف على بعد قليل كأنها تفكر في امره ثم خرجت من الماء وجلست غير بعيد عنه

ووصلت الى سطح الماء وهي تلهث وضربت بذراعيها ورجليها مبتعدة عنه وهي تنظر اليه خشية ان يلحق بها .

ورأته يخرج بدوره ويقف مكانه ينظر اليها من بعيد وهو يبتسم ابتسامة غامضة لم يعجبه كثيرا ما فيها من اعتزاز وغرور واعتداد بالقوة

ورأته يسبح بسرعة حتى وصل الشاطيء وجلس على الرمل ، فسبحت نحوه ثم توقفت تفكر فيما يجب عمله ولم يطل بها التفكير فخرجت بدورها من الماء وجلست غير بعيدة عن م.

وكانت الشمس قد غابت ولم يبق على سطح البحر سوى نور ضعيف مثل الضباب اللؤلؤي واشعلت الانوار على اليخت ، واخذت تتراءى على صفحة الماء كانها عيون تفتحت في الاعماق . واخذ الظلام يهبط بسرعة وبدت في كبد السماء نجمة المساء الزهرة نجمة العاشقين والظلام ساحر ، يجرد الاشياء من مظاهرها ويعود بها الى الجوهر الازلي ... الظلام ضالع معهما . وهذا البحر .. انه البحر البدائي الازلي.. همسه آت من وراء ملايين السنين .

وهذه غير بعيدة عنه ، هي المراة ، هي كل النساء ، لا يرى منها الا شكلها وهي جالسة ، يرى خطوطا واحجاما جمعتها يد مجهولة فاذا بها امرأة

واخذ يتكلم بهدوء كانما يحدث نفسه وكأن الظلام قد ابتلع كل شيء ما عداه وعداها ، حدثها عن نفسه ، دون قناع .. وكشف لها ان اكثر ما بدا منه بعد هذا انما كان في سبيل قصة اراد ان يكتبها ولم يكن في مقدوره ان يفعل دون ان يحياها او يتصور انه يحياها ولم ينتظر منها ان تبادله الحديث ، بل اكتفى منها بلفتات سريعة من رأسها وضحكات خفيفة وبالجو الذي يلفهما .

والتفت نحوها فاذا بها تنظر اليه .. لم ير ما في عينيها بسبب الظلام ... الا انه شعر انها على مرمى ذراعه . لو شاء !! لا لن يفعل ! اليس يكتب قصة ؟.. اليست الرغبة دوما الذ من النوال ؟..

... ولم لا يفعل ؟

وعلا صوت من اليخت يصيح « ارجعوا .. لقد تأخرنا ... » يجب ان نعود فقال م.

وهذا غير بعيد عنها رجل لم تكن تعرفه منذ ساعات قليلة .. جالس غير بعيد عنها ، لا تراه بل تحس بوجوده في جسمها وفي دمها واعصابها

وسمعته بدأ يتحدث بهدوء عن نفسه ، عن ما احسه بعد هذا الظهر.. بينها وبينه اكثر من مترين ، ومع ذلك تحس بانه يمسها ... كلماته وجمله كانها حبال تلتف عليها وتقيد حركاتها . كل جملة لفة من الحبل وكل كلمة عقدة فيه. لقد حق لها ان تغضب اذ سمعته يقول ان كل ما بدر منه كان في سبيل قصة يريد ان يكتبها . اذ انها ما زالت قصة ! ما زالت لعبة !. وتود ان تؤمن بما يقول ، الا ان في صوته رنة بعيدة عن اللعب انه خطر واكثر خطره انه لا يثير الشك ولا الحذر كل شيء طبيعي حين يصوره لو مد يده وامسك بها وعصرها بين ذراعيه لوجدت ان ذلك استمرار في الحديث .. وفي القصة .

اتراه يفعل ؟

– قومي بنا ننادي الاخرين

فقام وقامت وسارا بضع خطوات حتى وصلا الى كثيب من الرمل الناعم ، فجلس وقال لها

– تعالي

فوقفت حيث هي بعيدة عنه بعض الشيء وقد تبدت على صفحة السماء ، اطول مما هي في الواقع وغسالة من غسق تملأ انحناءة كشحيها . وبدا عليها التردد فاخذت تهتز في مكانها كانها ترقص رقصة التردد ، ترفع رجلا كانها تريد ان تتقدم ، ثم تخط باصبعها خطوطا على الرمل .

واخذ يهمس لها كانه يستجلب هرة :

فوقفت حيث هي بعيدة عنه بعض الشيء ، واحست ببرد من النسيم الذي هب مع غياب الشمس يجفف جسمها نصف العاري . وارتعشت كمن افاق من حلم وظلت في مكانها ساهمة تفكر .. لقد تحطم الطلسم وذهب سحر اللحظات القريبة . واخذت تبتسم لنفسها وهي تخط باصبع قدمها خطوطا على الرمل . لقد اخطأ التدبير ! لو ظل يتحدث ، اذن ربما !! وسمعته يهمس مشجعا لها كانما يستجلب هرة :

– تعالي .. تعالي

وظلت الهرة في مكانها تتلوى وتتثنى مغرية مثيرة . ثم قالت في صوت فيه دلال وخوف مصطنع :

وظلت في مكانها تخط خطوطها في الرمل كانها لم تسمع . ثم قالت في صوت ارادته ان يكون طبيعيا :

– سيروننا من اليخت

ومرت دقائق ثم سمعا صوت رفاقهما الاتين من ناحية القرية ليعودوا سباحة الى المركب وقال :

ــ ساعود في القارب

فقالت لــه :

ــ وانا كذلك فاني متعبة

✶✶✶

واخذ البحار يجدف وظهره اليهما ومد م. يده بهدوء الى شعرها يمسح عليه ويشعثه ثم نزلت يده الى عنقها ، تدور حوله وتضغط عليه ضغطا رفيقا . واحس انها قد تشنجت بعض الشيء كانها تنتظر شيئا . فرفع يده عنها واحدة بواحدة ، لقد جاء دورها بالانتظار . ثم انه ــ اخر الامر ــ يريدها قصة تكتب، لا ذيول لها

واشاح بوجهه عنها واخذ ينظر الى الزبد المتلألىء الذي يتركه القارب فخيل اليه كانه يسير في نهر المجرة في كبد السماء وفجأة احس بالم يكوي ساقه كيا ، وبدت عليه اهة الم كتمها بجهد ، ونظر فاذا بها ترفع يدها عنه وتقرب اظافرها من وجهه وسمعها تقول

واخذ البحار يجدف وظهره اليهما . ورأته يمد يده الى شعرها ويمسح شعرها ويشعثه واحست بارتياح عظيم . كان لمس يده قد محا كل ما تجمع في اعصابها من توتر ثم نزلت يده الى عنقها تدور حوله وتضغط ضغطا رفيقا واستسلمت لنعومة يده ورقتها واغمضت عينيها تنتظر . ولما رفع يده عن عنقها ظلت على اغماضها تنتظر .

ومرت ثوان طويلة وهي ترتقب منه بادرة او حركة ثم فتحت عينيها فاذا به قد اشاح بوجهه عنها كله واخذ ينظر الى الزبد المتلألىء الذي يتركه القاع ومدت يدها في غضب بارد وغرزت اظافرها في ساقه وجرتها في عنف وندت عنه اهة الم مكتومه ، غمرتها بالارتياح وقالت :

ــ السباحة على المرجان خطرة لمن لم يعتدها

فقد يُجرح ويتألم

(من مجموعة « السنفونية الناقصة » التي تصدر هذا الشهر)

صباح محيي الدين

جوناس

– تتمة المنشور على الصفحة ٥٢ –

من ذلـــك ، ثم انها كانت تتم وفق حركات تبدو فيها لويز وقـــد احنت جسمها قليلا الى الوراء وساقها ممدودة كثيرا امامها فلم تكن تمر دون ان ترى . بل ان هذه الطريقة كانت تعاكس نواياها التي كانت تصرح بها ، لان لويز كانت تخشى في كل لحظة ان تصدم احدى اللوحات التـي كان الرسم مليئا بها . وكان الصوت يوقظ الطفل فكان يبدي استياءه بوسائله الخاصة ، القوية نوعا ما . اما الاب فقد كان يسر بامكانيات ابنه الرئوية فيسرع لكي يدلل الطفل ثم تحل امرأته محله . وعندها يرفع لوحاته ، ثم يسمع ، مسحورا ، والريشة في يده صوت ابنه الملـــح المتسلط .

لقد كان ذلك في الوقت الذي اتاحت فيه شهرة جوناس ان يكثـر اصدقاؤه . وكان هؤلاء الاصدقاء يعلنون عن انفسهم بالتليفون او في مناسبات الزيارات الفجائية . اما التليفون الذي وضع في مكانه المحسوب من المرسم ، فقد كان يرن غالبا، وعلى حساب نوم الطفل دائما الذي كان يمزج اصواته برنين الآلة الآمرة . واذا صادف ان كانت لويز تعتني بالاولاد الاخرين فقد كانت تجهد بأن تعدو معهم ولكنها في غالب الاحيان كانت تجد جوناس وقد امسك الطفل بيد وفي اليد الاخرى الريش وسماعة التليفون التي كانت تنقل اليه دعوة مخلصة الى تناول الغداء. وكان جوناس يسر كثيرا بأن يدعى الى الغداء على تفاهة حديثه . ولكنه كان يفضل ان يخرج في المساء لكي يترك نهاره للعمل . وللاسف فقد كان الصديق في اغلب الاحيان لا يجـد سـوى هـذا الوقـت وهذا الغـداء بالذات . وقـد كان يحرص على ان يحتفظ به للعزيز جوناس . ولقد كـان العزيز جوناس يقبل قائلا: «كما تشاء». ثم يعلق السماعة قائلا: «كم هو لطيف». ثم يعيد الطفل الى لويز ويعود بعد ذلك الى عمله الذي ما يلبث ان يقطعـه الغداء او العشاء . فيجب ان تبعد اللوحات وان تطوى الطاولة المتقنـة ليجلس مع الصغار . وفي اثناء الفطور كان جوناس ينظر الى اللوحة فـي طريق اتمامها فيحصل له ، في البداية على الاقل ، ان يجد اطفالـــه بطيئين بعض الشيء في المضغ وفي الابتلاع مما كان يطيل كل وقعة اطالة بالغة . ولكنه قرأ في جريدته ان عليه ان يأكل ببطء لكي يهضم جيدا فاخذ منذ ذلك اليوم يجد في كل وجبة اسبابا لكي يستمتع استمتاعا اطول.

وفي بعض الاحيان كان اصدقاؤه الجدد يزورونه . ولم يكن راتو يأتي الا بعد العشاء ، اذ كان يقضي النهار في مكتبه ، ثم انه كان يعلم ان الرسامين يعملون على ضوء النهار . ولكن اصدقاء جوناس الجدد كانوا في اغلبهم ينتمون الى طبقة الفنانين او النقاد . بعضهم قد رسم وبعضـهم سيرسم والآخرون يهتمون بما قد رسم او سيرسم . ولكنهم بالطبع كانوا يقدرون جدا الاشغال الفنية ويشكون في تكوين العالم الحديث الذي يجعل متابعة هذه الاشغال المذكورة في غاية الصعوبة وكذلك تجربة التأمل التي لا غنى للفنان عنها . وقد كانوا يشكون ذلك طوال اجتماعات بعد الظهر ، ويرجون جوناس ان يتابع عمله كما لو انهم غير حاضرين وبأن يعاملهم بحرية ، لانهم ليسوا من البرجوازيين ويعرفون ما قيمة وقت الفنان . وقد كان جوناس يسر بأن يكون له اصدقاء يتقبلون ان يشتغل بحضورهم فيعود الى عمله من دون ان ينقطع عن الاجابة على الاسئلة التي كانت توجه اليه وان يضحك للنكات التي كانت تروى .

لقد كان هذا النصيب الوافر من الطبيعة يوفر لاصدقاء جوناس امنـا وراحة متزايدين . فقد كان سرورهم حقيقيا الى درجة بعيدة .

ولقد كان انبساط نفوسهم بالغا حتى انه كان ينسيهم وقت الطعام. اما الاطفال فقد كانت ذاكرتهم اقوى ، وكانوا يركضون ويندمجون في الجمع ويصرخون . وكان الزائرون يهتمون بهم اذ يقفزون من ركبة الى ركبة . وكان النهار يميل الى المغيب فيريح جوناس ريشه . ولا يبقى الا ان يدعو اصدقاءه الى تناول العشاء وان يتكلموا ايضا حتى ساعة متأخرة عـن الفن طبعا ولكن خاصة عن الرسامين الفاشلين السارقين او المتفرضين الذين لم يكونوا هناك . وكان جوناس يحب ان ينهض باكرا لكي يستفيد من ساعات النهار الاولى . وكان يعلم ان ذلك سيكون شاقا وان طعام الفطور لن يكون جاهزا وانه هو نفسه سيكون متعبا . ولكنه كان يسر ايضا في ان يتعلم في سهرة واحدة اشياء كثيرة ليست دون فائدة لفنه، ولو بطريقة غير محسوسة ، وكان يقول « في الفن كما في الطبيعة لا يضيع شيء » . انه تأثير النجم .

وكان يلحق بالاصدقاء التلاميذ احيانا . فقد اصبح جونـــاس الان صاحب مدرسة . ولقد دهش من ذلك في بادئ الامر ولم يكن يرى مـا عساهم يتعلمون منه ، هو الذي عليه ان يكتشف كل شيء . فقد كان الفنان فيه يمشي في الظلمات .فكيف كان باستطاعته ان يعلم الدروب الحقيقية ؟ ولكنه علم بسرعة ان تلميذا لا يعنى بالضرورة من ينشد ان يتعلم منه شيئا ما . واغلب ما يجعل المرء من نفسه تلميذا للذة المجردة في ان يعلـم استاذه . وعندها استطاع ان يقبل بتواضع هذا المزيد من الشرف. وكان تلاميذ جوناس يفسرون له مطولا ما رسمه ولماذا . وهكذا اكتشف جوناس في آثاره نيات كثيرة كانت تدهشه بعض الشيء واشياء كثيرة لم يضعها . وكان يعتقد نفسه فقيرا وبفضل تلامذته وجد نفسه غنيا دفعة واحدة . واحيانا امام هذه الثروات الكثيرة المجهولة حتى الان ، كان ظل من الفخر بالامس جوناس وكان يقول : ومع ذلك فان ذلك صحيح . فهذا الوجه في خلفية الرسم لا يُرى غيره . انني لا افهم جيدا ما عساهم يعنون عندمـا يتكلمون عن الانسنة غير المباشرة . على انني بفضل هذا التأثير قد ذهبت بعيدا . ولكن سرعان ما كان ينفض على لوحته هذه السلطة المزعجة. وكان يقول « بل هو النجم الذي يذهب بعيدا . اما انا فابقى بالقرب مـن لويز والاولاد » .

ولقد كان للتلاميذ ميزة اخرى : هي انهم كانوا يرغمون جوناس على ان يقسو على نفسه . فلقد رفعوه في محادثتهم وخاصة بما يختص بوعيه وطاقته على العمل الى درجة لم يكن يُسمح له معها بأي تراخ او ضعف وهكذا فقد عادته القديمة في ان يقدم قطعة من السكر او الشكولا عندما كان ينهي مقطعا صعبا او قبل ان يستأنف عمله . ومع ذلك فانه في الوحدة يكاد ان ينحاز بخفية الى هذا الضعف . ولكنه كان يساعد في هذا التقدم الاخلاقي بفضل حضور تلامذته واصدقائه حضورا شبه دائم . ويجـد نفسه امامهم متضايقا بعض الشيء من ان يقضم الشكولا ثم انه لا يستطيع من اجل عادة صغيرة ان يقطع الحديث الجذاب .

وبالاضافة الى ذلك كان تلامذته يفرضون عليه ان يبقى امينا لجماليته. فجوناس الذي كان يرسم طويلا ليتلقى من بعيد نوعا من البرق الخاطف يتدفق من خلاله الواقع امام عينيه نورا بكرا ، لم يكن لديه سوى فكرة غامضة عن جماليته الخاصة . اما تلامذته فقد كان لديهم من ذلك عدة افكار عن هذه الجمالية متناقضة وحاسمة . ولم يكونوا يمزحون في ذلك. ولقد كان جوناس يستجيب للنزوة ، صديقة الفنان المتواضع . ولكـن تقطيب حواجب تلامذته امام بعض اللوحات التي تحيد عن فكرتهم يرغمه على ان يفكر اكثر من ذلك بقليل حول فنه، مما عاد عليه بالخير كله .

واخيرا كان التلامذة يساعدون جوناس بطريقة اخرى اذ يجبرونه على ان يعطي رأيه في انتاجهم الخاص . والواقع انه لم ينقض يوم من غير ان تحمل له لوحة ما كاد صاحبها يصممها ، حتى يضعها بين جوناس وبين اللوحة التي سيرسمها لكي يجعل التصميم يكتسب افضل الضوء .

وكان لا بد من اعطاء رأي . وحتى هذا العهد كان جوناس يشعر دائما بخجل خفي من عجزه العميق على ان يحكم على قطعة فنية ، ولقد كانت جميع اللوحات تبدو له هامة ولا فرق بينها باستثناء بعض اللوحات التي كانت تستخفه او اللوحات ذات الخربشة الغليظة . وهكذا اصبح مرغما على ان يكون لنفسه جعبة من الاحكام مختلفة كاختلاف تلامذته في موهبتهم كجميع فناني العاصمة . وكان عليه حين يحضرون ان يثبت فوارق متنوعة ليرضي كلا منهم . ولقد دفعه هذا الارغام المستحب الى ان يكون لنفسه قاموسا للكلمات وآراء حول فنه . ولم تنكمش طبيعته المنفتحة بهذا الجهد . ولقد فهم بسرعة ان تلاميذه لا يطلبون منه انتقادات .. ولكنهم يطلبون منه فقط تشجيعات وان استطاع مدائح . ولكن يجب ان تختلف المدائح . ولم يكن جوناس يرضى بأن يكون محبوبا فقط بطبيعته ولكنه استطاع ان يكون محبوبا ببراعة .

وهكذا كان وقت جوناس يمضي وهو يرسم بين اصدقاء وتلاميذ يجلسون على مقاعد صفت الان صفوفا مستديرة حول مسند الرسم . وغالبا ما كان يطل الجيران من النوافذ المواجهة ويلتحقون بجمهوره . وكان يناقش ويتبادل وجهات النظر ويتفحص اللوحات التي كانت تعرض عليه ، ويبتسم لمرور لويز ويعزي الاطفال ويجيب بحرارة على المكالمات التليفونية من دون ان يترك ابدا ريشاته التي يضيف بها من وقت الى آخر شيئا الى اللوحة المبدوءة . ولقد كانت حياته من ناحية ملأى جيدا وجميع ساعاته مشغولة وكان يشكر القدر الذي كان يجنبه الضجر ،ومن ناحية اخرى كان لا بد من اللمسات لملء لوحة ما . وكان يفكر احيانا ان للضجر حسنات ما دام المرء يستطيع ان يهرب منه بفضل العمل المرهق . وعلى عكس ذلك فقد كان انتاج جوناس يخف بالقدر الذي كان اصدقاؤه يبدون فيه اكثر اهمية . وحتى في الساعات النادرة التي كان فيها وحيدا فانه كان يجد نفسه تعبا جدا ، وفي هذه الساعات لم يكن يقدر الا ان يحلم بتنظيم جديد من شأنه ان يوفق بين مسرات الصداقة وفضائل الضجر .

ولقد نفض هذا الهم للويز التي كانت من جهتها قلقة امام نمو طفليها الكبيرين وضيق غرفتهما . واقترحت ان تضعهما في الغرفة الكبيرة بعد ان يحجب سريرهما بستار وان تنقل الصغير الى الغرفة الصغيرة حيث لا يستيقظ على رنات التليفون . ولما كان الطفل لا يشغل اي مكان فقد كان بوسع جوناس ان يتخذ مرسمه في الغرفة الصغيرة .. واما الكبيرة فانها تصلح لاستقبالات النهار . وهكذا يستطيع جوناس ان يأتي ويروح وان يقابل اصدقاءه وان يعمل مطمئنا الى ان رغبته بالوحدة لا بد ان تفهم.

ثم ان ضرورة ايواء الولدين الكبيرين للنوم كانت تسمح له بتقصير السهرات . وقال جوناس بعد تفكير : « ان ذلك لمدهش » . واضافت لويز :« اذا ذهب اصدقاؤك باكرا فاننا سوف نرى بعضنا مدة اطول . » وكان جوناس ينظر اليها . وكان شبح من الحزن يمر على وجه لويز .فاذا هو يضمها اليه منفعلا ويقبلها بكل حنان فتستسلم له ، فاذا هما سعيدان كما كانا في بدء زواجهما . ولكنها انتفضت : لعل الغرفة كانت صغيرة جدا لجوناس . وامسكت لويز مترا مطويا فوجدا ان جوناس يشتغل عادة في مساحة اكبر بقليل جدا من المساحة التي سيأخذها منذ الان اذا اخذ بعين الاعتبار ازدحام لوحاته ولوحات تلاميذه التي كان عددها يتجاوز عدد لوحاته . وباشر جوناس بالنقل دونما ابطاء . ومن حسن الحظ ان شهرته كانت تكبر بالقدر الذي كان يقل فيه عمله . فكل معرض كان ينتظر ويمجد سلفا . صحيح ان هناك عددا صغيرا من النقاد ومن بينهم اثنان من زوار المرسم المعتادين كانوا يعدلون ببعض تحفظات حرارة احاديثهم ولكن سخط تلاميذه كان يعوض هذا البلاء الصغير ، بل ويذهب الى ابعد منه . وكان هؤلاء يؤكدون بشدة انهم يضعون لوحات المرحلة الاولى في اعلى مرتبة ولكن الابحاث الحالية تهيء ثورة حقيقية . وكان جوناس يلوم نفسه لهذا الضيق الذي كان يعتريه كلما مدحت لوحاته الاولى فيشكر المادحين باندفاع . وكان راتو وحده يتذمر قائلا « يا لهم من اشخاص غريبين ، انهم يحبونك تمالا جامدا . فالعيش معهم ممنوع .» ولكن جوناس كان يدافع عن تلاميذه فيقول لراتو : انك لا تستطيع ان تفهم فانت تحب كل ما افعله . وكان راتو يضحك قائلا : ليست هي لوحاتك التي احب ، وانما رسمك .

على ان اللوحات كانت تثير الاعجاب . وبعد معرض استقبل بحرارة عرض البائع على جوناس من تلقاء نفسه زيادة في راتبه الشهري . وقد رضي جوناس وهو يصرح بعرفان جميله . وقال للبائع : « ان من يسمعك يعتقد انك تعلق اهمية على المال ». وقد كان جديرا بمثل هذه الطيبة ان تكسب قلب الرسام . على ان جوناس استأذن البائع في ان يعرض للبيع احدى لوحاته في سوق خيرية فاذا بالبائع يقلق ليعرف اذا كانت هذه السوق الخيرية « رابحة » . وكان جوناس يجهل ذلك . وعرض البائع آنذاك مراعاة نصوص الاتفاق الذي كان يمنحه هو وحده كل امتياز للمبيع. وقال له : « ان الاتفاق هو الاتفاق » ولم يكن يحسب للاحسان حسابا في اتفاقهما بالذات . واجاب الرسام : « كما تشاء » .

ولم يعد الترتيب الجديد على جوناس الا بكل رضى . فلقد استطاع فعلا ان ينعزل غالبا لكي يجيب على الرسائل المتعددة التي اصبح يتلقاها والتي لم تستطع لياقته ان تبقيها بلا جواب . وكان بعضها يتعلق بفن جوناس وبعضها الاخر ، وهو الاكثر ، كان يتعلق بشخص المراسل يريد اما ان يشجع في موهبته للرسم، واما انه يريد ان يطلب نصيحة او عونا ماديا. وبقدر ما كان اسم جوناس يظهر في المجلات كان يدعى الى التدخل كجميع الناس لكي يفضح الوانا من الظلم مثيرة جدا . وكان جوناس يجيب ويكتب عن الفن ويشكر ويعطي نصائح ويحرم نفسه من ربطة عنق ليؤدي عونا صغيرا . ويوع اخيرا الاحتجاجات العادلة التي كانت تعرض عليه. وكان راتو يقول له : اراك الان تتعاطى السياسة ؟ دع هذا للكتاب وللفتيات القبيحات .الا انه لم يكن يوقع الا الاحتجاجات التي كانت تظهر غريبة عن كل تفكير حزبي . ولكنها كلها كانت تنتمي الى ذلك الفكر المستقل الجميل . وطوال الاسابيع كان جوناس ينقل جيوبه منتفخة بالبريد المهمل والمتجدد باستمرار . وكان يرد على اكثرها عجلة وعادة الصادرة عن مجهولين ويحفظ لوقت آخر الرسائل التي تتطلب جوابا مطولا ، اي رسائل الاصدقاء .

وقد كانت مثل هذه الواجبات الكثيرة تمنعه على اي حال من البطالة ولامبالاة القلب . وكان دائما ما يشعر انه متأخر ومذنب حتى عندما كان يعمل مما كان يحصل له بين وقت وآخر .

وكانت لويز تتجند اكثر فأكثر للاولاد وتتفانى في ان تفعل كل ما كان باستطاعة جوناس ان يفعله في المنزل في غير هذه الظروف .ولقد كان تعيسا من جراء ذلك . فهو يعمل بعد كل حساب من اجل لذته واما هي فقد كان لها النصيب الاسوأ . وكان اكثر ما يلاحظ ذلك اذ كانت تهبط الى السوق لتتبضع . فكان الولد البكر يصرخ : « التليفون » . فيوقف

جوناس هنا لوحته ليعود اليها وقد هدأ قلبه مع دعوة اضافية . وكان صوت عامل على الباب الذي فتحه له احد الاولاد يلعلع:((الفاز!الفاز!)) وعندما كان جوناس يغادر التليفون او الباب كان يتبعه الى الغرفة الصغيرة صديق او تلميذ وغالبا الاثنان معا ليتموا الحديث الذي كانوا قد بدأوا به . واعتاد الجميع على الممر شيئا فشيئا . وكانوا يقفون فيه ويثرثرون فيما بينهم ويأخذون جوناس شاهدا من بعيد او يقومون بهجوم قصير على الغرفة الصغيرة . وكان الداخلون يهتفون : ((هنا على الاقل نستطيع ان نراك قليلا ، وعلى كيفنا)) . فيرق جوناس ويقول : هذا صحيح ، الواقع اننا لا يرى بعضنا بعضا ابدا . وكان يشعر ايضا انه يخيب امل الذين لم يراهم فيحزن لذلك . وغالبا كان المقصود بهم اصدقاء كان يفضل ان يلقاهم . ولكن الوقت كان ينقصه فلم يكن باستطاعته ان يقبل كل شيء . ثم ان شهرته تأثرت من ذلك فكانوا يقولون : لقد اصبح متكبرا منذ ان نجح واشتهر . فهو لا يستقبل احدا او يقولون انه لا يحب احدا سوى نفسه . كلا انه كان يحب رسمه ولويز والاولاد وراتو وبعض اصدقائه ايضا وكان يشعر بود نحوالجميع . ولكن الحياة قصيرةوالوقت سريع وطاقته الخاصة ذات حدود . ولقد كان من الصعب ايضا ان يرسم العالم والرجال وفي الوقت نفسه ان يعيش معهم . وهو من جهة اخرى لم يكن يستطع ان يتأفف ولا ان يشرح مواقفه لانهم كانوا يربتون على كتفه قائلين : ايها الشجاع السعيد ، انها ((فدية المجد)) .

واذن فقد كان البريد يتراكم ولم يكن التلاميذ يسمحون باي تراخ ، وقد اصبح الناس يتدفقون فيرى جوناس انهم يهتمون بالرسم بينما كان بوسعهم ان يهتموا بالاسرة الانكليزية المالكة او التغييرات الفلكية. والحقيقة ان اكثر الزوار كانوا من سيدات المجتمع ولكنهن من ذوات البساطة البالغة في التعرفات . فلم يكن يشترين بأنفسهن لوحات وانما كن يصحبن اصدقاءهن عند الفنان على امل كان يخيب غالبا في ان يشتروا بدلا منهن . وبالمقابل كن يساعدن لويز وخاصة في اعداد الشاي للزوار . وكانت الفناجين تنتقل من يد الى اخرى وتجتاز الممر من المطبخ الى الغرفة الكبيرة ثم ترجع لتستقر في المرسم حيث كان جوناس يستمر في الرسم بين قبضة من الاصدقاء والزوار كانوا يكفون لملء الغرفة الى ان يحين الوقت الذي يضع ريشه ليأخذ ، شاكرا ، القدح الذي ملأته له سيدة ساحرة .

وكان يشرب شايه وينظر الى تصميم وضعه تلميذ على مسند رسمه يضحك مع اصدقائه ويتوقف ليسأل بعضهم في ان يلقوا له الرسائل التي كتبها في الليل في صندوق البريد ، وينهض ابنه الصغير الثاني الذي وقع بين ساقيه ، ويقف ليأخذ له صورة . ثم ينادونه : ((التليفون))! فيضع فنجانه ويمر وهو يعتذر على الجمع الذي كان يملأ ممره ثم يعود ، ويرسم زاوية من لوحة ويتوقف ليجيب على الساحرة التي لا بد ان يرسمها بالطبع ثم يعود الى مسند الرسم . كان يعمل ولكن كان احدهم يهتف له : ((جوناس ، هات توقيعك))فيسأل :((من يريده ،ساعي البريد ؟ فيكون الجواب : لا انهم كادحو كشمير ــ حاضر ! حاضر ! ثم يهرول الى الباب ليستقبل صديقا شابا واحتجاجه ويشعر بالقلق لمعرفة اذا كانت القضية سياسية ، ثم يوقع بعد ان يكون قد تلقى تطمينا كاملا وفي الوقت نفسه توصيات عن الواجبات التي تخلقها له امتيازاته كفنان . ثم يعود الى الظهور ليمثل امامه ملاكم انتصر في مباراة حديثة او اكبر كاتب مسرحي في بلد اجنبي من غير ان يفهم اسميهما . وكان المؤلف يواجهه مدة خمس دقائق معبرا بنظرات منفعلة عما لم يكن جهله للفرنسية يتيح له ان يقوله بطريقة اوضح بينما يهز جوناس رأسه بود صادق . ومن حسن الحظ ان هذا الوضع الذي لا مخرج له كان ينفض بظهور مفاجيء لرقيع يرغب في ان يقدم نفسه للرسام الكبير . وكان جوناس يقول بسرور كبير انه كان كذلك . ويتحسس رزمة الرسائل في جيبه ، ويمسك بريشه ويستعد ليستأنف الرسم . ولكن كان عليه اولا ان يشكر السيدة التي قدمت تهديه كلبين جميلين ويسوقهما الى الغرفة الزوجية ثم يعود ليتقبل من الواهبة الدعوة الى تناول الغداء معها ، ويخرج ثانية على صيحات لويز ليلاحظ ان الكلبين لم يدربا على ان يعيشا في البيت فاذا هو يقودهما الى الحمام حيث يأخذان في النباح باستمرار مطرد بحيث يعتاد السمع عليهما . ومن بعيد لبعيد ، ومن فوق الرؤوس ، كان جوناس يلحظ نظرة لويز فيبدو له هذه النظرة كانت حزينة . وتحل نهاية النهار اخيرا ويستأذن الزائرون بالخروج بينما يتأخر غيرهم في الغرفة الكبيرة ينظرون الى لويز بحنو وهي تنيم الاولاد . وقد تساعدها بلطف سيدة انيقة ذات قبعة تعبر عن اساها لاضطرارها الى العودة بعد قليل الى فندقها الخاص حيث تبدو الحياة وقد بعثرت في طابقين اقل صميمية وحرارة مما لدى جوناس .

وذات سبت قدم راتو بعد الظهر ليحضر للويز مجففا للثياب رائعا يمكن تعليقه في سقف المطبخ . فوجد الشقة غاصة بالناس . وفي الغرفة الاخيرة رأى جوناس محاطا بمعارف وهو يرسم ولكنه كان هو نفسه يرسمه فنان رسمي . وكان هذا الاخير ، برأي لويز ، ينفذ امر الدولة ((وتلك هي صورةالفنان يعمل)). وانتحى راتو زاويةفي الغرفة ينظر الى صديقه وقد بدا عليه جيدا انه مستغرق في عمله . وانحنى احد المعارف الذي لم يسبق له ان رأى راتو وهمس قائلا : ((ان صحته لجيدة)) . ولم يجب راتو واضاف الاخر :((هل ترسم ؟ وانا ارسم ايضا ، فصدقني اذا انه يسف)).((من الان)). سأل راتو ((اجل انه النجاح . لقد انتهى))وقال له راتو : اهو يسف ام هو قد انتهى ؟ فأجابه : ((ان الفنان الذي ينحدر هو فنان قد انتهى)). انظر ، لم يعد لديه شيء ليرسم . انهم يرسمونه هو نفسه ، وسيعلقونه على الجدار .

وبعد زمن كان الجميع يجتمعون ليلا في الغرفة الزوجية وقد وقف جوناس بينما جلست لويز وراتو على طرف السرير ويصمتون . وكان الاولاد ينامون والكلاب في القرية . ولويز قد فرغت من غسيل الصحون الكثيرة التي جففها جوناس وراتو . وكان التعب الشديد يستولي عليها . وكان راتو قد قال لها امام ركام الصحون : ((احضري خادمة)) ولكن لويز كانت تجيب بكآبة : ((وأين تريد ان نضعها ؟)) وعندها كان الجميع يسكتون ، وفجأة سأل راتو جوناس ((هل انت مسرور ؟)) وابتسم جوناس وكان يبدو عليه التعب واجاب : ((اجل ان الجميع لطفاء معي)) . ورد عليه راتو : ((لا ، احذرهم ، فليسوا جميعهم طيبين ــ من ؟ ــ اصدقاؤك الرسامون مثلا))

واردف جوناس : ((انني اعلم ذلك ؟ ولكن الكثير من الفنانين هم كذلك. انهم ليسوا متأكدين من وجودهم حتى اكبرهم شأنا وهم من اجل ذلك يلتمسون الادلة ويحكمون ويشجبون . ان ذلك يقويهم . انه بدءالوجود. انهم وحدهم .)) وكان راتو يهز رأسه . ثم اضاف جوناس :((صدقني انني اعرفهم ويجب ان احبهم)) . وقال راتو ((وانت ، هل انت موجود ؟ انك لا تتكلم بسوء عن احد)) . واخذ جوناس يضحك ((آه انني غالبا ما اسيء التفكير فيهم . ولكنني انسى ذلك)) . ثم اضاف بجد ((لا انني غير واثق من وجودي الان ولكنني ساوجد . انني متأكد من ذلك .))

وسأل راتو لويز عن رأيها في ذلك . فخرجت من تعبها لتقول ان جوناس على حق : ان آراء زائريه لا قيمة لها . وعمل جوناس وحده هو الذي

بهم . وقد شعرت جيدا ان الطفل يضايقه . ثم انه يكبر واصبح من الضروري شراء ديوان جديد سوف يحتل مكانا . فما العمل في انتظار ايجاد شقة اكبر من شقتهم . ونظر جوناس الى الغرفة الزوجية .-اجل لم يكن ذلك هو الاحسن . فالسرير كان عريضا جدا . ولكن الغرفة كانت فارغةكل النهار. قال ذلك للويز التي كانت تفكر : ففي الغرفة على الاقل لن يزعج جوناس احد . فلا يجرؤ احد على ان يستلقي على السرير . وسألت لويز بدورها راتو : ما رأيك في هذا ؟ ونظر راتو الى جوناس . وكان هذا الاخير ينظر الى النوافذ التي تقابله . ثم يرفع عينيه الى السماء الخالية من النجوم ليزيح الستائر . واذ عاد كان يبتسم لراتو ثم يجلس بالقرب منه على السرير من دون ان ينبس بكلمة . واما لويز فقد صرحت بانها ستذهب لتستحم وقد بدت انها عاجزة عن المشي . وعندما التقى الصديقان وحدهما شعر جوناس بكتف راتو تلامس كتفه فلم يكن ينظر اليه ولكنه قال : انني احب ان ارسم ، وبودي ان ارسم حياتي كلها ليلا ونهارا ، أليس ذلك من حسن الحظ » . وكان راتو ينظر اليه بحنو ويجيبه : « اجل انه من حسن الحظ » .

وكان الاولاد يكبرون وكان جوناس سعيدا في ان يراهم مسرورين واقوياء . وكانوا يذهبون الى المدرسة ويعودون في الساعة الرابعة .وكان جوناس يستطيع ان يستفيد منهم يوم السبت بعد الظهر والخميس وأيام الفرص العديدة والطويلة بكاملها . ولم يكونوا كبارا بحيث يلعبون بهدوء ولكنهم كانوا يبدون من القوة بحيث يملاون الشقة بمنازعاتهم وضحكاتهم. وكان من الضروري تهدئتهم وتهديدهم واصطناع الرغبة في ضربهم.وكان على لويز الغسيل الذي يجب ان يظل نظيفا والازرار التي يجب انتخاط من جديد . وقد بدت لويز عاجزة عن الاضطلاع بهذا كله . ولما كان جوناس لا يستطيع ان يأوي خادمة ولا حتى ان يدخلها الى الصميمة الضيقة التي كانوا يعيشون فيها ، فقد اقترح جوناس الاستنجاد بروز ، اخت لويز التي ظلت ارملة مع ابنة كبيرة لها .وصرحتلويزقائلة : اجل اننا لن نتضايق مع روز ابدا وباستطاعتنا ان نسرحها حين نشاء.

ولقد سر جوناس بهذا الحل الذي كان يعزي لويز ويعزي في الوقت نفسه ضميره الخاص المرتبك امام تعب امرأته . وكان العزاء يكبر بقدر ما كانت الاخت تصحب معها ابنتها غالبا للمساعدة . وكانتا تملكان اطيب قلب في العالم . ولقد كانت الفضيلة والتجرد ينفجران من طبعهما النبيل. ولقد فعلتا المستحيل لتساعدا لويز في اشغال المنزل ولم تدخرا اي وقت. ولقد ساعدهما على ذلك ضجر حياتهما المنعزلة واللذة التي كانتا تجدانها عند لويز . وكما كان مقدرا فلم يتضايق بالفعل احد . ومنذ اليوم الاول شعرت قريبتا لويز كأنهما في منزلهما . ولقد اصبحت الغرفة الكبيرة مشتركة للطعام والغسيل ولرعاية الاطفال . واما الغرفة الصغيرة حيث كان ينام المولود الاخير فكانت تستعمل لصف اللوحات ولسرير كانت تنام عليه روز احيانا عندما كانت تأتي من دون ابنتها .

وكان جوناس يحتل الغرفة الزوجية ويعمل في المساحة التي تفصل السرير عن النافذة . ولكن كان عليهان ينتظر حتىتنظف الغرفة بعد تنظيف غرفة الاولاد فلا يعود احد يعكر عليه الا لجلب بعض قطع من الثياب اذ أن الخزانة الوحيدة في البيت قد وضعت في هذه الغرفة . على ان الزوار من جهتهم ، بالرغم من ان عددهم قد تناقص بعض الشيء ، قد اتخذوا بعض العادات ، وبالرغم من امل لويز ، لم يكونوا ليترددوا في انيستلقوا على السرير الزوجي لكي يثرثروا بسهولة مع جوناس .وكان الاولاد يأتون ايضا ليقبلوا والدهم قائلين : « أرنا الصورة » فكان جوناس يعرض عليهم الصورة التي كان يرسمها ثم يقبلهم بحنو . واذ كان يخرجهم كانجوناس يشعر ان اولاده يملاون قلبه كله . فان حرم منهم فلن يجد الا فراغا ووحدة .انه يحبهم حبه لرسمه لانهم الوحيدونفيهذا العالمالذينيتمتعون بحيوية كبيرة كحيوية الرسم .

وبالرغم من ذلك كان جوناس يشتغل اقل من دون ان يعرف سببا لذلك .ولقد كان مواظبا دائما على الرسم . ولكنه كان يشعر الان بصعوبة في الرسم حتى في اوقات العزلة . وكان يمضي هذه اللحظات متأملا السماء . لقد كان دائما شاردا مستغرقا فاصبح الان حالما . كان يفكر في الرسم وفي موهبته بدلا من ان يرسم . وكان ما يزال يقول لنفسه « انني احبان ارسم».واما اليد التي تمسك بالريشة فانها تظلمتدليةعلى طول جسمه وهو يستمع الى راديو بعيد .

وكانت شهرته تنخفض في الوقت نفسه . وكان البعض يحضر له مقالات يستشم منها الهجوم واخرى رديئة وبعضها خبيثة الى درجة كان يشعر فيها ان قلبه ينقبض لها . ولكنه كان يقنع نفسه ان في هذا الهجوم فائدة يمكن الاستفادة منها لتدفعهالى العمل خيرا منذلك. والذين استمروا في زيارته كانوا يعاملونه باحترام اقل من السابق كما لو انه صديق قديملا حاجة بهم معه الىالكلفة.وعندما كان جوناس يود ان يعودالى عمله كانوا يقولون له « مهلا أن لديك متسعا من الوقت » . فكانجوناس يشعر انهم ، بطريقة ما يلحقونه باخفاقهم الخاص . على ان هذا التضامن الجديد كان له ، من جهة اخرى بعض الفضل . وكان راتو يرفع كتفيه قائلا : انك ابلد مما ينبغي .انهم لا يحبونك مطلقا . ولكن جوناس كان يجيب:« انهم يحبونني قليلا الان . قليلا من الحب .ان قليلا من الحب شيء عظيم ولا تهم الطريقة التي نحصل بها عليه .» وهكذا كان يستمر في الكلام ، وفي كتابة الرسائل وفي الرسم كما يستطيع ان يفصل. وكانيرسم حقا بين فترة واخرى خاصة يوم الاحد بعد الظهر عندما كان الاولاد يخرجون مع لويز وروز . وفي المساء كان يسر في ان يرى نفسه متقدما في اللوحة التي يهيئها . وفي هذه الحقبة كان يرسم سماوات .

وفي اليوم الذي ابلغه فيه التاجر انه مضطر ، بالرغم منه ، الى تخفيف راتبه الشهري نتيجة لانخفاض البيع المحسوس ، وافقه جوناس على ذلك ، ولكن لويز بدا عليها القلق . لقد كان ذلك في شهر ايلول ويجب ان تكسو الاولاد استعدادا لافتتاح المدارس . وانصرفت هي نفسها الى العمل بنشاطها المعتاد . ومع ذلك فقد سبقت . فلم تكن روز التي تستطيعالرتي وتقطيب الازرار بخياطة . ولكن ابنة عم زوجها كانت خياطة فقدمتلتساعد لويز . وكانت هذه الاخيرة تنتحي بين فترة واخرى زاوية في غرفة جوناس على كرسي وتبقى ساكنة هادئة ، هادئة الى درجة اوحت فيها لويز الى جوناس بأن يرسم «عاملة » . فقال جوناس : « انها فكرة حسنة » . واخذ يجرب وهدر رقعتين ثم عاد الى سماء كان قد ابتدأ برسمها . وفي اليوم التالي تمشى طويلا في الشقة وفكر بدلا من ان يرسم . وقدم اليه تلميذ متحمس يعرض عليه مقالا طويلا لم يقرأه ولكن علم انه يصف رسمه بالتصنع والبطلان . وتلفن له البائع ليحدثه عن قلقه من انخفاض المبيعات . ولكن جوناس ظل يسترسل في احلامه وتفكيره . وقال للتلميذ ان في المقال اشياء صحيحة ولكنه ، هو جوناس، يستطيع ان يعتمد على سنوات عديدة من العمل . واجاب البائع بانه يفهم قلقه ، ولكنه لا يشاركه اياه . فان لديه عملا كبيرا جديدا في الحقيقة سيقوم به . ولسوف يعود كل شيء كالسابق . وعندما كان يتكلم كان يشعر بانه يصرح بالحقيقة وان نجمه كان هناك . وكان يكفي ان ينظم الامور تنظيما جيدا .

وفي الايام التالية حاول ان يعمل في المر ، وفي اليوم الذيتلاهحاول

ان يعمل في الحمام على ضوء الكهرباء . وبعد يوم حاول العمل في المطبخ. ولكنه ، ولاول مرة ، كان متضايقا من الناس الذين كان يلقاهم من كل مكان اولئك الذين لا يكاد يعرفهم ، ومن اهله الذين يحبهم . وبعد مدة من الزمن توقف عن العمل واخذ يفكر . فلقد كان باستطاعته ان يرسم على الامل لو كان الفصل يساعد على ذلك. ولكن لسوء الحظ، فان الشتاء على الابواب ومن الصعب رسم مشهد قبل الربيع . ومع ذلك فقد حاول ، ثم عدل . فان البرد كان ينفذ حتى قلبه . وعاش اياما عديدة مع اقمشته جالسا بالقرب منها غالب الاحيان او مغروسا بالقرب من النافذة منقطعا عن الرسم ، واعتاد ان يخرج عند الصباح واتخذ لنفسه مشروع رسم تفصيلي او شجرة او بيت معوج او وجه جانبي مأخوذ على عجل . وانقضى النهار من غير ان يعمل شيئا . وعلى العكس فان اقل اغراء كان يستوقفه كالصحف والتقاء صديق والواجهات وحرارة مقهى . وفي كل مساء كان يجد من دون انقطاع، وفي اعتذارات كثيرة ، تأنيب ضمير لم يكن ليفارقه . لسوف يرسم ما في ذلك شك، ولسوف يرسم خيرا من قبل بعد هذه الفترة من الفراغ الظاهر . وكان هذا يعمل في داخله ، وهذا كل شيء. وسوف يخرج النجم بحلة جديدة براقة من بين هذا الضباب المظلم . وفي انتظار ذلك لم يكن ليفارق المقاهي . ولقد اكتشف ان الكحول تمنحه الحميا نفسها التي كان يجدها في الايام المملوءة بالعمل ، ايام كان يفكر باوحته بهذا الحنو وهذه الحرارة التي لم يكن يشعر بهما ابدا الا امام اولاده . وعند القدح الثاني من الكونياك كان يجد في نفسه هذا الانفعال الحاد الذي يجعله سيد العالم وخادمه في آن واحد . ولكنه كان يجد لذة في الفراغ ويداه عاطلتان عن العمل دون ان يمرغهما بعمل ما . ولكن هذا ما كان يقربه من اللذة التي كان يحيا مناجلها فكان يمضي الان ساعات طويلة جالسا يحلم في امكنة ملأى بالدخان والصخب .

ومع ذلك فانه كان يتهرب من الامكنة والاحياء التي يتردد عليها الفنانون . وعندما كان يلتقي بصديق يكلمه عن رسمه كانت تأخذه ازمة. كان يبدو عليه انه كان يود ان يفر . وعندها يهرب . وكان يعلم ما يقال خلف ظهره : ((هو يظن نفسه ((رامبرانت)). فيتفاقم ضيقه . ولم يعد يبتسم قط، على كل حال . وكان اصدقاؤه القدامى يستخلصون من ذلك نتيجة غريبة ولكن لا مفر منها . ((ما دام لا يبتسم قط ، فان ذلك يعني انه راض اشد الرضى عن نفسه)) . واذ علم جوناس ذلك غدا اكثر تهربا وارتيابا وكان يكفيه ان يدخل مقهى حتى يعتريه شعور بأن شخصا من الحضور قد عرفه حتى يسود كل شيء في نفسه . وكان يظل هنالك لحظة مسمرا ، وقد امتلأ عجزا واسى غريبا ، وانطوى وجهه على اضطرابه وعلى حاجة ملحة ومفاجئة الى صداقة ما . ويفكر بنظرات راتو الطيبة . وكان يوشك يوما ان يخرج حين سمع من يقول عنه :((اي وجه هو الان وجهه)).

وفي مصادفات الايام والاقداح تعرف على اشخاص آخرين وساعدته نساء . وكان باستطاعته ان يحدثهن قبل عملية الحب او بعدها وان يتفاخر قليلا على الاخص . وكن يفهمنه حتى ولو لم يكن مقتنعات . وكان يخيل اليه احيانا ان قوته القديمة قد عاودته . وذات يوم شجعته فيه احدى صديقاته عزم على العمل فعاد الى بيته وحاول ان يعمل من جديد في الغرفة اذ كانت الخياطة غائبة . ولكن بعد ساعة اعاد قماشته الى مكانها وابتسم للويز من غير ان يراها ثم خرج . ولقد شرب النهار كله وامضى الليل عند صاحبته من دون ان يكون في حالة لاشتهائها . وفي الصباح كان الالم الحي ووجهه المنهوك يستقبلانه في شخص لويز . لقد ارادت ان تعلم اذا كان قد امتلك هذه المرأة . وقال جوناس بانه لم يفعل ذلك لانه كان سكرانا ولكنه ضاجع نساء اخريات من قبل . ولاول مرة ، وقد تمزق قلبه ، رأى في وجه لويز وجه الغريقة الذي تخلفه المفاجأة والالم . واكتشف حينذاك انه لم يكن يفكر فيها طوال ذلك الوقت واستشعر من ذلك الخجل . وطلب منها الصفح . لقد انتهى كل شيء وغدا سيعود كل شيء كما كان في السابق . ولم تستطع لويز ان تتكلم . ثم استدارت كي تخفي دموعها .

وفي اليوم التالي خرج جوناس باكرا جدا . لقد كان المطر ينهمر . وعندما دخل وقد تبلل كأنه نبات الفطر كان يحمل الواحا من الخشب . وفي منزله كان هناك صديقان قديمان جاءا يأخذان القهوة في الغرفة الكبيرة منذ ان بلغهما الخبر الجديد . وكانا يقولان ان جوناس يغير طريقته . فهو يود ان يرسم على الخشب . وكان جوناس يبتسم قائلا : ((ليس الامر هو كذلك . وانما ابتديء شيئا جديدا)) . ودخل الممر الضيق الذي يصل بين الحمام والمنتفعات والمطبخ . وفي الزاوية المستقيمة التي تنشأ من التقاء الممرين ، توقف جوناس يتأمل طويلا الجدران العالية التي ترتفع حتى السقف المعتم . انه بحاجة الى سلم . سينزل ليجلبه من عند حارس الشقة .

وباشر العمل . وفي منتصف ارتفاع الجدران بنى سقفا لكي يحصل على نوع من العلية الضيقة بالرغم من ارتفاعها وعمقها . وعند المغرب كان كل شيء قد انجز . وبفضل السلم تعلق جوناس بسقف العلية . ولكي يتأكد من متانة عمله ، قام ببعض الحركات ، ثم اختلط بالآخرين . وسر كل واحد منهم بان يجده من جديد ودودا الى هذه الدرجة . وعند المساء وقد اصبح البيت فارغا نسبيا اخذ جوناس قنديل كاز وكرسيا وطنفسة واطارا ، ثم حملها كلها الى العلية تحت انظار النساء الثلاث والاولاد . وقال جوناس من اعلى مجثمه : انني اعمل ها هنا من دون ان ازعج احدا. وسألت لويز ان كان متأكدا من ذلك . فاجاب : اجل يكفيني مكان صغير. وسأكون اكثر حرية . ولقد عرف رسامون كبيرون رسموا على الفتيلة. واردفت لويز : هل السقف متين ؟ وكان كذلك . وقال جوناس :((اطمئني انه حل موفق)). ثم نزل .

وفي اليوم التالي ، في الساعة الاولى ، قفز الى العلية وجلس ووضع الاطار على الطنفسة والصقها بالحائط ثم انتظر من دون ان يشعل الضوء . والاصوات الوحيدة المباشرة التي كان يسمعها كانت تأتي من المطبخ او من المنافع . وسائر الضوضاء كانت تبدو بعيدة . وكانت الزيارات ورنين اجراس المدخل والتلفون واصوات الرائحين والقادمين والاحاديث تأتيه نصف مخنوقة ، كما لو كانت تأتي من الشارع او من الساحة الاخرى. وبالاضافة الى ذلك فبينما كانت الشقة تطفح بأشعة فجة كان الظل هنا مريحا . وكان صديق من وقت الى آخر يأتي ويجلس تحت العلية ويقول : ((ماذا تعمل هنا يا جوناس ؟)) فيجيب : ((انني اعمل))ويضيف الصديق : ((من دون ضوء ؟)) فيرد عليه جوناس ((اجل الان)) لم يكن يرسم ولكنه كان يفكر . ففي الظل بدا له نصف السكون هذا بالنسبة لما عاش حتى الان كأنه سكون الصحراء او سكون القبر ، فكان يستمع الى قلبه هو . وكانت تبدو الاصوات التي تصل الى العلية وكأنها لا تعنيه فيما هي موجهة اليه . لقد كان كهؤلاء الاشخاص الذين يموتون وحدهم ، في بيتهم ، في غمرة النوم ، وعندما يقبل الصباح تدوي النداءات التليفونية محمومة ملحة في البيت المهجور فوق جسد سيظل اصم الى الابد . ولكن جوناس كان يعيش وكان يصغي في نفسه الى هذا الصمت وينتظر نجمه الذي ما يزال مختبئا . ولكنه يستعد للطلوع من جديد والبروز اخيرا بصفاء فوق فوضى هذه الايام الفارغة ، وكان جوناس يهتف : ((المع !المع! ولا تحرمني من نورك)) ، على يقين من ان النجم سيلتمع من جديد . ولكن

كان عليه ان يمضي في التفكير ما دام قد منح اخيرا الحظ في ان يكون وحيدا من غير ان ينفصل عن ذويه . وكان عليه ان يكتشف ما لم يستطع ان يفهمه بوضوح حتى الان بالرغم من انه قد عرفه دائما ورسمه دائما كما لو كان يعرفه . وعليه ايضا ان يلتقط اخيرا هذا السر الذي لم يكن فقط سر الفن . ولقد كان يرى ذلك جيدا . وهو من اجل ذلك لم يكن يضيء المصباح . ولقد اصبح جوناس يصعد كل يوم الى العلية . وقل الزوار . اما لويز فكانت تعير الحديث اهمية قليلة لانشغالها . وكان جوناس ينزل لتناول الطعام ثم يعود الى مجثمه فكان يبقى جامدا لا يتحرك في الظلمة طوال النهار كله . وفي الليل كان يلقى امرأته التي سبقته الى النوم . وبعد بضعة ايام رجا لويز ان ترسل له طعامه ففعلت ذلك بعناية رق جوناس لها . ولكي لا يزعجها في مناسبات اخرى اوصاها بأن تهيء له بعض المؤونة يضعها في العلية ، وشيئا فشيئا لم يعد جوناس ينزل في النهار كله . ولم يكد يمد يده الى مؤونته .

وذات مساء نادى لويز وطلب منها بعض الاغطية « سأمضي الليل هنا » ونظرت اليه لويز وقد احنت رأسها الى الوراء . وفتحت فمها ثم سكتت . واكتفت ان تتفحص جوناس بهيئة قلقة وحزينة . فرأى فجأة الى اي حد قد شاخت وان تعب حياتهما قد عضها بعمق هي ايضا . وفكر آنذاك بأنه لم يعنها في الحقيقة قط . ولكنها قبل ان يستطيع الكلام ابتسمت له بحنو انقبض له قلبه . وقالت له : « كما تشاء يا عزيزي ! »

ومنذ ذلك الحين وجوناس يمضي لياليه في العلية ولا ينزل منها تقريبا قط . فخلا البيت من الزوار دفعة واحدة ما داموا لا يستطيعون ان يروا جوناس لا في النهار ولا في المساء . فكان اهله يقولون لبعضهم انه في القرية ويقولون لبعضهم الاخر وقد اتعبهم الكذب بأنه قد وجد مصنعا . ولم يكن سوى راتو وحده يأتي بأمانة فيتسلق السلم فكان رأسه الكبير الطيب يتجاوز مستوى السقف . وكان يسأله : هل كل شيء على ما يرام؟ فيجيبه جوناس : « على خير ما يمكن » . ويضيف راتو : «هل تشتغل»؟ فيجيب « كأنني اعمل تماما » فيسأله راتو : « ولكن ليس لديك قماش »، فيرد عليه جوناس « ومع ذلك فانني اشتغل » . لقد كان من الصعب ان يطول هذا الحوار بين السلم والعلية . وكان راتو يهز رأسه ثم ينزل ويساعد لويز في اصلاح بعض المرافق او الاقفال ، ثم يذهب ليودع جوناس من دون ان يصعد السلم فيجيبه جوناس في الظلمة : « تحية ايها الصديق القديم » وذات مساء اضاف جوناس الى سلامه كلمة شكرا. فسأله راتو : ولماذا الشكر ؟ فرد عليه جوناس قائلا : «لانك تحبني » . وذهب راتو وهو يقول : اي نبأ كبير هذا ...

وذات مساء آخر استدعى جوناس راتو فهرع اليه . لقد كان النور مضاء للمرة الاولى . وكان جوناس يطل خارج العلية وعلى وجهه تعبير القلق . وصرخ : اعطني قطعة من القماش .

– ولكن ما بالك قد هزلت حتى اصبحت كالشبح ؟

– انني لم اكد اذوق الطعام منذ عدة ايام ولا خوف من ذلك فيجب ان اعمل

– ولكن يجب ان تأكل اولا

– لا ، انني لست جائعا .

وأحضر راتو قطعة من القماش . وعندما كاد جوناس يختفي من العلية سأله :

– كيف هم ؟

– من ؟

– لويز والاولاد

– انهم بحالة جيدة وسيكونون بحالة افضل لو كنت معهم .

– انني لا اتركهم . قل لهم خاصة بانني لن اتركهم ..

ثم اختفى واقبل راتو على لويز يعبر لها عن قلقه . فاعترفت بانها برمة هي ايضا منذ بضعة ايام. ولكن ما العمل ؟ آه ليتني استطيع ان اعمل بدلا منه . وبدت لراتو بوجه حزين . واضافت : « انني لا استطيع ان اعيش بدونه » . واستعادت من جديد وجه فتاة صبية اذهل راتو. ولاحظ عندها انها احمرت .

وبقي المصباح مضاء طوال الليل وصبيحة اليوم التالي كلها . وكان جوناس يكتفي بالقول اذا اقبل عليه راتو او لويز : « دعوني ، انني اعمل» وعند الظهر طلب كازا . وكان المصباح يدخن فاذا هو يلتمع من جديد حتى المساء. وبقي راتو ليتناول العشاء مع لويز والاولاد وفي منتصف الليل ودع جوناس . وتحت العلية التي كانت ما تزال مضاءة انتظر لحظة ثم ذهب من دون ان يقول شيئا . وفي صباح اليوم التالي عندما استيقظت لويز كان القنديل ما يزال مضاء .

لقد كان يوم جميل يشرق . ولكن جوناس لم يكن يشعر به . لقد ادار قطعة القماش نحو الحائط . وكان ينتظر وقد نفدت قواه فجلس مادا يديه على ركبتيه . وكان يقول لنفسه انه الان لن يعمل شيئا قط .لقد كان سعيدا . واخذ يستمع الى ضجيج اولاده واصوات المياه وقرقعة الصحون . وكانت لويز تتكلم . وكانت الواح الزجاج الكبيرة ترتعش عند مرور سيارة شحن على الجادة . فالعالم ما يزال هناك فتيا رائعا. وكان جوناس يصغي الى الصخب الجميل الذي كان ينبعث من الناس . ولم يكن الصخب من هذا البعد ليتناقض مع هذه القوة الفرحة فيه ، فنه، وهذه الافكار التي لم يستطع ان ينطق بها والتي ستظل صامتة الى الابد وانما كانت ترفعه فوق جميع الاشياء في جو حر وحي . وكان الاولاد يركضون خلال الغرف ، وكانت الفتاة الصغيرة تضحك وكذلك لويز التي لم يسمع ضحكها منذ زمن بعيد . لقد كان يحبهم . وكم كان يحبهم ! وأطفأ المصباح هناك . وفي الظلمة العائدة ،الم يكن هو نجمه الذي يلتمع دائما ؟ لقد ادرك انه هو فامتلأ قلبه بعرفان الجميل . وكان ما يزال ينظر اليه عندما وقع من غير ضجة . وبعد فترة صرح الطبيب الذي استدعي بأنه لا داعي للقلق . ان جوناس يعمل اكثر مما ينبغي . وسينهض من جديد بعد اسبوع . وقالت لويز بوجه مضطرب سوف يشفى . الست متأكدا من ذلك؟»



ترجمة عائدة مطرجي ادريس

– اجل سيشفى .

وفي الحجرة الاخرى كان راتو ينظر الى اللوحة التي كانت كلها بيضاء والتي كتب جوناس في وسطها باحرف صغيرة، صغيرة جدا، كلمة كان بالامكان قراءتها . ولكن لم يكن يُعرف ان كان يجب ان تُقرأ «سوليتير» او «سوليدير» (١)

(١) هاتان الكلمتان Solitaire و Solidaire حرصنا على ابقائهما بلفظهما الفرنسي لان قيمتهما في النص الاصلي تقوم على ما بينهما من جناس . ولم نجد في اللغة العربية كلمتين متجانستين تؤديان معناهما الذي هو : « متوحد » و « متضامن » .

(المترجمة)

طفل العام الجديد

« الى زوجتي التي تتمنى طفلا منـــذ سنوات .. بعد ان مات كل اطفالنا .. ولم يبق لها الا ذلك الامل الحزين الشاحب تسمع به انباء اجراس الميلاد .. وتلقف منها بروحها الخائفة صيحة طفلها المرتقب في دعـــاء اجراس الميلاد ... »

لا تبـك حزنا يا زوجـي
لم أقتل.. يوما .. اطفالك ..
لم اقتل طفلتنا .. ناديه ..
في ليلة ريح .. شتويـه
وأنا أذرع كـل طـريق
وأنا أسأل كـل .. رفيـق .
عن ثمن دواء يشفيهـا ..
قد كانت تلهث في دمي
وأنا أجري .. .. بين الطرقات
وأدق الابــواب السوداء ..
لكني عدت بغير ... دواء...
لأرى .. طفلتنا قد ماتـت ..
لا .. تبكي حزنا يا زوجي ..
لم أقتل .. يوما اطفـالك ..
ماتت والناس .. يموتـون ..
وفراشات الحقل تمـوت ..
وملايين الناس .. بلحظه ..
تتحشرج .. في نفَس واحد..
وتعود الشمس كما بدأت ...
لتدق نواقيـس النـور
فوق الدور
وتغني ميـلاد الازهـار ..
وتخط .. على الدنيا كلمه..
لفظا آخر .. أشرف كلمـه..
طفلا ... يولد ..
وتغني .. في الحقل.. فراشه..

***

لا تبكي .. حزنا .. يا نانا ..
يا زوجي .. وخميلة عمري ..
اني لأراهـم بعيونـك ...
اطفالا .. في غدنا الاخضر ...
ودبيب خطاهم .. اسمعها ..
خافتة .. في صمت عيونك ..
سنعيش ونفرح بالاطفال ...
يأتـون بأفراح الانسـان ..
بأغاني الميـلاد الاول ...
في اول اعياد الشمس ..
في اول فجر للدنيـا ..

رفصت فيه أول زهـره ..
وشـــدا منه أول .. راع ..

***

ولكم اسميه .. يا نـانـا ..
أصغي لعيونك لهفانـــا..
وأنا .. غاف .. بين يديك..
والليل بكفينا .. غـاف ..
فيجيء صدى.. خاف.. خاف..
كصدى الاجراس المجهولـه.
يسمعها رهبان .. تاهـوا ..
في الليل .. بأعماق الصحراء
فانادي : من دق الاجراس ..؟
وأضاء شمـوع الميـلاد ..؟
بدموعي .. قبل الميـلاد ..
فأرى بعيونك يا نانـا ..
يا زوجي .. وخميلة عمري ..
اطفالا تمشي .. في الفجـر .
بأياديهم .. فرح الزهـر ..
ويدا .. ألمحها .. في غيمه
تهتز .. كايماءة نجمـه ..
يد طفلي من أفق الغيـب ..
(أنا سار .. نحوك يا أبتي..
أنا طفلك .. فافتح لي بابك ..
وافرش لي بالفرحة.. بيتي ..
واسمع طرقاتي .. يا أبتي .
خفقات .. في مهجة أمي..)

***

لا تبكي .. حزنا .. يا نانا ..
ما دامت تحبين بثينـه ...
بنت الجاره
وتحبين صراخ الاطفـال ..
حتى.. لو.. عاشوا في أهوال..
ومشوا .. في العاصفة عرايا ..
واحترقوا .. في الحرب.. ضحايا..
فغدا .. سيكون لنا طفل ..
ويعانق أيكتنا .. ظـل ..

***

ولكم اسميه يا نانـا ..

شاهدت .. هناك ـ بعينيك ..
والليل بمنعطف الفجـر ..
شاهدت معاني لا توصف
الا بمدامع موسيقـار ..
ليذيب الليل .. على الاوتار ..
شاهدت نسـاء تتوجع ..
وشفاه .. ثكالى .. لم ترضع ..
يوما .. طفلا ..
فأقوم .. وأنهل من كأسي ..
كي اهرب .. اهرب .. من نفسي..
وأعود .. أغني .. يا نانا ..
أغنية .. من عهد صبانـا ..
لكني .. ألمـح عينيـك ..
تشقيني .. دوما .. عيناك ..
أقسم بدموعك .. يا نـانا
وأنا ما كنت .. بمخمور ..
شاهدت .. وجوها لثكالى ..
تجري .. كي تنقذ اطفـالا
من بيـن أكف النيـران ..
فيعدن .. بأيديهن .. رماد ..
هل كنت بلحظتها احلـم ..؟
لا .. أعرف.. ألا .. يا زوجي
أني .. في ليلي .. أتألم .
لكني اطرد في نفسـي
وجل التشائم .. في حسي .
واضمك .. هلعا .. يا نانا .
وأقوم وأفتـح .. نافذتـي ..
وأرى خيط الفجر الاول ..
وأعب النسمات الجذلى ..
نسمات الفجر العذريه ..
فأحس بأعماقي تطهـر .
وأحس بأحزاني تبصـر .
ودموع شبابي .. تستبشر .
وأحس الفجر .. على ثغري ..
ينطق بسمه ...
وأقول تعالي .. يا نانـا ..
كي نقطف من حقل النور ..
زهرات الامل البيضـاء ..

ففدا .. سيجيء لنا .. طفل ..
ويعانق أيكتنا .. ظـــل ..
فأراها أغفت في المقعد .
اغفاءة عصفـور .. مجهد .

***

نامي .. يا .. ثكلى .. في ليلي
فوليدك يجري .. في ظلي .
وغدا .. سيعيش كمن .. عاشوا ..
ويصيـح ليوقظنا ليـلا ..
ويحطم .. كل أوانينـا ..
لك حق الانثى .. أن تحنـو ..
في الليل على طفل .. ساهر .
ترضعه .. وهي الجوعانه .
والريح تدق بلا رحمه .
نافذة البيت المكسوره ....
فتهب حياة .. مذعـوره ..
وتمد ذراعا .. وهنانـه ..
كي تدفيء بالحب وليـدا ..
والبرد .. يشل .. انامله ..
كي تنسج .. في المهد نشيدا ..
فينام بكلّه ترنيمـه ..
والانثى .. تسهر .. محمومه !

***

لك حق الانثى ان تشقى ....
وبعينيها .. همسة شكـر ..
همسة دمعه ..
لو .. جف بليل .. ثدياها ..؟
وصحا المولود .. وناداهـا ؟
من يفهم .. تلك التنهيده ؟
لو جعلت هدهدة سريره ..
رعشات .. من بدن .. مقرور ..
والريح تدق .. بلا .. رحمه
نافذة البيت .. المكسوره ..

***

سنوات .. خمس .. نقضيها .
قلقا .. وعذابا .. نقضيها ..
نترقب .. طفلا .. يأتينـا ..
ويعيش لنا موعد قبلـه ..
ما بين .. جفون . مخضله ..
بندى .. دمعات ... فرحانه
كم .. مر نهار ... في داري
كي نسمع اطفال الجـار ..
يلهون .. على اعلى السلم ..

وأراك تناغين الاطفـال ..
والطفل .. يناديك : مامـا
وتردين عليه : ابنـي ..
وهنا تشقيني عينـاك ..
وأرى اطلالة نهديـك ..
من بين جفونك يا نانـا
كي ترضع اطفال الجيـران ..
كي ترضع كل الاطفـال ..
بل ترضع كل الاشيـاء ..
وشفاه جميع الازهـار ..
الحب .. وأفـراح الانسان ..

***

لا تبكي حزنا يا زوجي ..
لن اقتل يوما .. اطفالك ..
من اجل دواء .. لا اجده ..
اني اتفاءل بالانســـان ..
وبغده .. في فجـر السلم ..
وبحق أمومة عينيـــك .
وسخاء الارض بما تعطي ..
وباسم البذرة في الطيـــن ..
وبحق الدودة .. في صخره ..
سيعيش بمنزلنا طفـل ..
ويعانق أيكتنا .. ظــــل
وبحق العصفور الاعمـى ..
لو نبتت اهداب جفونـه ..
ريشا .. بجناح .. يحمله ..
ليطير .. مع الطير .. المبصر ..
ويطير .. بعين النسمات ..
ويحلق فـوق الربـوات ..
ويعود الـى العش مساء ..
ويغطي الاعشاش .. غنـاء ..
سيعيش بمنزلنا .. طفـل ..
اني أتفاءل يا نانـــا ..
وأصيخ الى بذر الكرمه ..
كي أسمع اغنية الندمـان ..
وليالي السمّـار الحلـوه ..
وحفيف القبلة فوق شفاه ..
والكرمة لم تزرع .. بعـد ..
أو يورق .. حوليها الورد ..
وكذلك من ليل شتائـي ..
وأنا أسمع وقع الامطـار ..
أتملى سقسقة الانـوار ..
استشرف افراح الآفاق ...

وأحس خطى الفجر النائي ..
في أحنائي ...
أتفاءل .. حبا .. يا نانا
وارى نجم الافق الغائـم ...
رؤيـا ... لصباحينا .. النائم
لكني .. اخشى .. يا زوجي
ان نصبح .. شيخين .. سويا
وبصحراء الثلج .. نعيش ...

***

ان نسرق .. في الظلمة .. قبله
نسرقها .. من عين .. الموت
قد تخجل ... يوما .. عينـانا
ان تنظر طرين ... اعتنقا ..
فاذا قلبـك يخفق ... فرقـا ..
واذا قلبي .. يخفق .. قلقا ..
اذ .. نبصر خـلف الصحراء ...
خلف الاسوار الثلجيـه ..
قبرينا .. من غير زهور ..
نبتت .. فيه .. بعض الاشواك ...
لكني .. أقسم ... يا زوجي ..
لو ذبلت يوما .. شفتانا ..
وانطفأت ليلا .. عينانا ..
وارتجفت .. بردا .. كفـانا
سأناديك دوما : نانا .
واموت اتمتم .. : يا نـانـا

***

قضيت شبابي .. يا ولدي ..
أبكي .. أتألم .. أتمزق ..
قضيت حياتي مغتربا ..
بصداي .. عن الوتر العازف ..
انا مـلاح الليـل الخائف ..
كم أعبر ليلي .. في غنوه ..
فيضيع الشاطيء عـن عيني ..
وأنا أمسكه .. في لحني !! ..
ولدته أم قديسه ..
وأبوه ربان ساخر ..
لا يؤمن الا .. بالريح ..
ولداه .. ليلا .. بسفينه ..
ليحن الى الشط .. حنينه ..
ويرى منزله .. في ربوه ..
من خلف غمامات البحر ...
لكنه .. اكف الاعصار ..

تدفعه .. في البحر وحيدا ..
ليعيش ..عن الناس ..بعيدا..
فتشهى .. رائحة الاعشـاب ..
أعشاب الغاب المجهوله ..
في جسد امرأة سمراء ..
تتحمم بالخمر الساخن ..
لكن .. لم تفهم اشعاره ..
او تفهم يوما ... آلامه
والدمع .. بعينيه .. ساخن ..
بل جعلت تسخر من دمعه ..
بل تبصق ..اثما . في نبعه ..
ولذلك عاد الـى الوحده ..
لعباب الليل المتـلاطم ..
ليعيش بمهجته .. مـوجه ..
لو مرت .. بالبحر .. حمامه ..
يهتز .. لنبض جناحيهـا ..
بل يسمع دقات الارض ..
وأغاني الناس المطلـولـه ..
بندى الفجر ..
لكنَّ الام القديسه ..
بمدامعها ..
وأبوه الملاح الساخر ..
في قهقهته ..
بدماه .. عاشا . .دواتّمه ..
لا يعرف غايته منها ..
الا.. ان يهرب .. للناس ..
وبكـل حنان الصوفيه ..
غنى لجمـوع البشريـه ..
ومشى للناس .. بايمانه ..
قد كان كمن يهرب فيهم ..
نحو الغايه ..
كم اغرق فيهم احساسه ..
حتى لا .. يسمع انفاسه ..
تنهدج بالألم الطاغـي ..
الم الانسان .. بلا .. غايه ..
واطل بأجفان الفجر ..
ورأى شمس الصبح .. جديده ..
وأحس شجاعتهم تحـدوه ..
للركب الانساني الاعظم ..

***

وكذلك .. قصة ايامي ..
يا ولدي .. فافهم آلامي ..

واذكر لو طفت على قبري ..
أن تزرع سوسنةً بيضـاء ..
وتتمتم : يرحمه الله ..
ما عشش في الدفء .. صباه ..
ميراثك .. ماذا .. يا ولدي ..
الا .. ديوان .. من .. شعري !
فاحفظه ... ورتل أشعاره ..
فدموعي .. فيه تتوهج ..
يا طفل العام المرتقب ..

***

اشرق .. بجبينك .. في سحبي ..
بدموعي كف .. ممدوده ...
لتصافح .. قبضتك البضه ..
قبضة عمري ..
وبحق مدامع ابويك ...
ان تأتي .. كي تسعد أمك ..
فالدمع .. بعينيها .. نظره ..
ترقب .. وجهك ..
لو تكبر .. قبّل كفيها ..
والثم بشفاهك .. عينيها ..
قد كانت .. أمك فنانه ..
اذ رسمت .. صورتك الحلوه ..
في عينيها ..
دمعة فرحه ..

***

يا زوجي الاجراس تنادي ...
ان نفرح .. ما دمنا احياء ..
وغدا .. ساراه هنا .. طفلي ..
يقرأ لي .. في الليل قصيده ..
(بدموعي .. كف .. ممدوده .)
(لتصافح .. قبضتك .. البضه)
لكني .. عدت .. بغير .. دواء ..
(قبضة عمري)
وستكبر قبضته يوما ..
كي تنزع دوحة اشواك ..
في روضتنا ..
فابتسمي .. ابتسمي .. يا نانا ..
وأريقي النـــور .. بدنيانا ..
واعتذري .. اعتذري .. في قبله ..
عن لفظ دمدم مـن سنتين :
(طلقني .. قاتل اطفالي)

أقسم لم اقتل .. أطفالك ..
اذ ... ماتت طفلتنا .. ناديه
في ليلة .. ريح شتويـه
وأنا اذرع كـل طريـق
وأنا .. أسأل .. كل صديق
عن ثمن دواء .. يشفيهـا
لأرى (ناديه) بنتي .. ماتت ..
وتجمد عمري في لفظه ...
ماتت .. ماتت ..
لا .. تبكي حزنا .. يا نانا
ما أروع مقدرة التعساء ...
لو نسجوا.. خيط الدمع .. عزاء .
فيجف الدمع .. مع النسمات ..
ولنفرض يوما .. يا نانا ..
لو يولد طفلا .. شريـرا .
ويعيش .. طريدا . سكيرا ..
أفلم يقتل رجل أمه ؟
أو يعشق أنثى .. وثنيه ..
ويعذب .. كفرا .. أبويه ..
وتجوع الام .. وينساهــا ..
وهنالك .. تحيا .. صفصافه
من ..غير غصون .. هفهافه ..
لترى ادمعها .. في النهـر ..
وتسر الى النسمة : مري ..
فلرب عبير من .. من روحي ..
يذكرني الآن .. مع الريح ..
وينام بأحضـاني ليله ..
أو يمنح .. اجفاني .. قبله ..
اجفاني .. من غير الهدب ..
من يذكر أما .. مهجوره ؟
من يذكر .. دوحا .. في الجدب ..؟؟

***

لكن .. والفجر .. يدق الباب ..
فلنفتح .. للنـــور الابـواب ...
الفجر .. بمنزلنا .. ضيف ..
لا بد نحييه ـ بسلام ..
ونحيي افراح الانسان
وغدا ... سيجيء .. لنا طفل
ويعانق ايكتنا .. ظــــل ..

القاهرة

محمد الجبار

مناقشات قومية

حول "معنى التحرر العربي"

بقلم حكم دروزه

ليست هذه هي المرة الاولى التي يكتب فيها الاستاذ ناجي علوش حول هذا الموضوع محاولا مهاجمة اسلوب المراحل في النضال او على وجه التحديد: المفاهيم النضالية والسياسية التي جاءت في كتاب « مع القومية العربية ». ومع ان النقد العلمي البناء هو سبيل توضيح الفكرة وبلورتها ، والمباحثة المتواصلة والكشف الواعي هما سبيل تكاملها واخصابها ، الا ان تعصب الكاتب مسبقا لاتجاه معين ، جعله يدور في قسم كبير من مقاله في حلقة من التناقضات ، وحشره في نافذة ضيقة تفتقر الى سعة الافق التي يستلزمها البحث الموضوعي المتجرد .

فبالرغم من الثوب الفلسفي الذي حاول ان يلبسه الكاتب لمقاله بتزويده و« وتزويقه » بالعبارات الفكرية المعقدة ، الا ان هذا الثوب الفلسفي سرعان ما ينزاح امام وضوح الفكرة من جهة ، واستراتيجية النضال العربي الصحيحة من جهة اخرى ، لينكشف عن عدة اخطاء قومية وتنظيمية نضالية واضحة وقع فيها الكاتب .

المجتمع العربي مجتمع شاذ فاسد بكل جوانبه القومية : السياسية والاقتصادية والاجتماعية . انه مجتمع مجزأ يعيش في ازدواجية الوجود ، معظمه مستعمر وبعضه مغتصب ، ويخيم عليه الظلم وتنعدم فيه العدالة الاجتماعية . وهو مجتمع تراكمت فيه ترسبات الفساد والجمود الموروثة من عصور الانحطاط ، وتركزت فيه عناصر السلبية والهدم بكل قواها وخبرتها وامكانياتها . وهذا الوضع الشاذ الذي نعبر عنه بازمة الوجود العربي ينعكس في نفسية الفرد العربي وحياته كما يحياه مجموع الامة ككل . المجتمع العربي اذن لا تنفع فيه الاصلاحات السطحية الجزئية وانما هو بحاجة الى ثورة حقيقية ، الى انقلاب جذري شامل . هذه الثورة العربية ليست انطلاقة عمياء ولا هبة عاطفية ، بل انها ثورة لها من عمق معناها وشمولها واتساع مداها ما يرتفع بها الى مستوى تجربة قومية انسانية تاريخية . لا بد اذن للثورة العربية من شروط معينة تضمن سلامتها ونجاحها وتحققها .

١ – واول هذه الشروط ، ان يتوفر للثورة العربية الخطوط الفكرية الواضحة التي ستعطي ملامح المستقبل العربي وتحدد ، حسبها شكل ومحتوى الحياة العربية المقبلة ، وذلك حتى تأتي ثورة هادفة تعرف مسبقا ماذا تريد وتتجنب التخبط وتضمن تحقيق اهداف الشعب والنهوض به الى مستوى الرسالة . لا بد اذن من عقيدة تتكامل تفصيلياتها مع التجربة العملية ، تضع الحلول الشاملة للمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تكون بتفاعلها ازمة الوجود العربي ، وتحدد الاهداف القومية للامة .

٢ – وثاني هذه الشروط ، ان يتوفر للثورة العربية التخطيط النضالي العلمي السليم الذي يحدد استراتيجية النضال العربي واسلوبه تحديدا ينبع من طبيعة المرحلة التي نمر بها وطبيعة المشاكل والظروف والملابسات التي تحيط بها . ما هو الطابع العام للمرحلة التي نمر بها اليوم ؟ ما هي الاخطار والمشاكل الرئيسية التي يجب ان تسلط عليها الانوار ؟ ما هي استراتيجية النضال في هذه المرحلة واين يجب ان تتركز طاقات الامة النضالية ؟ الخ... لا بد للثورة العربية من هذا التخطيط النضالي حتى لا تقع الثورة في الارتجال وفي المثالية الخيالية التي لا تأخذ بعين الاعتبار ظروف المرحلة وطبيعة القوى التي تجابه الثورة ودرجات خطورتها ومستوى اهميتها والحاحها . وواضح ان المنطلق الاساسي لهذا التخطيط يجب ان يتحدد بماهية العقيدة ، اي يجب ان يكون منطلقا قوميا عربيا ، ولذلك فقد يختلف التخطيط النضالي للثورة القومية العربية عنه للثورة الاشتراكية الماركسية مثلا ، نظرا لاختلاف العقيدتين في الاسس التي تقومان عليها ، واختلافهما في المنطلق والاهداف، هذا بالاضافة الى اختلاف التجربة الثورية في كل امة باختلاف ظروفها .

٣ – وثالث هذه الشروط ، ان تتوفر للثورة العربية الاداة النضالية التي تمرست بالنضال وتصلبت بالتجربة العملية ، والتي لها من تمرسها وصلابتها واخلاصها ما يكفل لها السير بالثورة حتى النهاية : مستمدة أهدافها من العقيدة ومسترشدة في اسلوب وطريقة تحقيق هذه الاهداف بالتخطيط النضالي للثورة .

هذه هي الاسس الثلاثة التي لا بد ان تتوفر لضمان الثورة العربية الجذرية ولا شك ان لكل من هذه الاسس شروطها الخاصة بها ايضا مما لا يدخل في مجال بحثنا هنا . وعلى هذه الاسس نستطيع ان نناقش الحركات والاتجاهات العقائدية والنضالية والسياسية الموجودة في الوطن العربي . نناقشها من حيث ارتفاعها الى مستوى الثورة في عقيدتها ، وارتفاعها الى مستوى الثورة في تخطيطها النضالي (اذا كان لديها اي تخطيط نضالي مدروس) ، وارتفاعها الى مستوى الثورة في اداتها النضالية واهليتها لتوجيه الثورة وقيادتها . وان هذه الاسس الثلاثة : العقيدة الملبية الشاملة والتخطيط النضالي العلمي والاداة النضالية الموثوقة اسس مترابطة متساندة لا بد من توفرها كلها مجتمعة حتى نرتفع الى مستوى الثورة ، وبالتالي ، فان فقدان اي شرط منها ، كأن تتوفر العقيدة ولا يتوفر التخطيط النضالي ووعي طبيعة المرحلة واستراتيجيتها ، او كأن تتوفر العقيدة والتخطيط ولا تتوفر الاداة الموثوقة ، انما يعني عدم امكانية تحقيق الثورة العربية بشكلها الجذري الشامل .

ومن خلال هذه الاسس نستطيع ان نناقش معنى التحرر العربي لناجي علوش . واستنادا اليها نرى بوضوح ان الكاتب قد وقع في عدة اخطاء نجملها ببندين رئيسيين :

اولا : ان الكاتب يخلط خلطا واضحا بين العقيدة بشمولها من حيث التصور الذهني الكلي ، اي من حيث كونها مجموعة مباديء ومفاهيم وانظمة ترسخت في نفوس المؤمنين بها كوحدة كلية لا تتجزأ ولا تقبل التجزئة ، وبين شروط تحقيق هذه العقيدة واسلوب وطريقة تطبيقها ، الامر الذي يرجع للتخطيط النضالي ، ويجب ان يتكيف حسب استراتيجية المرحلة ومتطلباتها وظروفها .

ثانيا : ان الكاتب رغم انه قارب الصواب في محاولة تفسير معنى التحرر العربي (من حيث التصور الذهني للقضية العربية الكلية لا من حيث اسلوب وطريقة تطبيقها) الا انه في اندفاعه ليبرر ضرورة النضال السياسي والاقتصادي والاجتماعي بكل هذه الجوانب مجتمعة ، وبوقت واحد ، وفي هذه الفترة متجاهلا او ناسيا استراتيجية المرحلة ، قد ارتكب اخطاء قومية يمكن ان تصل الى حد « الانحرافات الخطيرة » لولا انني اعلم ان الاستاذ علوش هو من دعاة الحرية والوحدة والاشتراكية ، ولذلك اعتبر رأيه شخصيا لا يمثل اتجاها جماعيا .

العقيدة بين الدعوة والتطبيق

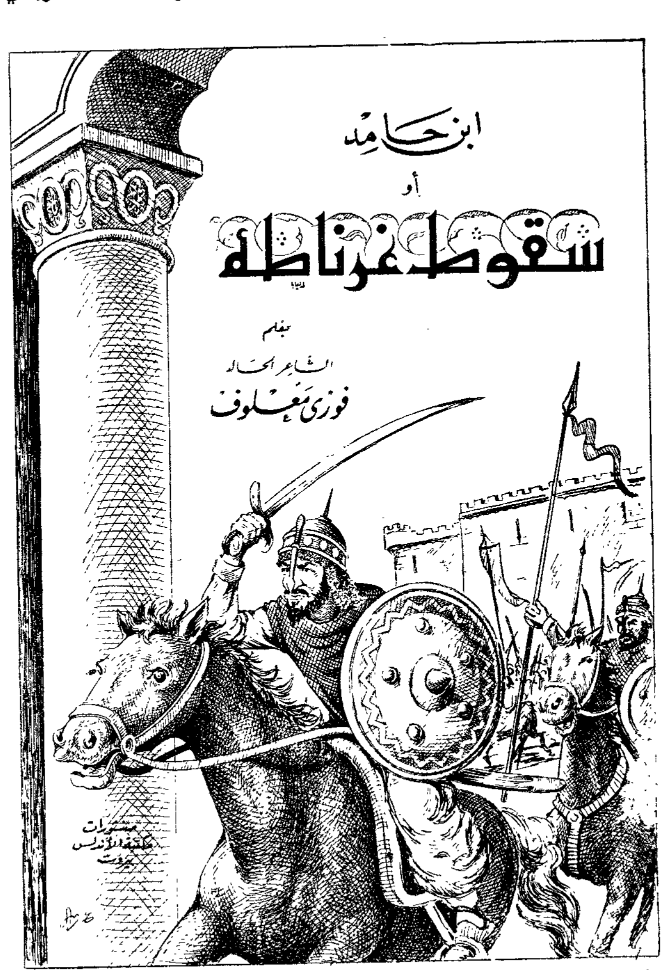
العقيدة القومية التي تحدد اهداف الثورة العربية هي كل لا يتجزأ من حيث التصور الذهني ومن حيث الاعتقاد بها ، ذلك انها ايمان والايمان لا

يتجزأ . واذا كان هدف الثورةالعربية هو توحيد الوطن العربي وتحريره واسترداد الارض المغتصبة واقامة مجتمع اشتراكي ديموقراطي خلاق تتحقق فيه انسانية المجموع العربي وتتفجر طاقاته للعطاء الانساني ، اذا كانت هذه هي اهداف الثورة العربية ، فلا يمكن ان يقتصر الايمان بها على جوانب من جوانبها السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية ، لانه في هذه الحالة تخفض العقيدة من مستوى الثورة ، وتنكمش الثورة الجذرية الشاملة الى هبة جزئية سطحية . لا تجزئة في الايمان بالعقيدة بل وحدة كلية تشمل مختلف جوانب القضية العربية ومختلف وجوه ازمة الوجود العربي . لا بد للعقيدة ان تعطي منذ اليوم شكل الحياة العربية ومحتواها، وان تكون هذه النظرة الشاملة للوجود العربي واضحة منذ البدء بكـل شمولها وعمقها في ذهن كل فرد طلائعي وكذلك في نفوس جماهيـر الشعب ، فلا بد للجماهير ان تعرف لماذا تناضل وفي سبيل ماذا تقاتل ، فهذا هو ضمان شعبية النضال وامتداده واستمراره .

العقيدة من حيث أنها نظرة شاملة كلية ومن حيث انها دعوة وتبشير ومن حيث انها وعي وايمان ، هي كل لا يتجزأ .

والسؤال هو : هل تفترضهذه العقيدة — التي هي في نفوسنـا وتصورنا العقلي وحدة لا تتجزأ — ان تكون ايضا كلية في اسلوب تطبيقها ونقلها الى حيز الواقع ؟ هل نفهم وحدة العقيدة على انها كتلة جامدة لا تقبل الا ان نناضل في سبيلها في المجال السياسي والاقتصـادي والاجتماعي دفعة واحدة وعلى نفس المستوى والدرجة وفي نفس الشدة والعنف ، رغم أن هذه المجالات تتفاوت في خطورتها بالنسبة لكيان الامة، وأن المصلحة القومية تفترض تركيز الطاقات النضالية في بعض هـذه المجالات ؟ وهل نفهم النظرة الشاملة فهما حرفيا ضيقا ونفسرها انهـا مجموعة افكار عمياء لا تعرف التقديم والتأخير والتفضيل والتأجيل الذي تقتضيه الظروف التي وجدت فيها الامةفي هذه المرحلة ؟

هنا يقع الكاتب في الخلط ، ويبدو المقال فهما نظريا للنضال العربـي



واستراتيجية هذا النضال ، ويدل على اهمال تام للشرط الثاني من شروط الثورة العربية وهو التخطيط النضالي العلمي الذي ينبع من ظروف المرحلة وطبيعتها واحتياجاتها الاساسية .

القضية العربية هي قضية ازمة الوجود العربي المتفاعلة المتشابكة بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهي أزمة الفرد العربي كما هي ازمة الامة بمجموعها . ولكن هذه الازمة الشاملة ليست « كـلا ضبابيا » لا يمكن تحليله الى عناصره ، وليست شيئا وهميا « ليس لها ابعاد (1) » ، واذا كانت القضية العربية قضية متفاعلة متشابكة ، فهذا لا يعني اننا امام كرة صلبة لا نستطيع ان نتعرف على حدودها ولا نعرف كيف ننفذ اليها . واذا كانت العقيدة قد حددت جوانب القضية العربية والاهداف التي ستقضي على ازمة الوجود العربي ، فهنا تأتي مهمة التخطيط النضالي : أن يحلل هذه الازمة الى عناصرها الرئيسية ،وأن يحدد المشاكل التي تدلل هذه المرحلة على انها اشد هذه المشاكل خطورة والحاحا وانها الحواجز الاساسية في طريق حل المشاكل الاخرى ، ومن ثم ان يسلط الاضواء على هذه المشاكل الاساسية ويركز الطاقات النضالية للشعب حولها .

فالمشاكل المتعددة التي تؤلف ازمة الوجود العربي ليست في مستوى واحد من الخطورة ، منها ما يتطلب المعالجة السريعة لانها تتعلق بمصيـر الامة العربية وكيانها وتضعها في «موقف وجود » اما ان تكون او لا تكون، ومنها ما يمكن تأجيله رغم اهميته لان اهميته نسبية تقاس بالنسبـة للمشاكل التي تهدد كيان الامة . يقول الاستاذ ميشل عفلق معلقا علـى الظروف السياسية الخطيرة التي تمر بها الامة العربية في هذه المرحلة : «وكل هذا لا يستدعي توحيد النضال فحسب ، بل توفير وسائل النضال ايضا وذلك بتضحية العديد من النواحي غير الاساسية في حياتنا لتركيز معظم جهودنا على الامور القومية الحيوية التي تقرر مصيرنا وبقاءنا » (2)

هذه هي المهمة الاساسية للتخطيط النضالي : ان يحدد استراتيجية النضال العربي ، واستراتيجية النضال العربي بكلمة هي : تصنيـف المشاكل التي يعاني منها الواقع العربي حسب اهميتها وخطورتها ، وتحديد الطابع العام للمرحلة النضالية بما يتلاءم ودرجة اهمية تلك المشاكل ، ثم تعيين مجالات التركيز في النضال العربي بتحديد الشعارات المرحلية التي تمثل اهم مشاكل المرحلة والتي يجب ان تلتف حولها جموع الشعب.

فالتخطيط النضالي اذن يقوم على اسلوب المراحل في النضال .

الثورة العربية تفترض سياسة المراحل .

ومن هنا كانت العلاقة الوثيقة بين الثورة العربية ومرحلية النضال . فالثورة العربية الجذرية الشاملة لا تتحقق الا بتحقيق اهداف القوميـة العربية ، والعقيدة القومية لا تتحقق الا بتوفر تخطيط نضالي يحدد اسلوب وطريقة وكيفية وضعها موضع التنفيذ ، وسياسة المراحل (تحديد استراتيجية النضال العربي في كل مرحلة) هي المهمة الاساسية للتخطيط النضالي .

هذا التخطيط النضالي العلمي واستراتيجية النضال العربي يحددان بما لا يقبل الشك ، أن المرحلة التي تمربها الامة العربية في هذه الفترة هي : مرحلة استكمال مقومات وجودها القومي ، وشروط بقائها كأمة ، والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية الاخرى التي تعاني منها الامة يجب الا تطغى بحال من الاحوال على النضال لايجاد الكيان القومي الموحـد المتحرر ، وما لم يوجد هذا الكيان اولا فلا معنى ولا سبيل لتحقيق النظم الاقتصادية والاجتماعية العادلة . فاستراتيجية النضال العربي تفترض : أن الطابع العام للنضال العربي في هذه المرحلة هو نضال سياسي ضد الاستعمار والتجزئة و«اسرائيل» والفئات الحاكمة والنفعية المرتبطـة بالتجزئة لايجاد الكيـان القومي الموحد المتحرر ، وان هذه الاخطـار السياسية هي المشاكل الرئيسية في هذه المرحلة من حياة الامة .

(1) فريد ابو عيطه ، تعليق على كتاب « مع القومية العربية » الاداب تموز ١٩٥٧ .

(2) مجلة البعث ، العدد ٣٩ ، كانون ثاني ١٩٥٧

وأن الطاقات النضالية البشرية والسياسية والاقتصادية والفكرية للامة العربية يجب ان تتركز في هذه المرحلة حول هذه المشاكل .

وأن شعارات النضال العربي التي يجب ان تلتف حولها جموع الامة وتصب معظم جهودها لدعمها ، شعارات مرحلية تنبع من طبيعة المرحلة واستراتيجيتها ، وهي تعبير عن الحلول للمشاكل الرئيسية فيها ، اي لا بد وان تكون شعارات سياسية . ومن هنا كان توحيد الوطن العربي والتحرر من الاستعمار والقضاء على الخطر اليهودي هي الشعارات المرحلية للامة التي يفرضها التخطيط النضالي السليم . هذه الشعارات اذا نظر اليها من زاوية المرحلة القائمة في الاهداف القريبة لهذه المرحلة التي يجب ان تتركز حولها الطاقات النضالية ، واذا نظر اليها بالنسبة للثورة العربية بشمولها وامتدادها ، فهي شعارات او اهداف مرحلة من مراحل هذه الثورة مبرر وجودها ان تمهد للمراحل الاخرى ، وأن تهيء الكيان العربي الواحد المتحرر الذي فيه وحده يتحقق المجتمع الاشتراكي الديمقراطي العادل ، اي ، ان تكون هذه الشعارات المرحلية طريق الوصول الى الاهداف النهائية للثورة .

الشعارات المرحلية ليست هي الاهداف النهائية بل هي اهداف قريبة مهمتها ان تكون ممرا للاهداف النهائية ..

والمراحل النضالية او المرحلة القائمة ليست هي الثورة من حيث محتواها وامتدادها ، بل هي مرحلة مهمتها ان تهيء للمراحل الاخرى ، فهذه المراحل تتصل اتصالا عضويا رحميا ببعضها البعض . ومجموع المراحل هو المحتوى الكلي للعقيدة الموضوعة منذ البدء .

هكذا تفهم سياسة المراحل اسلوبا علميا لوضع العقيدة موضع التحقيق واتصالا عضويا حيا ، وتأكيدا للطابع العام للمرحلة وتحديدا لمعركتنا الرئيسية ، « فان كون هذه المرحلة من حياة الامة هي مرحلة نضال سياسي لايجاد الكيان العربي الواحد المتحرر ، لا ينفي ابدا ما للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية من تأثير كبير في الحياة العربية ، ولكن المشكلة السياسية هي أحد وأخطر مشكلة في الوقت الحاضر ، ومدى اهمية وأولوية اي من المشاكل تحددها طبيعة المرحلة التي تمر بها الامة .. وهذا لا يعني بالطبع عدم القيام باصلاحات اقتصادية على الاطلاق ، ابدا ... ولكن المقصود الا يصبح الطابع العام لهذه المرحلة هو نضال اقتصادي .. والمقصود ايضا ان اي تخطيط اقتصادي في هذه المرحلة من حياة الامة يجب ان يرتبط بحركة الامة السياسية بحيث يكون لهذه المعركة الاولوية دائما (1) »

فالكاتب بمهاجمته سياسة المراحل انما يدلل على عدم فهم استراتيجية النضال العربي ، واتصال المراحل النضالية اتصالا طبيعيا وعضويا لا ينفصل . انه في غمرة حماسه البريء لاجل الفكرة يخلط خلطا ساذجا بين الهدف وأسلوب تحقيق هذا الهدف ، كأن العقيدة كتاب يكفي ان تلقية وسط المجتمع حتى تتناثر محتوياته وتصبح انظمة قائمة بالفعل ... هكذا بكل بساطة ! لا تخطيط ولا مقتضيات مرحلة ولا اختلاف في مستوى اهمية المشاكل ... والواقع ان هذا هو بعينه « تبسيط القضية العربية » وهذه هي الخيالية في النضال التي ستؤدي الى فوضى النضال .

لا بد للحركة العربية ان تعي منذ الان ظروف المرحلة التي تعيشها الامة ، وأن تحدد الطابع العام لكل مرحلة وأين ستتركز الطاقات النضالية وكيف ستوجه ، واذا رجع الاستاذ علوش الى الثورات التاريخية الكبرى للامم ، بل والى الامثلة التي حاول ان يضرب بها اسلوب المراحل في النضال ، لوجد أن سياسة المراحل في النضال كانت هي الخط العام لكل التجارب الثورية ، وأن هذه التجارب الثورية التاريخية ما كانت لتتم بنفس الشكل والزمن فيما لو اتبع قادة النضال طريق الفوضى النضالية التي يوصل اليها اتجاهه ...

فكان طابع النضال الرئيسي للامة الالمانية في القرن التاسع عشر ، هو الوحدة والتحرر لان المرحلة التي تمر فيها كانت مرحلة استكمال مقومات

(1) : مع القومية العربية ، صفحة ١٦٦ - ١٦٧ .

وجودها القومي وشروط بقائها كامة ، اي ايجاد المجتمع الالماني الواحد المتحرر ...

وتركيز النضال للامة الايطالية اولا وقبل كل شيء حول هذا الهدف ايضا .

والثورة البلشفية الروسية وثورة الصين (التي استشهد بها الكاتب لمهاجمة اسلوب المراحل) ، انما تظهران بوضوح التخبط الذي وقع فيه .

فقد كان اسلوب المراحل في النضال هو الاسلوب الذي قام عليه التخطيط النضالي للثورة البلشفية الروسية ، واستنادا اليه حدد الحزب الشيوعي مراحل الثورة الاشتراكية بثلاث مراحل رئيسية : مرحلة الثورة الديمقراطية البورجوازية (القضاء على القيصرية والارستقراطية) ومرحلة الثورة الاشتراكية العمالية واستلام الحكم ، واخيرا مرحلة البناء الاشتراكي (1). ورغم انه قد تخلل المرحلتين الاولين بعض النضال الاقتصادي ، الا انه اتخذ طابع نضالات فرعية كانت تخضع لتوجيه استراتيجية المرحلة ، والهدف منها خدمة اهداف تلك المرحلة المحددة مسبقا بحيث بقي دوما الطابع العام للمرحلة واضحا واستراتيجيتها متميزة تماما .

وسياسة المراحل في النضال في ثورة الصين ، اوضح منها في اي ثورة عالمية اخرى ، وكان النضال الثوري يتكيف حسب المراحل التي مرت بها الثورة وظروفها وطبيعة القوى التي تؤثر فيها . ويقول ماو تسي - تونغ شارحا طبيعة المرحلة التي كانت تمر بها الثورة الصينية اثناء النضال ضد الاستعمار الياباني : « عندما يشعل الاستعمار نيران حرب،

(1) : مع التأكيد مرة اخرى ان التخطيط النضالي العربي يمكن ان يختلف عن تخطيط الثورة البلشفية لاختلاف العقيدتين في النظرة للحياة والاهداف ، والتأكيد ايضا على اختلاف ظروف التجربتين ، والاستشهاد هنا لايضاح التخطيط النضالي في تجربة ثورية كبيرة .

عدوانية فان الطبقات المختلفة في هذا البلد ، باستثناء عصابة صغيرة من الخونة ، يمكن مؤقتا ، ان تتحد لتخوض غمار حرب وطنية ضد الاستعمار، وفي مثل هذا الوقت يصبح التناقض بين الاستعمار وذلك البلد التناقض الرئيسي ، بينما سائر التناقضات بين مختلف الطبقات داخل ذلك البلد (بما فيها التناقض الرئيسي بين النظام الاقطاعي وجماهير الشعب الغفيرة) تبعد مؤقتا الى مركز ثانوي او تابع . تلك كانت الحالة في الصين اثناء حرب الافيون عام ١٨٩٤ وحرب البوكسر ١٩٠٠ ، وكذلك هي الحال في الحرب الصينية اليابانية الراهنة » .

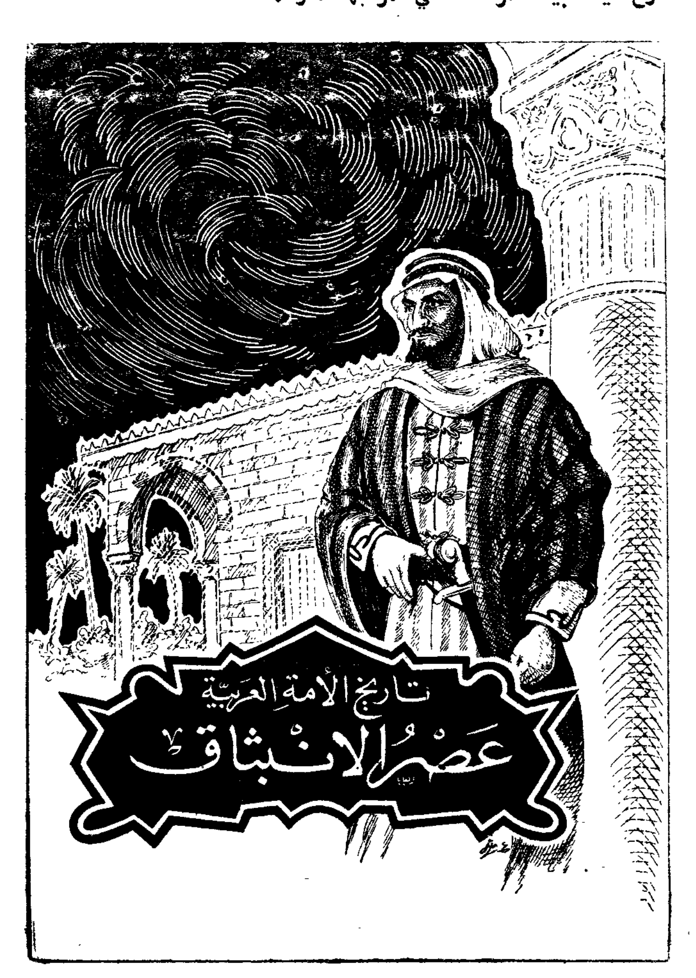
ثم يقول : « ولان الكيومنتانغ اظهر رغبته في مقاومة اليابانيين في الفترة الراهنة من حرب المقاومة ضد العدوان الياباني ، فقد اتخذ الحزب الشيوعي سياسة معتدلة تجاهه وتجاه القوى الاقطاعية الداخلية . » (١)

هكذا كان التخطيط النضالي في تجربتين ثوريتين كبيرتين يقوم على سياسة المراحل في النضال ، واستشهاد الكاتب بهما لا يدلل على خطأ سياسة المراحل انما يدل على محاولة يائسة للدفاع عن تخطيط نضالي آخر (اذا كان هناك اي تخطيط) تثبت التجارب النضالية عقمه وفشله .

وثورة مصر ، رغم انه لا يمكن ولا يجوز مناقشتها منفصلة عن القضية العربية ككل ، الا ان التخطيط المرحلي فيها لا يمكن ان يخطئه اي دارس متجرد في بحثه ... لقد اعلن رجال الثورة في مصر ان هدفهم بناء مجتمع اشتراكي ديمقراطي، هذا هو الهدف، اما المرحلة التي يمرون بها الان فهي مرحلة تدعيم الاستقلال السياسي وبناء مجتمع تعاوني(تتعاون فيه جميع الطبقات) يمهد للمجتمع الاشتراكي الديمقراطي فيما بعد ، وتنمية الرأسمال الوطني (٢) . هذا بالرغم من ان رجال الثورة في مصر هم في الحكم ويقبضون على زمام السلطة بأيديهم ..

(١) : ماو تسي ـ تونغ ، معالجة التناقضات بين صفوف الشعب .

(٢) : من خطاب جمال عبد الناصر في ذكرى الثورة المصرية والذي شرح فيه طبيعة المرحلة التي تمر بها مصر .



وثورة الهند ايضا ، لقد حاول الكاتب ان يوردها كمثل على خطأ سياسة المراحل في النضال فاستشهد بقول نهرو : « وظهر ميل نحو الاشتراكية عندما اصدر المؤتمر المعقود في كراتشي عام ١٩٣١ قرارا هاما حول الحقوق الاساسية والبرامج الاقتصادية .. وهكذا ، اصبح الكفاح من اجل الاستقلال يتعدى مجرد نيل الحرية السياسية الى نيل نظام اجتماعي اشتراكي ... » . والواقع ، أنني لست ادري لماذا اورد الكاتب هذا المثال ، فهو هنا يثبت صحة سياسة المراحل ولا ينفيها . لقد تبنى حزب المؤتمر الهندي الاشتراكية والديمقراطية على انهما الاهداف النهائية التي يريد ان يطبقها في الهند . اما اسلوب تحقيق هذه الاهداف ، واما التخطيط النضالي لها ، فقد قاما على سياسة المراحل في النضال . ولو رجع الكاتب ـ بتجرد ـ الى الثورة الهندية لوجد ان الثورة قد مرت في مرحلتين ، مرحلة توحيد الهند والتحرر من الاستعمار البريطاني ومرحلة اقامة المجتمع الاشتراكي الديمقراطي . ان نهرو لم يسر في سياسة النظام الاقتصادي الموجه نحو البناء الاشتراكي الا بعد طرد الاستعمار البريطاني .. والكاتب هنا ايضا يخلط بين الهدف وأسلوب تحقيق الهدف ، بين العقيدة كتصور ذهني وايمان وبين العقيدة في حيز التطبيق .

ان هذه الحقائق النضالية المستمدة من تجارب النضال الثوري تدلل بوضوح ان دعوة الشعب الى النضال على جميع الجبهات : الخارجية والداخلية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية مجتمعة وبوقت واحد وفي هذه المرحلة هي مثالية النضال الخيالية التي ستحول القضية العربية والثورة العربية الى خليط متنافر ونضال شعب الى خبطات عمياء مشتتة . وبهذا التخطيط انما نحول الثورة الى ثورة وهمية لا يمكن ان تسير سيرا موزونا في معارج النضال العملي .. انها ثورة احلام اليقظة ، تنسجها تخيلات بعض الافراد في صومعاتهم الفكرية . وحين تنزل هذه التخيلات المطلقة والفهم النظري لشروط تحقيق الثورة الى حيز واقع النضال العملي ، لا بد وان يصدمها الواقع بمقتضيات المرحلة ، وعندئذ تكون امام احتمالين : اما ان تستمر في مثالية النضال المجردة .. في فوضى النضال ، واما ان تستجيب لطبيعة المرحلة ومقتضياتها وتخطط للثورة على اساس اسلوب المراحل في النضال . ولقد بدأ اصحاب الاتجاه نفسه يعترفون تدريجيا بالمرحلية ويلمسون ان اسلوب المراحل لوضع العقيدة موضع التنفيذ ضرورة تنظيمية نضالية .

يقول الاستاذ ميشل عفلق معلقا على تركز خطر الاستعمار(١): «والجواب اللائق بهذا الهجوم الجديد ان ننتقل الى مرحلة اعلى وانضج في توحيد النضال العربي نجسد بها ايماننا بوحدة امتنا تجسيدا عمليا واعيا ،فنضع قضايا النضال العربي فوق القضايا والحاجات المحلية بشكل يخدم القضية القومية الكبرى ، وهذا يقتضي وضع خطة شاملة بعيدة النظر والمدى تعالج الحاضر على هدي المستقبل القويم ، وتعين المراحل والامور المستعجلة المعالجة والامور التي يمكن تأجيلها .»

ويقول ايضا (٢) : « ولكن الاختلاف في العقائد السياسية والاجتماعية لا يوجب الانقسام الا في مرحلة تأسيس الدولة العربية الواحدة والمجتمع العربي الموحد . اما قبل هذه المرحلة والى ان نحرر وطننا الكبير من حكم الاجنبي واستعماره ، فجميع العقائد تلتقي على مصلحة حيوية قاهرة هي مصلحة تحرير الوطن العربي الذي اذا فقدت حريته وسيادته فلن يبقى فيه مكان ولا معنى للعقائد واختلافها ..

« فالوقت جد مناسب لاعادة النظر وزيادة التوضيح في سبيل تصحيح حياتنا الحزبية قبل ان تتبلور وتعميق تربيتنا السياسية والقومية قبل ان تصبح الاوهام والاهواء جزءا من دمها ولحمها ! وان اهم مقياس نهتدي به في هذا التصحيح هو اولا : تعيين اهداف المرحلة التي نجتازها لكي

(١) مجلة البعث ، عدد ٣٩ ، كانون الثاني ١٩٥٧

(٢) مجلة البعث ، عدد ٥٤ ، ايار ١٩٥٧

لا نختلف اليوم على شيء لم يحن بعد وقت تحقيقه ولم يحن بالتالي وقت الاختلاف عليه » ... (١) ...

ثم يقول : « ان احدا لم يقل ان هذه المرحلة التحررية هي مرحلة دك العروش وتأميم الصناعات واستيلاء العمال والفلاحين على المصانع والاراضي، بل ان جميع المواطنين العرب هم على اختلاف طبقاتهم وثرواتهم يكسبون اليوم كسبا كبيرا اذا هم تضامنوا وساهموا في النضال والتضحية لكي ينقذوا الوطن العربي من الاستعمار » .. (٢)

انه اسلوب المراحل ..ومقتضيات المرحلة الحاضرة من حياة الامة التي تفرض عليها تركيز جهودها وامكانياتها لحل المشاكل السياسية ، واستكمال وحماية كيانها القومي قبل ان تلتفت جديا لمعالجة الظلم الاقتصادي ـ والاجتماعي الذي تعيش فيه . يقول الاستاذ اكرم الحوراني :

«لا بد وأن نوضح موقف حزبنا بجلاء من الرأسمال الوطني حتى لا ينخدع المواطنون بالدعايات الاستعمارية ، وحتى لا يصبح كبار التجار واصحاب رؤوس الاموال فريسة في ايدي الاستعمار وعملاء الاستعمار.. ان الاشتراكيين العرب يعتبرون تنمية رؤوس الاموال الوطنية طريقا لتصنيع البلاد ، ولا يمكن لبلاد عربية ان تحقق حريتها ووحدتها واستقلالها ما لم تخرج من المرحلة الزراعية المتخلفة الى المرحلة الصناعية، لذلك كان تشجيع رؤوس الاموال الوطنية هدفا من اهداف الوطنيين العرب .

« ان تبني حزبنا لقضايا الفلاحين والعمال ورفع مستواهم المادي والمعنوي بمنع استغلالهم لا يعني مطلقا عداءنا او وقوفنا موقفا سلبيا من تنمية رؤوس الاموال الوطنية في هذه المرحلة من تطور البلاد العربية ..»

ثم يقول : « كيف يجوز لنا الا نقف موقف المشجع والمنشط لرؤوس الاموال الوطنية اكثر من اصحابها بالذات ونحن نعلم ان العرب في هذا الظرف يخوضون معركة وطنية ضد الاستعمار الغربي و «اسرائيل » ؟!!

انه ايضا اسلوب المراحل في النضال ، بل وتحديد الاخطار والمشاكل الرئيسية واستراتيجية النضال العربي في هذه المرحلة .. وهل نكون في هذه السياسة قد تنازلنا عن الاشتراكية ؟ هل نكون قد نزلنا بالعقيدة من مستوى العقيدة الى مستوى الشعارات ؟ وهل يفسر هذا التخطيط النضالي مهادنة للرجعية والرأسمالية والاقطاعية ؟ وهل نفسر هذا التخطيط النضالي تجزئة للقضية العربية ؟

هنا يقع ايضا الكاتب في الخلط بين العقيدة كايمان لا يتجزأ في نفوسنا ، وبين اسلوب تحقيق هذه العقيدة الذي يعترض التركيز والتقديم والتأجيل في اهداف العقيدة حسب مقتضيات المرحلة ، وهنا ايضا يقع دعاة اتجاه « النضال الكلي » ويقع الكاتب بالتالي في التناقض الناشىء عن عدم التفريق بين الشعارات المرحلية والاهداف النهائية للعقيدة .

ولا خوف أن يتجزأ النضال : « فان مراحل النضال العربي ،السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تنفصل عن بعضها فصلا جامدا ، بل هي على العكس تتصل اتصالا طبيعيا بحيث تؤدي كل مرحلة الى الثانية .فتحقيق الوحدة والتحرر والثار واختراق المشكلة السياسية ، سيبني لنا الكيان العربي الموحد المتحرر الذي تتوفر فيه منوعات الاقتصاد الاشتراكي وتتحقق فيه الديمقراطية .. فنحن الان في مرحلة تهيئة للمجتمع القومي العربي المقبل . فالرسالة العربية تجد بذورها في المرحلة السياسية والمرحلة الاقتصادية والاجتماعية ، وهذه المرحلة تجد بذورها في المرحلة السياسية . وهكذا يتجدد النضال بمراحل لكل مرحلة محتوى معين والمجموع الكلي للمراحل هو الاهداف العربية .» (٣)

ولا خوف ان ينحرف النضال بعد تحقيقه اهداف هذه المرحلة : « لان هذا النضال لم يترك المرحلة الثانية دون تحديد ، بل حددها بأنها مرحلة بناء اشتراكي ديمقراطي عام ، ولكنه ارتكز الى نقطة انطلاق وهي المشكلة السياسية ، لانه لا يمكن النضال ضد هذا الواقع بكل جوانبه وعلى كل جبهاته دفعة واحدة (١) . كما جاء في نفس الكتاب : « لا خوف على النضال الوطني الحاضر ان ينحرف او يتوقف بعد تحقيق الاهداف القريبة للمرحلة الحاضرة كما حدث في كثير من المرات للنضال الماضي ، لان النضال الحاضر يستند الى عقيدة وستقوده فئات عقائدية ، والعقيدة كل لا يتجزأ وان كانت تطبق على مراحل ، والمرحلية في النضال هي غير التجزئة في النضال ، وحين يعرف النضال مسبقا محتوى كل مرحلة لن يكون هناك خوف من الانحراف وانما ستهيء كل مرحلة للثانية ، ومجموع المراحل هو المحتوى الكلي للعقيدة في النهاية . » (٢)

بعد هذه الامثلة الواضحة في كتاب « مع القومية العربية » الذي استند اليه الكاتب في مقاله ، لست اجد تفسيرا لفهم الكاتب سياسة المراحل في النضال على أنها « الخلية التي تتوالد فيها البورجوازية » ودعوة « لجعل الشعارات المرحلية منطلقا واساسا بدل ان تكون الشعارات المرحلية تعبيرا عن موقف تواجهه الثورة » ، لست أجد تفسيرا لذلك سوى احد احتمالين : اما ان الكاتب لم يفهم محتويات الكتاب ، واما انه تعمد عدم فهمه .

ان العقيدة القومية كل لا يتجزأ ، ولكن اسلوب تحقيقها يستلزم المرحلية التي هي اتصال طبيعي وليست تقسيما مصطنعا للقضية . وان كون العقيدة القومية كل لا يتجزأ لا يعني انها كل جامد ميت ، بل على العكس وحدة حية حركية تعيش المرحلة وتتكيف بمقتضيات النضال العملي ،واذا فهمنا من الوحدة والكلية الجمود فانما نجرد العقيدة من اهم شروطها ،من علميتها وحركيتها وتطورها وقدرتها على التفاعل .. اننا نقتل العقيدة . انه جميل بل وحقنا وواجبنا ان نؤمن بالثورة العربية ونناضل لتحقيقها، وهذا مبرر وجود الانسان العربي في هذه المرحلة ، ولكن الاجمل وما هو حقنا وواجبنا بالفعل ، انا نرتفع في طريقة تفكيرنا الى مستوى الثورة، وأن نتخلص من الايمان الطفولي الذي يضعنا امام العقيدة كالطفل الصغير الحائر الذي تبهره ضخامة الشيء فلا يعرف كيف ينفذ اليه ، وأن ننزل من تخطيطاتنا النظرية الى حيز الواقع لنختبر هذه التخطيطات على ضوء النضال العملي ومدى تلاؤمها وتكيفها مع مستلزمات ظروف المرحلة التي نعيش واحتياجاتها .

دمشق

حكم دروزة

(١) نفس المصدر . صفحة ١٦٨
(٢) نفس المصدر . صفحة ١٦٩



(١) نفس المصدر .
(٢) نفس المصدر السابق
(٣) : كتاب مع القومية العربية . صفحة ١٦٧

مناقشات قومية

بين الثورة والاصلاح

بقلم فريد ابو عيطه

ان الثورة العربية الحديثة اهم واخطر ما على مواطنينا افرادا جماعات معالجته . وكل من يتحدث عن «القومية العربية» يسهم — حفزا او تعويقا — في معركة «الحياة» التي تخوضها الامة .

ان الثورة ارتداد الى الماضي وتفاعل مع الحاضر واطلال صوب المستقبل . فالثورة اذا ذات ديمومة ، اي انها مطلقة الزمان اصلا . هي ، كما «تنكمش» نحو الماضي وتحتويه، فانها تلقي بثقلها كله على المستقبل ، انها تفرغ كل ما تحتويه من شحنات ، وبذلك تحقق ذاتها ،وتعطي المرحلة التاريخية ملامحها ، وتصطلح موقتا مع نفسها . وهكذا فالثورة — عمقا زمنيا — تنبع من الازل وتنزع الى الابد ، فهي بهذا ، وبهذا وحده ، تحقق كل عمقها ، كل عنفها ، وبالتالي كل امكاناتها . هذا هو مداها الزماني ، وهذا هو مجالها الانساني .

الثورة عند تفتيشها عن «مذهبها» — لا افتعالا وانما معاناة — تقبس كل ما وصل اليه تطور الفلسفة والفكر العالمي في قمته ، في المرحلة التاريخية الراهنة ، و «تطمح» للتنبؤ بالمستقبل باستكناه ما فيه والغوص الى اعماق اعماقه . هذا هو جوهر الثورة ، وهو انساني بطبيعته .

والثورة مطلقة ايضا في مجالها المكاني . فكما تكون منفتحة على التاريخ كله زمنيا ، كذلك تنفتح لكل المكان ، لكل المجتمعات الانسانية ، في كل المعمورة . الثورة عندما تعيد خلق مجتمع من المجتمعات ، تكون مادة تجربتها كل المجتمعات الانسانية . وهي عند التطبيق والتحقيق ، لا تحذو حذو اي من هذه المجتمعات ، ولا تكون خليطا من هذه المجتمعات مجتمعة . ما وطن هذه الثورة الا «الهيولى» التي تكيفها الثورة و «تسويها» كما تشاء ، وتعطيها «الصورة» التي تحمل ملامح وقسمات الثورة . فالثورة كي تكون شاملة في المكان ، وكي لا تقع في الانعزال البارد ، «تغرف »من كل المجتمعات ، ولكنها لا تنسخ ايا منها ، ولا تلد خليطا من كل منها .انها تبدع صورتها وتخلق نفسها اصيلة نابعة من ارضها وشعبها ، والا وَلَدت سفاحا لعدم انتسابها لرحمها الحقيقي . بهذا ، وبهذا وحده ، تأخذ الثورة كل شمولها المكاني ، كل افقها وانطلاقها في الخارج .

الثورة اذا ، في جوهرها ، مطلقة الزمان والمكان ، فهي انسانية النزعة بطبيعتها ، ولا يمكن الا ان تكونها ، بمقدار ما تكون صادقة اصيلة ، غنية التفاعل والنمو .

الثورة وجوديا — عندما تبدأ في التحقق — تنتقل من الزمان المطلق والمكان الشامل ، الى زمانها الخاص ، ومكانها الخاص . زمانها الخاص هو زمان التأزم والتناقض ، هو مرحلة الثورة . ومكانها الخاص لا يكون الا الوطن الذي نبعت منه ، والشعب الذي استشعرها واحس بها . فالثورة كي تتأرخ — كي توجد تاريخيا — ، كي تنتقل الى مستوى الحدث التاريخي وتساهم في صنع التاريخ ، لا مناص لها من التحقق في بقعة الوطن ، وفي جوانح الشعب.

لكل ذلك ، وبناء عليه ، تتحقق «انسانية» الثورة «بديمومتها» زمنيا و «شمولها» مكانيا . وتتحقق ايضا «تاريخية» الثورة ، بأن لها مادتها الخاصة ، من شعب معين ووطن معين ، لانها كي تتحقق و «تنوجد» ، لا مفر لها من ان ترضى بمصيرها ، وهو انها قومية مادتها شعب ووطن لهذا الشعب . وهذا التحقق القومي لا يكون الا انساني النزعة . هذه سنة الامور ، اما كيف تنحرف الثورة ، وكيف تتشوه القومية ، وكيف ، وكيف .. فكل ذلك راجع الى مدى اصالة وصدق الثورة .

*

الحديث اعلاه موجه للكثيرين الذين يكتبون في «القومية العربية» . الذين لا يزالون يطرحون إسئلة مثل : ما هو الوطن العربي ؟ وما هي الامة العربية ؟ وما هو الشعب العربي ؟ .. الى غير ذلك من الاسئلة التي اصبحت تقليدية، والتي تعبر الان عن مرحلة انتهت في تطور الثورة العربية الحديثة .

وهو موجه للذين يعتبرون مهمتهم مجرد الرد على الاعداء ، على الاخرين الذين يحملون اتجاهات تتنافى مع «القومية العربية» . وبذلك تكون ابحاثهم دحضا لآراء القوميين السوريين ، ودعاة «اللبنانية» ، ودعاة الفرعونية ودعاة الطوائف الدينية ، وغيرهم ممن يكثرون في وطننا العربي .

وهو موجه ايضا للذين يقولون ان «مفهوم» القومية وجد في التاريخ في عصر كذا او عصر كذا ، وان القومية ظهرت بالشكل هذا او الشكل ذاك من الاشكال والصور .

وهو موجه اخيرا للذين «لا يزالون» يتساءلون عن مقومات واركان القومية : ما هي ؟ وما اهم العوامل فيها ؟ اهو عامل اللغة ام الارض ام التاريخ ؟

الحديث موجه الى كل هؤلاء ، لان رجل الشارع العربي — بمجموعه ومنذ امد غير قصير — يعرف ما هو الوطن العربي ، ويعرف ما هي الامة العربية .. ولان رجل الشارع العربي قد نبذ كل دعوة تخرج عن الوحدة القومية ، فعمليا وواقعيا لا وجود لدعوة سورية قومية او دعوة فرعونية او دعوة طائفية ما دام الشعب في منجى من الانخداع بمثل هذه الترهات . اما دعاة هذه التشوهات المنحرفون ، خاصة المتصلبون منهم ، فقد يستمر ايمانهم بالخدعة امدا طويلا .. ولا بأس في ذلك ، لان فعل اي دعوة ، في امة من الامم ، وتأثيرها في تاريخ تلك الامة ، انما يكون ، ويكون فقط بثقة يوليها الشعب لهذه الدعوة ، مما يساعدها على الانتشار ،

فالفعل في تاريخ الامة . . اما وحكم الشعب وارد واكيد ، فلا تجوز الغفلة عن شعارات المرحلة واجترار اوضاع سالفه .

والحديث أيضا موجه الى هؤلاء ، لان كل بحث في القومية يبدأ بطرح السؤال : متى ظهرت القومية ؟ ويحاول محاكمتها بالانحرافات الطارئة ، وعلى ذلك يتساءل : هل القومية انسانية ؟ ام انها قد تكون عنصرية اعتدائية ؟ . . كل بحث بهذا المستوى ، لا يكون الا انحرافا ، لانه لم يع التجربة القومية شاملة كلية ، ولا يكون الا تعويقا للعجلة ، لانها مرحلة ماتت ، وعندما نقول «ماتت» نضع نصب اعيننا أن الثورة لها طليعتها ، وان مستوى الوعي يقاس بمستوى الطليعة ، ومستوى نضال الطليعة . . شرط ان تلتحم الطليعة والشعب بالثقة والايمان المتبادلين .

وكذلك امر الذين يتساءلون عن اركان القومية وما اهم العوامل التي تفعل فيها ، اذ القومية تتخطى وتتجاوز كل الاركان وكل العوامل ، لانها وجود كامل يحوي كل شيء ولا شيء يفسره ، ويفر عن التحديد والتقييد .

*

كل هذا ، يعني ان مدرسة الاستاذ ساطع الحصري قد اتت كلها وانتهت مهمتها ، رغم انها قد ساهمت في نشر الوعي للعروبة وتفنيد حجج خصومها . وقد أخرجت المطبعة العربية اخيرا كتابا بعنوان « في القومية العربية » للاستاذ عبداللطيف شراره . والبحث في مجموع الكتاب لم يع الثورة العربية كما هي ، وكما يجب ان تكون ، وكما بامكانها ان تكون . . ولم يخرج عن عرض تقليدي لاسلوب الكثيرين الذين ورد ذكرهم ، والذين يطرحون تساؤلات قلنا انها قديمة ، وانها لا تساهم — في المرحلة الحاضرة — لا في اتقاد الثورة ولا في اعطائها اسلحتها الحقيقية .

وقد نشر الاستاذ شراره في الفترة الاخيرة عدة مقالات هاجم فيها الذين يدعون لحضارة عربية انسانية جديدة ، ويقولون ان هذه الحضارة لا بد لها من مسايرة تطور الفكر العالمي وما تدور في كنفه من معتقدات ومذاهب ومدارس فكرية ، لكي تأخذ الحضارة العربية الجديدة عمقها الزماني وافقها المكاني ، وبالتالي كي تكون لها هويتها وشخصيتها وانفتاحها الفني على التاريخ وعلى العالم . وكانت حجة الاستاذ في ابحاثه السابقة ، وفي كتابه الاخير ، ان يترك الواقع العربي الفني المتطور ، في تلقائيته وعفويته كي يحقق امكاناته في التحرر السياسي اولا ، ومن ثم تنبعث وحدها الفلسفة ، ان كان لا بد منها ، معبرة عن هذا الواقع . وقال الاستاذ اننا لا نستطيع ان نطلب فلسفة عربية كما نطلب الحلية انفعالا ببقية المجتمعات في العالم .

« اكبر الظن ان المقارنة بين العرب وغيرهم من الشعوب ، هي التي تهيب ببعض المفكرين الى (نشدان) فلسفة عربية خالصة في عروبتها ، لتحل محل الفلسفات والنظريات الحديثة الاخرى ، ونتقدم بها نحن العرب للعالم » — في القومية العربية ، ص ١١٦ .

ويقول الاستاذ عن عملية البحث عن فلسفة ، « انها صبيانية لانها لا تفكر جديا في العوامل التي تتكون وتتجمع وتتبلور على مدى الزمن وتؤدي اخيرا بصورة عفوية طبيعية الى نشوء فلسفة . . . ولانها تفترض اخيرا ، في (الفلسفة المنشودة) مقدرة خاصة على تأييد حزب ، او مقاومة عقيدة ، او سحق جماعة ، وبذا تحكم بفكرة سابقة ، على هذه الفلسفة كيف تكون ، او كيف يجب أن تكون » — ص ١١٧

نرى هنا ، ان الخلاف يدور حول : كيف تنشأ فلسفة في مجتمع ؟ ويظهر ان الاستاذ شراره لم يتصور تماما ما يقصده القائلون بفلسفة عربية او مذهب عربي ينبع من صميم المجتمع العربي والثورة العربية ليعبر عن هويتها وشخصيتها وموقفها من المذاهب الاخرى في العالم . فهل يقصد بهذا الكلام ان نطلب الفلسفة طلبا ، ونحلي المجتمع العربي بحلية المذهب اعتباطا وانفعالا ببقية المجتمعات العالمية ؟ ام يعني هذا الكلام ، اننا في مستوى « العقل » افصحنا عن هذه الحاجة الملحة ، او عن هذا التأزم ، واننا في مستوى « الارادة » نريد هذا ، ونبحث عنه ، ونعمل من اجله ؟ اما الامة العربية ، وهي تعبر عن ذاتها ، وتحقق ثورتها وامكاناتها ، وتخلق مجتمعها وانسانيتها ، فانها مسؤولة دوما ، وفي كل حين ، امام نفسها وامام العالم والتاريخ عن صدق وواقعية وشمول تجربة الثورة التي تخوضها ، والتي هي لا ملك لها وحدها ، انما ملك للتاريخ ولكل البشر .

لهذا قد تأتي طليعة فتفصح وتعبر في مستوى العقل عن حاجة الامة لاتجاهها الخاص في التاريخ ، لفلسفتها ولمذهبها ، ولكن هذا لا يعني ابدا ان الامة مطالبة بالاعتباط والضياع وتبني ما هب ودب من افكار ومذاهب . . ان عمق وشمول الثورة العربية ان تسلحها بعمقها الزماني وافقها المكاني ، وان الوعي الكامل للثورة الذي يخلق ثائرين حقيقيين ، لهو وحده ، ووحده دوما ، المحك لصدق واصالة الثورة ، وبالتالي المحك لصدق واصالة ما تبدع من فلسفات ومذاهب وافكار .

ولا يمكن ان يفترض في فلسفة منشوده مقدرة خاصة على تأييد حزب ، او مقاومة عقيدة ، او سحق جماعة — كما يتخوف المؤلف — لانها عندها تكون تشوها سلبيا وانفعالا اعتباطيا ، وتكون لا موقفا انما انفعالا بموقف ، لا حرية انسانية انما عبودية لظرف خارجي طاريء . . . ولانها اخيرا لا تفترق عن اسلوب المعتقدات والافكار المصطنعة التي لفظها الشعب العربي . لكل هذا ، لا يمكن ان تكون عربية ، وتفقد كونها فلسفة حقيقية .

ولكن يظهر ان الاستاذ شراره لا يريد فقط ان تترك الامة في تلقائيتها الواقعية لتبدع الفلسفة التي تريد ، فهو يتوهم الامة بطابع ذهني ثابت واسلوب تفكير محدد ، ورد على

الاحداث هوهو على مدى الايام والعصور ... وهكذا يؤيد وجهة نظر من يقولون بروح خالدة ثابتة لهذا الشعب او ذاك . انه يغوص في الماضي ، وعليه يقيم الحاضر ، ويبني للمستقبل ، « هذه الانسانية التي تغلف القومية العربية ككل .. تجعل للقومية العربية صفة فلسفية ضمنية،تتصف بها الشخصيةالقومية للعربعن غيروعي فلسفياو بحثنظري، فالعرب ... » ، وهنا يستشهد بابن المقفع ثم يقول « كانوا ولا يزالون يفضلون الواقع على كل فلسفة ، وكل نظرية ، في ادراكهم للحقائق، وتصورهم للمستقبل» ص١١٤و١١٥ .

هذا الكلام يعبر عن واقع عربي تاريخي ، ويميز العرب بانهم ذوو شخصية تتعامل مع النسيج الحي ، مع التجسد الواقعي الحياتي ،قبل اهتمامهم بمجال الافكار والنظريات والفلسفات المجردة الباردة الناقدة للدفء والانسياب . لكن هذا لا يعني ابدا ان العرب غير مطالبين الان بالوعي الفكري والعقل المكتشف المتحكم ، ولا يعني ابدا عدم الخروج من سديمية الواقع المتخثر الى الوضوح والعقلية والتحكم الارادي في الخلق والابداع لحضارتهم الجديدة ولمذهبهم الجديد .

ولكن يظهر ان ما يأتينا به الاستاذ اخيرا انما يفسر « عدم واقعيته » ــ رغم ايمانه بالواقع ــ ، ويلقي ضوءاً على عدم الوضوح الكامل للثورة العربية في جوهرها الانساني ، وفي تجربة وجودها الشاملة .. ولهذا لم يعجبه الكلام عن النزوع لفلسفة المرحلة العربية .

« وحل المشكلة السياسية ــ وهي اعظم واشمل مشكلة ــ يسوق حتما الى التفكير في المشاكل الفرعية الاخرى ، وعليه يتوقف مصير الحضارة العربية ، ومن ثمة مصير الحضارة الانسانية برمتها » ص ١١٧ .

اذا يرى الاستاذ ان المشكلة السياسية هي ام المشاكل واساسها ــ ومثله كثيرون يرون هذا عن حسن نية ــ وهذا ادى الى اهتمامه بالتحرر السياسي للعرب اولا ، على ان تأتي بعد ذلك المضامين الاخرى لحضارتهم ... وهذا ناشيء عن تصور جزئي جانبي للازمة العربية ، ينفي عنها كونها ازمة وجود شامل للحياة العربية كلها ، فالثورة العربية الحديثة ترفض الوجود العربي ، اي ترفض الواقع وتتعالى عليه وتتحداه ، وهي تطمح لخلق حياة جديدة ترضيها ،ولا ترجع او تعود للواقع ألا عودة ظافرة تبدأ من الواقع لانه مادتها ولكنها تتخطاه ، لانها عند تحققها الوجودي لا بد لها من هذا الهيولي لتعيد تشكيل صورته .

ان الواقع العربي ، اهانة تتحدى كرامة العربي ، وسلاح العربي في رده الانساني ، انما هو (المروءة) التي تتخطى كل المعوقات والعقبات والتي لا تقيم الانسان العربي بما هو كائن فحسب ، أو بما كان فحسب ، وانما تقيم « حقيقته » ، بما يجب ان يكون ، وبما بامكانه ان يكون .

الامة العربية مطالبة بالرد الايجابي الخلاق على تحديات العصر وتحديات وحشية الاستعمار والاستثمار والتمزق ، ولا يكفيها مطلقا ان نقول ان الكاتب الاجنبي الفلاني قال كذا عن العرب ــ كما جاء في كتاب الاستاذ ــ ... من هنا نلتزم وتنبع مسؤوليتنا وينبع اسلوب محاكمتنا للامور ، حتى نستطيع ان نقول ان كل معالجة قومية لا تعي ثورية المحصلة الانقلابية التي تريد اختصار قرون من الضياع والالم ، ولا ترتفع الى مستوى الازمة العربية .. تفقد هدفها كحافز ومحرض للنضال .

*

وكل ما سبق في البحث ، انما يوضح ويبين الفرق الاكيد والخط الواضح الذي يفصل الثورة عن الاصلاح . فعندما نحاكم امر الثورة برأي الفرد العادي لا فرد الطليعة ، وعندما نريد الثورة تلقائية عضوية ، وعندما نهمل واقعيتها الشاملة ونعزلها عن تطور العالم .. وعندما نكتفي بالرد السلبي التقليدي على اعداء الثورة .. عند كل ذلك ، نجزيء الازمة العربية ، فنتصورها سياسية ، ولا يمكن ان تكون بالتالي الا انصارا للاصلاح والتطور البطيء .

اما والازمة ازمة وجود شامل ، لا ازمة سياسية فحسب فالثورة قدرها ومصيرها ان تحمل العمق الزماني والافق المكاني ، ان تعانق الديمومة وان تتنفس كل الاجواء ... بهذا وحده « تنخلق » و « تتوجد » واقعا قوميا عربيا بتعاملها الفني الخلاق مع الواقع العربي الراهن .

الكويت　　　　فريد ابو عيطه

عيد الميلاد لسنة ١٩٥٨

لمحته يسير ، في المساء
بسمته المهيب ..
بوجهه الحبيب ..
ونظرتاه ، مُدَّتا ضياء ..
ومن ورائه ينوِّر الصليب

✶

وحيث سار غنت الطيور ..
وغردت بلابل الحقول ..
وطأطأت ذوائب الشجر ..
وشاع صوته العميق ..
كأنه نغم ..
يحفه العذاب ، والالم ..
« المجد للاله ، في السماء ..
« والارض للذين يعشقون ..
« وينشرون الحب،حيث يخطرون ..
« طوبى لصانعي السلام ..
« فانهم شبيبة الاله ..
« ووارثوه في الحياه » ..

✶

« المجد للاله في السماء ..
« والنصر للبشر ..
« ما اجمل الحياة، في حمى السلام ..
« واعين الرجال والنساء ..
« تشع بالغرام ..
« كم أعشق البشر ..
« كم اعشق السلام في الجنوب ..
« والامن في القلوب ..
« والحب في العيون ..

✶

« المجد للاله في السماء ..
« والفرح للاطفال في الحياه ..
« ما اروع الصغار حين يلعبون ..
« كأنهم ارانب صغيره ..
« تفر في جوانب الحقول ..
« عيونها تشع بالصفاء
« وتقرض الاعشاب في هناء ..
« الابيض الصغير ..
« والاسود الجميل، قرب بعض ..
« ما ثم من فروق » ..

✶

« المجد للاله في السماء ..
« والنور للجميع، في الوجود ..
« لا تشعلوا الوقود ..
« الا لكيما تنضجوا الطعام ..
« وتصنعوا الكساء ..
« الا لكيما تنشروا الضياء ..
« ولتصبح الحياة جنة البشر ..
« شلت يد الذين ينفخون في اللهيب ..
« ليصنعوا الدمار ..
« ويشعلوا الحريق ..
« ويهدموا البيوت ..
« ويسملوا العيون ..

✶

« المجد للاله في السماء ..
« والنصر للذين يصنعون ..
« الحب والسلام ..
« والامن والرخاء ..
« ليولد الرجاء ..
« في الارض ، من جديد » ..

✶

وغاب في الشعاع ..
كأنه ما كان ..
ولم يزل على الافق ..
ينور الصليب ..
يعانق الوجود في حنان ..

✶

لمحته يسير ..
بليلة الميلاد ..
ومنذ ان لمحته لم اعرف الرقاد ..
حالفني السهاد ..
ومثلما قد هزني مرآه ..
وسرني بهاه ..
وانعشتني نبرة الحنان في كلامه ..
قد افزعتني ومضة غريبه ..
وعذبتني دمعة كئيبه ..
فاضت بها عيناه ..
وكان يبدو انه حزين ..
وأن قلبه طعين ..
وكان ثم نقطة حمراء ..
تزين الرداء ..
كانت تنور السماء ..
وتبعث الحياة في المساء ..
برغم كل شيء ..

✶

الناس في المساء يرقصون ..
ويمرح الاطفال ، في صفاء ..
لكن في العيون ..
ورغم كل شيء ..
ورغم ليلة الميلاد والاضواء ..
يلوح طيف حزن ..
ولمحة من الالم ..
تنساب في صدى النغم ..
ولم يزل بسمته المهيب ..
ووجهه الحبيب ..
يرن صوته العميق ..
كأنه نغم ..
« المجد للاله في السماء ..
« والارض للذين يعشقون ..
« وينشرون الحب حيث يخطرون ..
« طوبى لصانعي السلام ..

عبد المنعم عواد يوسف القاهرة

مُناقشَات

هجاء أم نقد !

بقلم مطاع صفدي

تناول الاستاذ حافظ الجمالي بالنقد مقالي (نحو تجربة قومية)المنشور في العدد الفائت من «الآداب» ولا استطيع ان امر على نقده دون ان اعلق على الاحكام الاعتباطية الاجمالية التي رمى بها المقال ، من حيث الاسلوب ومن حيث المضمون .

اما من حيث الاسلوب فهو يجده مستعارا من سارتر او ميرلو بونتي او سيمون دو بوفوار . وليته بين حقا نقاط التشابه او الاستعارة ! غير ان المشكلة كلها ليست في هذا المستوى الذي اراد ان يضعها فيه الاستاذ الناقد . ان ثورته المتعجلة تلك تتوجه خاصة نحو الاسلوب الفلسفي الذي عرض فيه المقال ..

واني لأجدني بدوري اوجه اليه العتب لكونه في مثل هذا العنف السلبي ضد محاولة للنظر في قضايانا القومية من غير الوجهة العاطفية او الشعارية او اللفظية السياسية . والاستاذ الجمالي يعلم حقا انللعقل دوره في كل شأن من شؤون حياتنا .. وأن الكلام او الكتابة او الخطابة من اجل التأثير الموقت ، لا يعني ان المشكلة القومية قد استنفذت بكاملها ، وان الحقيقة قد قيلت كلها .

ايكون الاستاذ ضد البحث الفلسفي في القضية القومية اذن ؟

انا لا اميل الى هذا الاعتقاد بذلك ، كما انني لا اصدق ان الاستاذ يؤمن بأنه يجب ان تهمل الفلسفة لسبب واحد هو انها ذات اسلوب معقد يتعب المتعبين او يعجز فهم العدد الاكبر من القراء .اما المتعبون فلا حاجة لهم الى اية قراءة كانت . واما سواد القراء فلا تطمع الفلسفة ان تكتسبهم كلهم مباشرة الى صفها .. اذ الفلسفة ليستدعاوة انتخابية ، ولا افتتاحية صحفية ، ولا قصيدة مراهقة او حكاية للخياليين..

واذا كان الاستاذ يخشى على القضية القومية من غموض اسلوب الفلسفة وتعقيده فانني ارده الى الالوف المؤلفة من شبابنا المثقف الذي ما عاد يتأثر باللفظية والعاطفية والشعارية في تفكيره القومي ، وانه اصبح يطمح الى فلسفة تتجاوب مع ثقافته واتساع نظرياته .. فلسفة تعطيه التبرير العميق كانسان ثوري .. يطرح جميع مشاكل الوجود على هذا المستوى . ان الوطنية الفوغائية لم تعد تعادل شخصية شعبنا وطليعته الواعية .. وما الوطنية او القومية الا موقف خارجي ضمن مناسبات معينة يجب ان يعكس اصالة الانسان النابع عنه .. بحسب التجربة القومية يمكن ان نعالج خلق انساننا العربي الجديد ، لا انسان النيابات والتظاهرات، ولكن الانسان الصانع الحقيقي لتاريخنا الحديث .. بحسب توتر هذه التجربة ومسؤوليتها الانسانية تبرز لنا اعمق قضايا الانسان منالمستوى الميتافيزيقي الى المستوى الاجتماعي الاخلاقي المباشر .. واذا كان الاستاذ يظن ان التشدق بالفلسفة ما هو الا ستار تصطنعه شخصية ضعيفة لتغطية ارتباكها .. وأنها ليست حاجة اساسية فكرية وجودية للانسان الذي يحاول ان يعي نفسه وان يجدد هذا الوعي ليخلق ذاته مرة بعد مرة ، فانه كان عليه هو قبل غيره ان يتنصل من هذه الصفة التي عرفت عنه وهو انه استاذ فلسفة ومرب قومي ..

لا اشك ان الاستاذ الكريم يأبى ان نصوره من خلال موقف المهاجم المتجني على الفلسفة .. كما يتجنى آخرون من عوام الكتاب والقراء عندما يعجزون عن فهم اسلوبها فيرمونها بالعقم والغموض

وأنا اعتقد أن هذه التهم هي من تلك التهم التي فيها اصحابها يدافعون عن قصورهم من حيث هم مهاجمون .

وأني لاجل الاستاذ عن ان يكون واحدا منهم !

واما احتجاج الاستاذ بان مثل هذا الاسلوب لو استعمله رائد البعث لما كان اليوم شيء اسمه (البعث العربي) .. كذلك أجله عن ان يكون متمسكا حقا بهذا القول !..

لقد قال رائد البعث عن نفسه انه يشق الطريق ولا يعبده . وعلىهذا فان وسائل الشق ليست هي وسائل التعبيد .. فالبعث ما هو الا انطلاقة الانشاء في جميع نواحي الحياة .. والتعميق الوجودي لموقف الانسان العربي انشاء آخر في مستواه الخاص . ولا اعتقد ان حضارة من الحضارات قامت فقط على السياسة دون الفكر والعلم والفن . ومثل هذا المقال لا يدعي انه يؤسس فكر حضارتنا الجديدة .. انه محاولة ، فيها الخطأ والصواب ، في هذا الطريق ..

ومع هذا فلسنا الان في مجال الدفاع عن الفكر او الفلسفة .. ولكن كل ما أحببت ان ارد به على الاستاذ هو انه اذا كان في اسلوب المقال بعض الغموض والصعوبة ، فان مثل هذا الغموض له مبرراته ، وجزء منها يعود الى اننا لا نجد بعد عادات فكرية سابقة في اذهاننا تساعدنا على فهم هذه الكتابات الجديدة كما لدينا مثلا عادات شعرية او قصصية ادبية . ثم ان لغتنا لم تألف بعد مصطلحات الفلسفة الحديثة .. ولا ننس ان هذه ليست سوى محاولة اولية لا تدعي الكمال كما لا تستحق الحنق والغضب الذي لا ينسجم مع الروح الموضوعيةاو الفلسفية التيكان على الناقد ان يتحلى بها ..

وينتقد الاستاذ كذلك المحتوى ويرى انه متناقض مع ذاته ، ويأتي بمثالين ليبين كيف انني ارد التجربة القومية تارة الى الحدس وتارة الى الاستنباط وهما متعارضان في حد ذاتهما (وحبذا لو ان الاستاذ شفع جميع اجزاء نقده بمثل هذه الامثلة لبرهن فعلا عن موضوعية واضحة) .

وأقول ان المناطقة يوافقونني على اعتبار الحدس معرفة اولية مباشرة تمهد عادة للاستنباط العقلي او انها تربط بين احكامه . ومعنى هذا ان التعارض بينهما ظاهري او على الاقل نظري لتسهيل الدراسة فحسب.

وفي الواقع فان الحدس يكفل للاستدلال واقعيته ، لارتباطهبموضوعات الحس ، ويكفل كذلك صدقه وتطابقه مع الواقع . كما ان الحدس وحده لا يشكل معرفة عقلية فلسفية او علمية ان لم يتبع بالاستنباط العقلي والبحث الاستدلالي .

ولا ادري كيف ان الاستاذ الجمالي قد فرض علي فهمه الخاص . فهو يجزم انني انفي عن التجربة امكان ايحائها بالمقياس الذي يقيمها بينما هو اورد لي جملة واضحة في هذا الشأن . فالمقياس تشف عنه التجربة

ولكنه لا يمكن ان يبقى مغمورا تحت احداثها وتطوراتها والا لانتفى دور الوعي فيها . ان هذا المقياس يجب ان ينطلق من التجربة وان يتعالى عليها في الوقت ذاته . .

وأحب الا (ينكت) الاستاذ في هذا المجال فيقول عني انني هيجلي او غير ذلك . ففي الفلسفة حقائق ليست ملكا لاحد . واذا كان عملنا النقدي يحتم علينا تشريح الاثر الفكري ومحاولة ارجاعه جزءا فجزءا الى مفكرين وأصول متباعدة كنا كمن يبحث في كل انسان عن جميع آثار اصوله الانسانية منذ جذره الحيواني .. وتلك عادة نقدية بطلت ! فالفلسفة في كل تعبير لها تتضمن كل الفلسفة كما يتضمن استاذنا ذاته جميع قراءاته على الاقل ـ بالقوة ـ على لغة ارسطو .

وقد اتهمني انني اطلب مقياسا للتجربة سابقا عليها ، ثم ها هو يفاجأ الان بنص واضح ابين فيه عكس ما تصور حضرته :

« ان هذا المقياس في الواقع هو الذي يؤلف المشكلة الحقيقية في فهمنا التجربة القومية .. ولكن لنبين ان هذا المقياس ليس شيئا متعاليا عن التجربة ذاتها ، وليس هو ابدا من مستوى المنطق العقلي الصرف ».

فماذا فهم الاستاذ من هذا التعبير ؟ سامحه الله .. فلو لم يفترض في نصوص اخرى انني اجعل المقياس سابقا على التجربة ، لما جعل هذا التعبير يناقض تلك النصوص ، انه يناقض فروضه الخاطئة وحدها .

ومع ذلك فانني احب ان اوضح هذه النقطة : فانا اولا لا اخترع ولا ابني مذهبا صوريا ، وكان دأبي في كل بحث فكري قومي ان اصف البنية الداخلية للتجربة القومية وهي في حدود الواقع ، ضمن صدور الذين يعانونها من خلال خبراتهم النضالية ومدارها مع ثقافتهم وميولهم الذاتية . ولذلك كنت اصف المشكلة ، وهي أننا ونحن في غمار التجربة القومية نستشعر بضرورة وضوح المقياس الذي بموجبه نقيم تطوراتها ونموها ووقائعها ، فهو مقياس توصي بضرورته التجربة ذاتها !.. انه منها ، ومع ذلك يجب ان يعلو فوقها ... والسبب هنا منطقي صرف اذ لا يقبل العقل ان يكون المقياس لاحقا بالتجربة وليس سابقا عليها كجميع القيم الاخلاقية ..! انها توجد ـ في حدود العقل النظري على الاقل ـ قبل ان توجد الافعال التي ستقدرها بحسب انطباقها على الخير او الشر . ولكن من جهة ثانية فان منطق التجربة الحية يمنع تكوين مثل هذا المقياس . لان المقياس ذاته نسبي وهو نتيجة حوار واقع التجربة مع الوعي المتحد بها .. واقع التجربة لا يدرس من خلال المنطق الصوري الذي يناقشني بموجبه الاستاذ الجمالي .. فهو لا يخضع للوحدة الصورية ولا يبدو للعقل ضمن اطار البساطة والسكون .. هو واقع متناقض في حد ذاته، ووحدته او مقياسه يقوم على مدى الاصالة الحية في معاناة التجربة والتقدم بحسب منطقها الحي الخاص بها .

وأما حكاية الاثبات والنفي ، او اللعبة الهيجلية المشهورة ، والتي جسمها هنا له خياله الواسع والتي لم يستطع ان يأتي عنها الا بهذا المثال الذي اوردناه منذ قليل ـ وهو مسألة استباق المقياس للتجربة او عدمه ـ فان الرد عليها قائم في دحض ذلك المثال ولا احب التكرار ، كما يحبه الاستاذ الناقد .

ثم يورد الناقد مثالا آخر وهو هذا النص :

« كان مقياس الاصالة ، مقياس تمثل الفرد للتجربة القومية عند جاهليتنا ، واضحا مشخصا في الابعاد اليومية لحياته . بل كانت التجربة نوعا من التلقي الطيب لنزوع الذات ولتجسيم الجماعة لهذا النزوع، ضمن نموذج من الوجود » .

ويعيب الاستاذ علي ـ باسم المنطق الصوري الصرف تماما ـ انني ناقضت هذا الوصف عندما قلت ان الجاهلي كان يحمل الى جانب هذا الانسجام بذرة القلق ، وعنيت بها القلق من اجل الطرف الثاني المفقود من التجربة الجاهلية وهو الميتافيزيك ، التي رمزت اليها بلفظة الحاء ، ولا اعتقد ان الناقد يتجاهل الواقع العربي آنذاك ، وهل من انسان يتطور نحو اصالته يمكنه ان يغفل الجانب الميتافيزيقي من وجوده . ثم العرب حينئذ كانوا يجوزون مرحلة الشباب الى النضج .. والخروج من الشاعرية والتمركزية الذاتية الى نوع من التأمل في الوجود بشكله العام وسفورهم برسالتهم ... اكان يعقل برأي الناقد الواعي ان ينتقل العربي من الجاهلية الى الاسلام دون ان يكون الاسلام ذاته يتضمنه منطق التطور الروحي في بنية التجربة القومية ؟

ومن العجيب بعد هذه الشتائم ، ان يتذكر الاستاذ بعض واجبات المجاملة فيطري (القدرة الفنية التي يملكها الكاتب بالتعبير والتحليل معا !) وهو اعتراف لا يضن به الاستاذ على الكاتب ، خاصة وانه ربما شعر انه كان حقا امام عمل جدي اكثر مما فعل هو .

دمشق **مطاع صفدي**

الشعر الجديد بين النظرية والتطبيق

بقلم حسن فتح الباب

قرأت التعقيب المنشور في العدد الماضي من الاداب عن قصيدتي «دم على البحيرة » ، وقد حاولت جاهدا ان اتعرف على اصول المنهج النقدي الذي يترسمه الاستاذ عبد اللطيف شرارة فيما يلقي من نظرات على الشعر .

ما هي القيم الفنية الحقيقية التي يؤمن بها ويدعو اليها في نقده؟

ما هو موقفه من الشعر الجديد وقد اثارت قضيته جدلا شديدا بين الادباء والنقاد انحسرت موجاته المتصارعة عن انتصاره وتثبيته مكانته في

الحركة الادبية المعاصرة ، ولم يعد ناقد واحد مؤمن بشرف رسالته يجد في نفسه القدرة قلى مجابهة تيار الشعر الحر بعد ان اكتسح ما اعترضه من تقاليد جامدة وأرسى دعامته على قواعد مستحدثة من علوم الجمال والنفس والبلاغة واحتفظ بأروع ما في تراثنا القديم وأسهم من تطوير قيمنا الثقافية ودفع الموكب الحضاري خطوات صاعدة في سبيل مستقبل الانسان .

لقد استهل الناقد الفاضل تعليقه على قصائد العدد بمقدمة عن الانقلاب الذي احدثه شعراء العرب المحدثون في نزعتهم الجديدة مقررا اهميته بالنسبة لوظيفة الشعر ومفهوم الشاعرية ، غير ان قلمه السيال لم يحدد لنا حقيقة التطور الذي استحدثه شعراؤنا المجددون ، هذا التطور الذي استوعب الاتجاه والقالب والمضمون جميعا .

وقد لخص الناقد نظرته في نوعية هذا التغيير بنقطة واحدة وهي الثورة على الماضي . غير ان دراسة التاريخ الادبي لشعرنا العربي وللشعر العالمي عامة تكشف لنا ان الثورة على الماضي تطبع جميع العصور التي ازدهر فيها الادب في مختلف العهود ، اما طابع تلك الثورة الخاص وانبثاقه من واقع الصراع في زمنه فهو الذي يميز النتاج الادبي في كل مرحلة تاريخية عن الاخرى .

وليس صحيحا ما قرره الاستاذ شراره من ان الشعراء المحدثين قد تجاوزوا الوظيفة الكلاسيكية المعروفة ليلبسوا معاطف القضاة وجلابيب الفلاسفة ، فالشعراء لا يصدرون احكاما ولا يشرحون قضايا فلسفية ، انهم يتمثلون روح العصر الذي يعيشون فيه ويستوعبون اتجاهه المتطور عبر التاريخ ، ويستشفون حقيقة الصراع الذي ترتاده مجتمعاتهم ، وهم يعكسون في آثارهم الفنية اعماق هذا الوقع من خلال التعبير عن تجاربهم النابعة من صميم الحياة ، كما انهم يطورون الواقع بكشفهم عن النوازع الحقيقية التي يشاركون فيها شعوبهم ، ويتم هذا الكشف بطريقة عفوية تستقيم مع اصول عملية الخلق الفني ، كما أن عملية التطوير تستند على ركائز البصيرة الواعية بالتاريخ البشري الممتد منذ اقدم الحضارات حتى حاضرنا الذي يحمل في طياته بذور عالم جديد ، ومن الموهبة المتقدة الغنية بعناصر الابداع في التعبير والتصوير .

وليست وظيفة الشعراء ان يصطنعوا احكاما او يستحدثوا فلسفة فهم ابناء عصرهم الذين يصدرون في انتاجهم عن المشاعر الجماعية المتبلورة في تجاربهم الفردية ، والشخوص التي يتناولونها بادواتهم الفنية نماذج متخيرة تصدق في تعبيرها عن تيار الجموع .

ولست في حاجة الى شرح معايير التفرقة بين الشعر والفلسفة ، فقد اجمع النقاد المشتغلون بدراسة التراث الادبي على ان الشعر يستكشف الاتجاه العام وهو يتناول النموذج الخاص ، على حين ان الفلسفة تعرض القضايا العامة ثم تستنبط الاتجاه العام وهو يتناول النموذج الخاص ، على حين ان الفلسفة تعرض القضايا العامة ثم تستنبط منها الحلول والقوانين التي تنطبق على الفرد ، وبعبارة اخرى فان هدف الشاعر هو تصوير تجربة فرد او مجموعة من الافراد تصويرا فنيا يعمق احساسنا بالحياة ويربطنا بواقعنا العام ، اما هدف الفيلسوف فهو البحث عن القوانين التي تهيمن على المجتمع البشري حتى يستفاد منها في معالجة القضايا الفردية .

ومفهوم الجمال الفني عند ناقدنا يتركز في الافصاح والايضاح وهو يوجز وصفه للاثر الفني بانه قطعة بيانية وينأى بقصيدتي « دم على البحيرة » عن شرف الانتساب الى ادب البيان الذي يدعو اليه ، وهو يحتج لرأيه بان الاسلوب الذي افرغت فيه القصيدة (لا يمكن لقراء الكتب من طلاب المدارس ان يشعروا بجماله او يفيدوا من صورة والوانه ، وان الافضا لهم ان يقرأوا حكاية القصيدة في اسلوب نثرى بسيط)

ولست ادري كيف اتفق للناقد ان يستشعر غنى الموضوع وفقر الاسلوب الشعري في آن واحد ، ولعل مرد ذلك انه اقام حدودا فاصلة بين الشكل والمضمون،وهي قضية اخرى شغلت النقاد حينا ثم تلاقت نظرتهم في ارتباطهما معا ارتباطا عضويا ، فالشكل الرديء ينعكس تلقائيا على المحتوى وينحرف به عن اتجاهه الاصيل ، وعملية الخلق لا تتجزأ وهي تتم في لحظة وقتية واحدة ، وما احسب الناقد الفاضل يذهب الى ان الشاعر يرتب امامه مجموعة من الافكار التي تستهويه في نسق حسابي منظم ثم يلبسها مجموعة اخرى من الالفاظ والتراكيب في معاطف او جلابيب على حد تعبيره ، فالشاعر لا يعمد الى تصيد قائمة من المعاني ثم يجري خلف الصور والتعبيرات الملائمة لها ليفرغها فيها بل ان عملية اخراج الاثر الفني للشاعر تتمثل الموضوع والاسلوب في زمن لا يتعدد فهو لا يبحث عن الاول حتى اذا اهتدى اليه ولى وجهه الى الاخر ، فالشعر دفقة احساسية واعية والشاعر ينفعل بفكرته المندمجة في الصورة حين يكون مهيأ للتعبير عن تجربة .

وحين ينفعل الاستاذ شراره بموضوع قصيدة (دم على البحيرة) ويستشعر خصوبته فلا بد ان يكون اندماج الشكل والمضمون هو الذي حرك انفعاله فلولا ارتفاع الشكل الى مستوى المحتوى لجاء الاخير باردا فقيرا مهما كانت اهميته .

لقد وددت ان يشير الناقد الكريم الى الطريقة المثلى التي يريد ان يختطها الشاعر لتصوير تجربة انسانية عبرت عنها مستخدما القصص والنقلة من جو الى جو في شحنات منفعلة بالحدث . وناقدنا قد اقر غنى الموضوع فهو لم يفتقد اذن صدق التجربة ولا حرارتها واصالتها ، ولكنه افتقد « شيئا من الوزن والقافية وتردد مواقع السكوت في تقاطيع

القصيدة » ، وهو امر عجيب فالقصيدة لم تتجاوز حدود الوزن العربي ولم يختلف مقطع واحد فيها او تنبُ موسيقاه ، وقد فرغنا من كفاية التفعيلة الواحدة كاساس للوزن العروضي في الشعر الجديد ، اما القافية فقد طرحناها جانبا ، ولم تعد ركيزة شعرنا في بناء القصيدة ، وانما هي احدى الوسائل التي يستعان بها في الصياغة والوقع الموسيقي، وقد يستغنى عنها حين لا تدعو الحاجة اليها او حين يوجد لها بديل من ضروب الادوات الفنية الاخرى ، والموسيقى التي تميز الشعر الجديد نابعة من داخل التجربة ، من توهجها وشفافيتها ونموها ــ

وهذا الموقف الذي يلتزمه الناقد يتناقض مع وجهته في النظر الى الشعر الجديد نظرة متفهم له مقدر لخصائصه ، فهو يناقش هذا الشعر في صدر تعليقه بقلم احد المؤيدين له والمنافحين عن القيم الجديدة التي اضافها الى تراثنا الادبي .

وليس موضوع القصيدة كما اوجزه التعليق قصة صياد قتل وهو يبحث عن رزمة ، انها صورة صراع دموي من اجل الصيد اسفر عن مقتل رفاق احياء من اهل القرية رجالا ونساء :

لم يحك رجال في عودتهم
عن مصرع فتيان كانوا اصفى
من حبات ندى فوق شراع
لم يحكو الا عن اطفال غرقوا
صرعى الآباء
وجدوا غرماء في الصيد
غرسوا احقاد الابناء

والشخصية النموذجية التي اخترتها لا تحكى قصة صياد قتيل ، فقد رسمت ملامح صياد من القرية يرتفع ــ في هداة الليل ــ صوته اكليل ليسد طريق المأساة في دوامة الصراع ، ويدعو في ضراعة مسيح الى احتمال شظف العيش بعيدا عن معترك الدم ، وتشحذ نذره الجو بشحنة من القلق والتوتر وهول الواقع المرير المتربص بالاحياء قبل ان يقتحم عالمهم الصغير بضراوته اللا انسانية هذا الواقع المرير الذي يتمخض عنه التناحر على العيش .

وكان تحقق النذر حتميا لان الصراع محتوم ما دامت البحيرة هي المورد الوحيد لاهل القرية ، وقد جعل منها بعض الصيادين المجاورين اقطاعا لهم ومكنوا له بالقوة والقهر فاقاموا جسرا يكثر عنده السمك الرابض في اعماق البحيرة ابقاء لسيطرتهم ودوام استغلالهم ، فكان لا بد ان يثور المستضعفون وان يرتطم كفاحهم المستميت في سبيل الرزق بسيل الدم المهدور .

ولو انني استجبت لناقدي الناصح الامين فسردت كما شاء في اسلوب حكاية بسيطة تزينها القافية وترداد مواقع السكوت لاهدرت قيمة العمل الفني وابتذلت التجربة ، اما الترداد فقد استخدمته في موضعه حين ختمت القصيدة كما بدأت بصيحة النذير الى اهل القرية الا يجعلوا طريقهم الى الحياة مخضبا بدماء ضحاياهم .

وقد كان احرى بالناقد الكبير ان يتناول التجربة الشعرية تناولا موضوعيا فيكشف عن الاصول الفنية التي تستلزمها الطريقة التي انتهجتها ، ويبين ما اذا كانت العناصر التي قام عليها البناء الشعري اصيلة تعمق المضمون وتضيء جوانبه ام هي عناصر معتسفة من الخارج تعطل عملية التلقي والتذوق عن القارىء وتشى بقصور الرؤية الفنية ، ولو انه فعل لما شغلنا بالحسرة على افتقاده في تقاطيع القصيدة شيئا من الوزن والقافية ...
ان مفاهيم الناقد عبد اللطيف شراره في حاجة الى مناقشة ومراجعة ، وهو ــ فيما يبدو من كتابته النقدية ــ يضع يده على رصيد ادبي وفني مختلط المصادر والقيم ، ويعوزه التمحيص والتقويم كما يحدده التطبيق فهو المحك الذي يزن النظريات ويجلو غوامضها ويبين مااشتملت عليه من زيف او حقيقة وهو اخيرا الذي يطلع القارىء على معالم المنهج النقدي الذي التزمه الكاتب .

وللناقد الكريم تحياتي وشكري

القاهرة — **حسن فتح الباب**

حول المقاييس النقدية للشعر الجديد ..

بقلم محمد الجبار

قرأت في العدد الاخير من الاداب النقد الذي كتبه الاستاذ عبد اللطيف شراره عن القصائد المنشورة ، وتوقفت عند نقده لقصيدة « دم على البحيرة » .. ذلك لانه وضع سورا ثلجيا بين موضوع القصيدة الثري .. وبين اسلوبها الشعري الذي حسبه الناقد ارتجالا موسيقيا لا يرتبط بالقاعدة النغمية .. وهنا موقف ادبي نحب ان نداقع فيه عن الاسلوب

الشعري الحر في هذه القصيدة ، وفي الشعر الجديد الاصيل ، ذلك لان اي شاعر مكين ، يملك استقلالا نفسيا في تسجيل ما يحس به .. يكتب قصيدته وهو ممسك بيديه الناسجتين خيط النغم الشفيف الذي تـراه وانت تقرأ .. كما ترى النسيم وهو يطبع قبلاته المنغومة فوق العشـب الممتد ..

وقاعدة الوزن لا يفلتها الشاعر وهو في جوه الواقعي الجاد .. انها كامنة في القصيدة بكل منطق التفعلية .. بكل مساحتها .. ضاقت او تراحبت .. ولكن الناقد يحسب هذه القدرة الاستقلالية عجزا مـن الشاعر .. وهروبا من المساحات النغمية المحددة .. ان المسألة تأخذ في نفسية اي شاعر واقعي جديد نظام التموج في تهدج النهر ... لا يمكن ان تقاس مساحة موجه .. بمساحة غيرها .. تبعا لما تكتبه راحة الهواء فوقها ..

كل ما فعله الشاعر حسن فتح الباب انه اطلق اسار قافيته العجوز القميئة من عباءتها اللغوية الفضفاضة السابقة .. وأطلق للتجربة جوا لا تستعبدها فيه اسوار الكلمات النهائية ، وسار بخطوات التجربة فيتفعيلة متماسكة الصدى .. ولكنها في وحدة باطنية لا تجهر بادعاء الكلمـة الداوية ولا بجحوظ القافية !!

خذ مثلا معي .. فحين يقول الشاعر :

لا تهبط ادنى الجسر ..
ما اشقى صيادا .. القى شبكه ..
في بركة دم ..
وتولى ... والصيد وفير ..
لكن .. الشبكة .. تنزف دم ...

ها هنا يحسب الاستاذ عبد اللطيف شراره ان هذه الابيات لا وزن لها.. ولكنه لو كان شاعرا .. ودرس العروض ،لارهفسمعهالىخطوات التفعيلة الواحدة ، يمدها الشاعر وينشر جناحها .. ثم يقبضها ويضمها .. تبعـا لموجة التجربة وصوتها الناطق المتهدج .. وهذه قدرة الاداء الشعري الجديد لاي شاعر صادق ...

وصاحب قصيدة « دم على البحيرة » لم يرتم على الشعر الحديـث بيفاعة التجربة ، او بضحالة النظرة .. لانه بدأ حياته شاعرا مرتبطـا بالكلاسيكية القديمة ، وفي ديوانه الاخير « من وحي بور سعيد » شواهد على ذلك ، ولكنه وجد بحكم الوعي الواقعي الجاد .. أن تحريـر القصيدة العربية من القافية .. من الروي العتيق المحدودب .. عمل توجبه رحابة الموضوعية ، وتلزمه انسانية الواقع الجديد .. فلقـد عاش الشعر العربي فترة طويلة داخل قفص الكلمات .. وكان الشاعـر العملاق يسير في دروب الالفاظ بهامته الشامخة .. ولكنه يضطر الـى خفض رأسه ليسير ، اطول مدة ممكنة في طريق طويل .. سقفه محدود.

اقول باعلى صوتي .. لكل ناقد يحسب ان الشعر الجديد نزهةسهلة على شاطىء اخضر .. ابدا .. ابدا .. يا صديقي الناقد .. انها وحـق الواقع .. نزهة جليلة لا يقدر عليها الا مرتادو القمم .. ومستكشفـو الغابات المجهولة في النفس الانسانية ..

ان الوعي التجريبي الذي يحكم الشاعر اثناء كتابته يعتبر « قافيـة نفسية جديدة ، ورويا انسانيا صاعدا .. فيه كل ما في الحياة .. مـن انطلاق .. وشمول .. وبساطة .. »

وحين يقول الاستاذ عبد اللطيف شراره ان قصيدة حسن فتح الباب تقف في مفترق الطرق بين الشعر .. والارتجال النغمي الذي ينبثق عفوا — يفهم من هذا انه لم يتعمقها او يوغل ببصره في جوها الموسيقي ... الواقعي .. ذلك لان الناقد لم يكتب الشعر من قبل ، ومقاييسه النقديـة مسحورة بالوشاح النغمي المطرز الذي يغلف اي قصيدة .. ولو كانت عارية ، وما اسهل ان يكتب الشاعر حسن فتح الباب قصيدته بالنهـج العمودي ، او حتى بالاداء الغنائي القريب ، لكنه وقف على حافة التجربة، وكبرياء الواقع يشد عصب عينه محددا نظرته .. الى موجة الدم التـي رآها على سطح البحيرة تنداح في نفسه .. وصوت مجداف الصياد يأتيه بآهة القتيل ، وحشرجة الاطفال الصرعى . . اذن فهذه اللقطة لا تترك فراغا في نفس الشاعر للزركشة . وانما الدفعة النفسية تسـير بفورتها .. مع الحفاظ التام على الاتساق النغمي الباطن .

اني ارجو الناقد ان يقرأ هذه القصيدة مرة ثانية .. ليقرأها بنفس لم تزحمها اصداء كثيرة ، ويتصور عينيْ الشاعر في انتقالاتهما البطيئة .. والسريعة وراء الصور الواقعية .. اناشده قراءتها في أناة القاضـي الادبي .. فهو حتما سيعيش في جو هذه القصيدة كما عشت انا ..ما دامت حاسة الاصفاء الشعري العادل تصغي .. حتى للدبيب الخفي وراء اللقطات الحرة الجديدة ..

وأشكر له اصغاءه ...

القاهرة — **محمد الجيار**

حول « الموجة الاولى »

بقلم نبيل فؤاد

كنا في الماضي نرى نوعا من النقاد يلخص لنا قصة طويلة او قصة قصيرة في عمود او نصف عمود وأحيانا في فكرة ثم ينقدها على اساس تلخيصه الذي هو ابعد ما يكون عن القصة الحقيقية — ثم يضع مقاييس واحكاما حول القصة التي الفها — وبذلك يصبح هو المؤلف والقارىء والناقد .

هكذا أحسست حينما قرأت نقد الاستاذ صدقي اسماعيل لقصة «الموجة الاولى » فهي عنده قصة الحب الاول في رسالة – اما خلاف الرسالة فهي اضافات بل اقحام على هذه الرسالة .

وأحب ان اسجل كقارىء لي مشاعري وانفعالاتي أني اعجبت بهذه القصة – وليس معنى هذا انني اطلب من الاستاذ صدقي ان يعجب بها كما فعلت – بل اطلب منه ان يعطي كل شيء حقه –

فهي تجربة حب من ألفها الى يائها – تدور في اطار شعري جميل وتصورنا جميعا – نحن الشباب القلق – وليست بها اضافات او اقحام، بل هي سلسلة مترابطة من المواقف يخدم كل موقف الفكرة التي ارادها الكاتب – وأظن اننا فهمناها –

ولكنها ليست كما يقول الاستاذ صدقي اسماعيل تجربة معادة مكررة ، فشخصية القصة ليست من الافراد المكررين ، الارقام التي تتحرك كل صباح ، لا تدري ماذا تفعل ولا تعرف لماذا وجدت في هذا العالم .

انه انسان يختار .. . انسان في مجتمع قلق مضطرب ورغم هذا فهو يعرف ان عليه مسؤوليات ويقدرها . فهو يقدر الصداقة وجهد في البحث عنها ، واصدقاؤه كذلك من نفس نمطه « يشتركون جميعا في الحرمان والخوف المبهم من المستقبل » ثم نرى « بعضهم قد ارتمى في حضن فكرة وبعضهم لجأ الى العمل والنضال دون ان يدفعه لذلك ايمانواضح». انهم جميعا قلقون ، وليس قلقهم قلق اليأس او الاستسلام بل قلق الشعور بالمسؤولية وقلق الاختيار بين موقفين – وتطلعهم لعمل عظيم يجهدون له حتى يبرروا وجودهم . هذا في حياته العامة ، اما حياة هذا الانسانالخاصة فاني أحس بما يقاسيه من واقع أليم كانت دلالته –وليست كل شيء – «الوجه الشاحب الذي اكله المرض وتحاول صاحبته بملامح قد تحجرت فيها قسوة النضال ضد الالم ، ان تمنع نفسها من التقيؤ، والوجه الصغير العذب الذي امتلأ رعبا لهذا المنظر ».

انه امام امرين ولا بد ان يختار :

هل يمارس حياته الخاصة ويستجيب لعواطفه ويستمتع بها منعزلا عن ما يدور حوله ؟

ام يتخلى عن علاقته – على حبه لها – لان هناك ما هو أبعد من ذلك – هناك واقع اليم يطلبه للاستبسال في مواجهة – مواجهة حقيقية في قوة وشجاعة .

واختياره لموقفه هذا يجعلنا نستنتج ان فتاته – رغم حبهما – فهي لم تستطع ان تقف بشجاعة في صفه وعلى المستوى الذي يتطلبه في صراعه مع واقعه المضطرب السيء .

أهل لو ساندته مساندة حقيقية – تطلب منها الجهد – ولو شاركته مشاركة فعالة في هذه الفترة من حياته .. هل كان سيفكر في الفراق ؟ لا أظن ؟

اما استدلال الاستاذ صدقي على تكرار هذه التجربة – دون صفة فنية – بما اقتطعه من الحوار :

– الم تنم طوال الليل

– كلا .. وأنت ؟

– ولا أنا

– لماذا

– كنت قلقة

– وهذا ما جاء بك مبكرة الى هنا

– نعم وأنت ايضا أليس كذلك ؟

– وأنا ايضا ... »

ان عزل هذا الحوار عن مجال القصة – لا نوافق عليه – فربما يكون الحوار معادا مكررا ولكن روعته في دلالته في اطاره والجو الذي يحدث فيه فيصبح الحوار ومجاله كلا متكاملا .

وبطريقة الاستاذ صدقي اسماعيل أليس من السهل علينا ان نجعل قصيدة نزار الرائعة « من شاعر سوري الى مواطن اميركي » تكرارا معادا تقوله بعض الاذاعات العربية كل صباح ونقرأه في الصحف والمجلات بل رجل الشارع المهتم بالسياسة يكاد يقول بالنص بعض مقاطع هذه القصيدة الرائعة

اننا لو نقدنا بهذه الطريقة – طريقة الاقتطاع – لقلنا ان هذا ليس شعرا بل نثر ونثر مكرر معاد . ولكننا حينما نقرأ القصيدة ككلتتحول هذه اللفظات المكررة الى معان وقضايا ودلالات جديدة يعنيها الشاعر ويعبر عنها بفنية رائعة وهنا يصبح الفرق واضحا بين استعمال اللفظ او الحوار الذي نسمعه كل يوم ولا يثير فينا شيئا وبين ما يثيره فينا هذا الشاعر او هذا القصاص.

هذه انطباعاتي واحاسيسي لقراءة القصة وقراءة نقدها وكما قال الاستاذ اسماعيل في مقدمته لنقد القصص « ان القراء العاديين لهم مشاعرهم وتجاربهم الخاصة ، ويستطيعون ان يحكموا على الاثر الفني بمقدار ما يمنحهم من احساس عميق ويفتح عيونهم على آفاق جديدة في الحياة الانسانية » .

فالى صاحب الموجة الاولى والى ناقدها كل تقدير واعجاب

القاهرة **نبيل فؤاد**

« الموجة الاولى » ايضاً ...

بقلم عايدة الشريف

ان مهمة الناقد انما هي عملية بناء وخلق وليست عملية هدم ومحو وهي عملية ليس لها من هدف حقيقي الا الرغبة الصادقة في المساهمة في بناء العمل الفني مساهمة يتوخى الناقد معها استكشاف الجوانب الرائعة المضيئة قبل ان يبحث عن جوانب الضعف فيه .

وقد قال الاستاذ رئيف خوري « لننتج للشعب انها كأرفع ما تبلغ اليه طاقتنا في انتاج الدرب ، فان لم يفهم الشعب اليوم فهم غدا وان لم يفهم بنفسه اعانه على الفهم هؤلاء الوسطاء الذين نسميهم النقاد وان استعذت منهم بالله في احيان» لان الناقد كثيرا ما ينسى مهمته وهي ان يستكشف الجوانب المزدهرة في العمل الفني ليوصلها للقراء بوضوح حتى يوفي دينه عليهم . ولا يمنحهم حقهم بان لا يلوي على شيء الا البحث عن جوانب الضعف في العمل وقد يكون في احيان كثيرة خالقا لجوانب الضعف في العمل الفني ، وقد اتضح هذا في نقد الاستاذ صدقي اسماعيل لقصة «الموجة الاولى للاستاذ وحيد النقاش .

كان اعتراض الناقد عليها انها في رسالة ولا احسب ان الرسالة تكتب فيها الشطحات الخارجية والذكريات ومحادثة الذات ، بل ان الرسالة تبدأ كما هو معروف بعزيزتي .. وتنتهي بالمخلص ..

واظن ان هذا لم يرد في القصة . دعنا من الالتباس الشكلي الذي وقع فيه الناقد ولنتكلم عن المضمون . قال الناقد ان الموجة الاولى عبارة عن التجربة الاولى التي كتب عنها كثير من الادباء . واظن ان كل القراء لا بد وان يكونوا قد قرأوا التجارب الاولى لكثير من الكتاب .

ولكن الم يأت الكاتب هنا بجديد ؟

ان الحوار الذي ذكره الناقد على سبيل الاستشهاد وهو نفسه وثيقة اثبات لما جاء به الكاتب من جديد حيث وضح عمق الاحساس بالتجربة واحترام وتقديس تلك المشاعر الانسانية والتجارب معها بصدق .

ان الذين سيكون لهم تجربة اولى بعد قراءة هذه القصة سيقدسون هذه اللحظات ولن يدعوها تمر الا وقد احسوها بملء كيانهم لانهم تهيأوا سلفا وعلى يد هذا الكاتب . « لحظة تشف فيها الحياة وتتحول الى بهجة »

« سأظل ما حييت ، اتذكر دمعتين تلألأتا في اشعة شمس الربيع على خد نحيل من اجلي » هذه الالفاظ المنمقة بايمان ستخلق بل وبدأت تخلق مدرسة جديدة في تعميق الاحساسات والمشاعر الانسانية .

لم يكتف الناقد بهذا بل قال ان الكاتب جاء بحديثه من الاصدقاء بدون مناسبة ولو كان الناقد عادلا لانتبه على الكاتب الذي وضح ما احدثه العصر الحديث في شباب هذا الجيل كما ان الكاتب قد بين سلفا انه وصديقته كانا من الزملاء وهذا كي لا يترك ثغره ينفذ منها الناقد المحايد .

اعتقد ان هذا الالتباس قد حدث نتيجة للقراءة العابرة .

واني احاسب الناقد على قوله ان الكاتب اقحم مرض امه ، ان معنى كلمة اقحم كبير على هذا الموقف خصوصا وان الكاتب قد رتب عليه نهاية هذه القصة . ان الناقد لم يعط الكاتب حقه من الثناء على هذا الموقف الايجابي السليم حينما رأى انه من المحال ان يجمع بين واقع مضطرب وحب مضطرب فآثر مواجهة الواقع وارجأ الحب . عافت نفسه من حمره وجنتيه بالحب حينما رأى وجه اخته الاصفر الجزع فأوقف اندفاع الحمرة في وجه ليبعثها في وجه اخته الاصفر

القاهرة **عايدة الشريف**

« الترعة الخيرة ».. والنقد الذي لاغناء فيه

بقلم فاضل السباعي

لطالما علت الشكوى من اولئك الناقدين « العابرين » الذين يلقون باحكامهم وهم في الطريق يطقطقون البزر ، ويزدردون لبوب الفستق ، ويتفرجون على واجهات المخازن واعلانات السينما .. ذلك ان احكامهم يعوزها – دائما – التمثل والتركيز ، وهي بحاجة الى الجلوس في الركن الهادىء يوفر للذهن مزيدا من الصفاء والاناة .

ولقد طلع علينا ناقد العدد الماضي (١) بآراء عابرة ، ولكنه افرغ عليها طابع الحسم والقطعية ، وكأننا به ما قالها الا وقد فرض عليه ابداء الرأي على غير الرغبة ... وكذلك لم يعش تجربة الناقد كما ينبغي ان تعاش تجربة النقد .

---

(١) قرأت العدد الماضي من « الآداب » – القصص : كانون الاول ١٩٥٧ ، الاستاذ صدقي اسماعيل .

دخل الاستاذ المعلق محراب النقد بمقدمة قال فيها انه ينبغي ان تتوفر في القصة الجيدة ما سماه « اشياء بديهية .. وهي التي تسهل النظر الى القصة العربية المعاصرة بصورة خاصة (!!) لان فن القصة العربية ما يزال في بدايته ، احوج ما يكون الى هذه الامور البديهية » . وبدهيات القصة العربية في رأي المعلق هي : اولا ان تحمل القصة « طابع الجدة » ، ثانيا ان تكون « تجربة انسانية حية » ، ثالثا ان تبعث « الغبطة الفنية في نفس القاريء » !..

وراح المعلق ، بعد ذلك ،يعمل سكينة ـ ولا اقول مبضعه ! ـ في قصص العدد الاربع . ووصل الى قصتي « النزعة الخيرة » (٢)» وهي «حكاية» من وحي العدوان المثلث على مصر . جلس المعلم يحكي لتلاميذه قصة العدوان في اسلوب الرمز . كانت الحكاية ترصد طمع القوي في ما يملك الضعيف . وقد جهدت في ان اجعلها سهلة سائغة تتكشف لبصيرة القاريء ـ وللتلميذ الصغير المنصت ـ رويدا رويدا ، فيستشعر بلذة الاكتشاف ، ويمسك في كل خطوة خيطا جديدا يشابه الخيوط التي غزلها العدوان في حقيقته الواقعة .

لم ترق القصة للمعلق الفاضل . قال انها « كتبت بشكل رمزي تعليمي، وباسلوب انشائي متكلف » ، مما « بعث فيها الغموض والاضطراب » و«ان حادثة تاريخية فذة كحادثة القنال هي في شكلها الصريح اقوى واعمق من كل رمز » ، وان « الصغار يفهمون الوقائع العارية ويتعلمون منها اكثر مما يفهمون الرموز » .

(٢) «الآداب» : العدد الحادي عشر ، تشرين الثاني ١٩٥٧

ولكن ، اليس الرمز في القصة موضع « جدة » ؟ بدهي ان ليس من المحتم على القاص ان يكتب حادثة القنال باسلوب الواقع . بل ليس للناقد ان يتطلب من القاص صياغة تجربة ما بهذا الاسلوب دون ذاك ، او بذاك دون ذلك . ان هذا امر ذاتي ، يرتبط باستشفاف الفنان التجربة من زاوية من الزوايا . قد يشهد حادثة واحدة اثنان من القاصين ، فيكتبها كل من زاوية . وليس لنا ان نلوم احدهما على اختياره زاويته ، لان في ذلك هدما لعملية الابداع كلها .

ثم ، انه سبق لي ان رصدت جوانب مختلفة من حادثة القنال باسلوب الواقع . رصدتها من حيث اثرها في نفوس ابناء العرب ـ وكنت السباق ـ في قصة « رجل من خشب » (٣)، ثم في « الرمي » (٤)، ثم في «صحائف جديدة» (٥)... ورصدتها من قلب المعركة اللاهب ، من وجهة مقاوم مناضل في بور سعيد ، في « الكيان الموعود » (٦) .. ولقد احببت ، بعد هذه التجارب « الصريحة » ، ان اجدد ، ان «احكي» الحادثة في قالب الرمز افيمنع علي ذلك ؟ لقد رأينا المعلق يدعو الى « الجدة » في تناول الموضوع القصصي، افلا يرى في الرمز ، بعد المحاولات الاربع ، شيئا من تجديد ؟

واذا كان « الصغار يفهمون الوقائع العارية » فليس يعني ذلك فهمهم الواقع مرموزا ؟ الا يكون الرمز احيانا ابلغ دلالة واعمق اثرا عندما يستشف « المتلقي » القصد من خلال العمل الفني ويتفتح له عالم « المطابقة » بين الرمز والواقع ؟!

ان ما وصل اليه العالم اليوم في مضمار العلم والاختراع ، من حرب على المدنية وتهديد للبشرية بالفناء ، لهو بالتأكيد قضية كبرى تشغل البال وتحير العقل . فاذا عالجها استاذنا الهنداوي في تمثيلية ذهنية(٧) ترصد لنا « بروموثيوس » ، سارق النار من الهة الاولمب ، وقد رأى النار تعبث في كل شيء وتكاد تأتي على العالم جميعا ... اذا عالجها اديبنا بهذا القالب الرمزي فحق علينا ان نصيح به : تلك قضية فذة « هي في شكلها الصريح اقوى واعمق من كل رمز » !

ويزعم الاستاذ المعلق ان الرمز « بعث فيها الاضطراب والغموض » . ولست اعرف اسانيد هذا الرأي . يصم القصة « بالاضطراب » ، وقد رويت بتسلسل منطقي واضح ! وكيف يشوبها « الغموض » ، وهي التي يتكشف فيها مدلول الرمز بعد ثلثها الاول ، فيمضي القاريء في مطالعتها على رسله وهو عارف جلية المدلول ؟ وقد قدمت القصة الى الاذاعة ، وعرض تسجيلها ـ قبل اذاعتها ـ على فئة فيها المثقف والمتعلم والامي وهم

(٣) « الآداب » العدد الاول ، كانون الثاني ١٩٥٧

(٤) مجلة « الجندي » السورية : العدد ٢٩٨ ، ١٤ آذار ١٩٥٧

(٥) ستطلع قريبا في احدى المجلات الادبية

(٦) « الرسالة » العدد الرابع ، نيسان ١٩٥٧

(٧) « زهرة البركان » . وستطلع قريبا ضمن مجموعة تمثيليات . وقد قرأها الاستاذ المؤلف في احدى سهرات اسرة « الاصدقاء » .

جاهلون امرها ،ليرى ما اذا كانت تفهم منهم ، ، فاجمعوا على فهم فحواها وسموا ما يطابق كل رمز من رموزها في عالم الواقع(٨)

وينعى المعلق على القصة ان اسلوبها « انشائي متكلف » . وحقا ان اسلوبها لا يخلو من مترادفات هناوهناك.ولكن،هل يعيبها ذلك؟ القصة يحكيها المعلم لتلاميذه .انها اذن « حكاية » ، وفي الحكاية يحلو الاستطراد والترادف . ثم انها حكاية ذات مسحة تاريخية ، وفي القصص التاريخي تساغ الجزالة في اللفظ والعبارة ، كما تساغ في القصص البطولي ، خلافا للقصص الواقعي. وعلى ذلك، فليست الجزالة مما يعيب مثل هذا الحوار:

ـ يا « همام ».. ان خيرات « ترعتك » ما يمسك علينا رمق الحياة .

ـ على الرحب ، يا جيرة ...

ـ ولكن جيرتك يخشون .

ـ ماذا يخشون ؟ ايخشى الجار جاره ، فلا كانت الجيرة اذن !

ـ لا . وانما يخ شى الجيرة ان تحدوكم ، في يوم مقبل ، غضبة علينا فتقبضون عنا خيراتكم ، فيصيبنا من امرنا بؤس شديد! نريد تعهدا .

ـ اي تعهد تريدون ؟

ـ ان تتعهدوا لنا حسن الجوار

ـ قد تعهدنا . واحبب بكم من جيران ؟

ـ والا تتوقفوا يوما عن مدنا بما تدره ارضكم من خير .

ـ قد رضينا بذلك ايضا .

ـ وان تسهروا على صيانة الترعة ، فانها لشريان حياتنا .

ـ قد ضمنا لكم ما طلبتم ، لانه عين طلبتنا .

وبعد ...

ما كنت لاحب ان اعقب على رأي قيل في قصة لي . فقد بت افضل ان ادع الاخرين يتذوقون الاثر حسب ما يمليه عليهم فهمهم . ولكنني وجدت القوس تعطي لغير باريها ، فيلقي باراء غاية في الغرابة وهو ماض في طريقه يطقطق البزر ويزدرد لب الفستق ويتفرج على واجهات المخازن واعلانات السينما .

اللهم ، قنا النقد العابر . فانه من غير غناء . وان فيه التثبيط كل التثبيط . وهو اشبه بالسم ينثر مسحوقه على الصحاف طفل غرير في غفلة من الطاعمين !

حلب **فاضل السباعي**

من « الاصدقاء »

---

(٨) لعل من الطريف ان نقول انه جاء في رسالة من احد الادباء الشباب في لبنان الى كاتب السطور : ان ما يؤخذ على القصة ان رمزها « ينكشف في منتصفها . » وهذا نقيض ما ذهب اليه المعلق .

وقائع المؤتمر الثالث للأدباء العرب

انعقد المؤتمر الثالث للادباء العرب في القاهرة بين ٩ و ١٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٧ بدعوة من المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون باسم الحكومة المصرية . وحضر المؤتمر عدد من الادباء العرب يناهز المئة من مصر ولبنان وسوريا والعراق والجزائر وتونس ومراكش وليبيا والسودان وفلسطين واليمن والبحرين والكويت . واعتذر الاردن عن الاشتراك في المؤتمر ولم تجب المملكة السعودية على الدعوة .

وقد عقدت الجلسة الافتتاحية مساء الاثنين ٩ كانون الاول في قاعة الاحتفالات بالمتحف الزراعي بالقاهرة بحضور السيد كمال الدين حسين، نائب رئيس الجمهورية ووزير التربية والتعليم الذي القى كلمة وجهها الى الاعضاء واستهلها بقوله : « باسم الشعب المصري ، كجزء من الامة العربية، وباسم الرئيس جمال عبد الناصر كرائد من رواد القومية ، ارحب بكم انتم اهل الادب والفكر من كل بقعة من بقاع العالم العربي » . ثم تحدث عن التراث الادبي الذي هو جزء من قوميتنا المشتركة والذي يستهدف المؤتمر المحافظة عليه وتجليته كما يستهدف الملاءمة بين ما نتنج من فنون الادب وبين اهداف نهضتنا القومية الحاضرة .»

وتحدث بعده الاستاذ سعيد فهيم مندوبا عن الجامعة العربية فاستعرض جهاد الادباء والمفكرين في ايقاظ الوعي العربي وقال انهم ما يزالون يقومون بدورهم كاملا في معارك الاعداد الفكري والتعبئة النفسية « وهم في مؤتمرهم هذا انما يجتمعون لتدبير ما هم مقبلون عليه في ضوء ما استفادوه من تجارب الماضي ليحسنوا التدبير ويحكموا الخطة فيبلغوا بنا وبأنفسهم الغاية . » وانهى كلمته بالحديث عن دور الجامعة العربية في النشاط الثقافي العام وفي عنايتها باحياء التراث الفكري .

وتبعه الدكتور طه حسين مندوبا عن الوفد المصري في المؤتمر فتوجه الى المؤتمرين قائلا : « كل ما اطلبه أليكم او تطلبونه لانفسكم في الاجتماعات المقبلة هو ان تلائموا بين واجب الادب حقيقة بالقياس الى القومية العربية،



مندوب الجامعة العربية الاستاذ سعيد فهيم يلقي كلمته . ويبدو في الرسم السيد كمال الدين حسين وزير التربية والاستاذ يوسف السباعي سكرتير المؤتمر

وكل شيء يدل على ان هذا الموضوع ظاهر كل الظهور يسير كل اليسر، ولكني اتنبأ لكم من الان بانكم ما ان تأخذوا فيما ستجتمعون فيه حتى تثار امامكم مشكلة دقيقة ، هي التأليف بين هذه الاشياء التي يعز التأليف بينها .»

ثم استطرد الدكتور طه حسين الى القول بان الادب يجب ان يكون حرا ليستطيع الاديب ان يؤدي دوره حقا ، « فالفنان الذي تفرض عليه القيود او الذي يفرض على نفسه قيودا ليست فنية ليس بالفنان وكذلك الاديب ... ومع ذلك فليس الاديب كائنا مطلقا يعيش في الهواء او في السحاب ، انما هو انسان ، وهو بعد ذلك مواطن في موطن ما ، عليه واجبات لمواطنيه ، وله على وطنه حقوق ... فمن حيث انكم عرب ، ولوطننا العربي عليكم حقوق ، فلا بد ان تفرض طبيعة الاشياء على ادبكم قيودا لا سبيل الى ان تتخلصوا منها .. ولا بد من ان تؤدوا لاوطانكم حقوقها عليكم ، واول حق يجب عليكم ان تؤدوه لوطنكم ، وهو العروبة ، انما هو الدفاع عنها قبل كل شيء ... ولا ينبغي لادب ان يطلب حقه قبل ان يؤدي واجبه .. »

واضاف الدكتور طه حسين يقول : « يجب على الاديب ان يقدر انه حين يكتب وحين ينشر ما يكتب انما هو مسؤول امام وطنه اولا ثم هو مسؤول امام كل الامم التي يمكن ان تتصل بوطنه من قريب او من بعيد . والادب الحق هو الذي يستطيع ان يلائم البيئة التي يعيش فيها منتجه ويستطيع بعد ذلك ان يتجاوز هذه البيئة فيصبح ادبا انسانيا ينتفع منه الناس جميعا ويستمتعون به » .

وتكلم بعد ذلك عن الاردن الاستاذ عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) فذكر ان الفائدة الاولى التي نجنيها من هذا المؤتمر هي اجتماع الادباء والمفكرين من جميع الارجاء العربية ليصلوا الى صعيد مصر الطاهر حيث يقفون جنبا الى جنب يقسمون بتراب الوطن العرب الغالي الذي خلده الدم العربي الغالي بأنهم سيخوضون المعركة دفاعا عن حرية الشعب واستقلاله ودفاعا عن القومية العربية لانهم بفعلهم هذا يقومون بواجبهم الاوحد تجاه الادب وهو الدفاع عن شرف الكلمة العربية » . وبعد ان تحدث عن نكبة فلسطين ، توجه الى الادباء قائلا : « اتينا اليكم نجر تاريخنا المخضب وقطرات الدم تتساقط على كل طريق تضيء للادباء والمفكرين والاحرار طريق الادب والقومية العربية » .

وتحدث الاستاذ ابرهيم العريض باسم البحرين فالقى كلمة حيا فيها الرئيس عبد الناصر واستشهد بقول شوقي

ما حطموك وانما بك حطموا   من ذا يحطم رفرف الجوزاء

واعلن ايمانه بوحدة العرب وتمنى للمؤتمر النجاح .

اما الاستاذ محمود المسعدي مندوب تونس فقد تحدث عن ايمان الادباء التونسيين « بما للادب من وظيفة سامية في حياة المجتمعات الانسانية بصفة عامة وبما له من فعالية في تكييف تطورها التاريخي وخلق مصيرها الانساني .» وتحدث عن جهاد الشرق العربي ووحدته الروحية خلال

القرون وقال « ان ماضينا قد القى علينا درسا لا تقدر قيمته في الحرية والاختيار ، وان كل حصر او ضغط او توجيه للفكر لا يكون فيه على الفكر الاالوبال والموت ، فليكن نصب اعيننا الجوهر ، ولنعمل على توضيح العوامل القارة للاخاء العربي ولرقي الحضارة العربية والتفكير العربي، معرضين عن اعراض تقلبات الزمان كما فعل اجدادنا من قبل .»

وكانت الكلمة بعد ذلك للاستاذ ابراهيم غافر مندوبا عن الجزائر فحمل للمؤتمرين تحية الجزائر المجاهدة وافتخارها بجهاد مصر وايمانها بالقومية العربية .

اما كلمة السودان فقد القاها الدكتور محيي الدين صابر فحيا في المؤتمر امانة الفكر العربي وكرامة القلم العربي « وهما سبيل الامة العربية الى الحرية .» واضاف الى ذلك قوله « اذا كان الفكر هو الصورة الحقيقية للثقافة المادية .. فان الدور الذي يقع على عاتق المفكرين العرب هو دور قيادي ، دور رئيسي في خلق الايديولوجية الجديدة التي تصوغ هذا المجتمع العربي ، على نسق تتمثل به الحضارات والثقافات المعاصرة . » وتحدث عن القومية العربية في مفهومها الجديد فقال انها مصالح حيوية مشتركة ومصائر مشتركة تتخلل الكيان الاثنولوجي العربي، وهي لهذا اوسع مدارا من العنصرية العربية . » وقال « ان واجب المفكرين العرب في هذه اللحظات واجب ضخم يرتفع الى مستوى الاحداث الضخمة التي تضع تاريخ الامة العربية .»

والقى الاستاذ كامل السوافيري كلمة فلسطين فقال « ان فلسطين التي احترقت لتنير السبيل للامة العربية والتي شع من نكبتها نور الايمان بالقومية العربية والتي خلفت ادبا طبعته بطابعها ووجهته في اتجاهاتها لتقف اليوم فخورة مع اخواتها اذ تساهم في مناقشة الادب والقومية العربية »

وكانت كلمة الكويت للاستاذ عبد العزيز حسين فقال « ان دور الادب في هذه المرحلة الحاسمة التي تجتازها الامة العربية دور جد خطير « فهو رابطة من اهم روابط الوحدة وصلة فكرية ووجدانية بين ابناء هذه الامة .. ولقد اثبتت الاحداث الاخيرة التي مرت بوطننا العربي الكبير مدى التجاوب بين ادبائنا في كل جزء من اجزاء هذا الوطن ، وكان هذا التجاوب اكبر دليل على وحدة الشعور العربي ووضوح الاهداف القومية . »

والقى الاستاذ عبد الله جنون كلمة المغرب فقال « ان اجتماع ادباء العرب من المشرق والمغرب في بلاد الكنانة ، معقد الحركات التحريرية ونقطة الانطلاق في البعث العربي ، هما مما يوحي بسمو رسالة الادب وقوة فاعليته في توحيد الجهود وربط الاواصر بين بلادنا التي طالما اشتكت من الفرقة والتدابر . »

والقى كلمة اليمن الاستاذ احمد احمد الشامي فتحدث عن الادب اليمني وقال ان اليمن ستظل في اطار العروبة الخالد ولن تحيد عن اهدافها ومبادئها ولغتها وتقاليدها .

ويجد القاريء كلمتي مندوبي لبنان وسوريا منشورتين في هذا العدد

اما الكلمة الاخيرة التي القيت في حفلة الافتتاح فكانت للاستاذ يوسف السباعي عن المكتب الدائم لمؤتمر الادباء العرب ، فتحدث عن مؤتمر بلودان الماضي وعن النداء الذي وجهه الى ادباء العالم مهيبا بهم ان يقفوا الى جانب العرب في قضيتهم العادلة من اجل اعادة الارض المغتصبة الى



جانب من الحضور في احدى جلسات المؤتمر

الشعب العربي المشرد عن فلسطين ومن اجل تأييد حق مصر في ممارسة سيادتها القومية ووقف حرب الابادة في الجزائر . ثم رحب بادباء العرب « اعرق دعائم القومية العربية وأعمق جذورها . »

الشعر والقومية العربية

اما اليوم الثاني من ايام المؤتمر ، فقد كان مخصصا « للشعر والقومية العربية » ، فقد رئس الجلسة الاستاذ محمد محمد علي رئيس وفد السودان ، وكان الاستاذ احمد محمد الشامي عضو وفد اليمن مقررا ، والدكتور شكري فيصل عضو وفد سوريا سكرتيرا .

وقبل القاء المحاضرات وقف الدكتور عبد الرازق محيي الدين رئيس وفد العراق الذي تأخر في الوصول فالقى كلمة اعتذر فيها عن تأخر وفده في الحضور وقال ان الادب وسيلة الامة العربية لنشر رسالتها الى ابنائها ثم هو مبلغها الى بقية الشعوب الاخرى ، فان هذا الادب احياء وتجديد يُلجأ اليه في توجيه سياستنا العربية المتحررة في مختلف الميادين متعاونين متآخين .

ثم اعلن رئيس الجلسة ان مكتب المؤتمر تلقى برقية من صاحب السمو الامير عبدالله الجابر الصباح امير الكويت ، وتلا الاستاذ عبد العزيز حسين رئيس وفد الكويت نص البرقية وهو « يرحب سمو الامير الشيخ عبدالله الصباح بانعقاد مؤتمر الادباء العرب بالكويت في العام القادم ويسر سموه ان تبلغوا تحياته الى اعضاء المؤتمر والمسؤولين عنه وترحيبه بهم في وطنهم الكويت » وقد قوبلت هذه الدعوة بالترحيب والشكر .

والقى الدكتور طه حسين بعد ذلك محاضرة عن «الادب والقومية العربية» يجدها القاريء في غير هذا المكان ، كما انه يجد نص محاضرة الاستاذ ابراهيم العريض في مكان آخر عن « الشعر والقومية العربية » .

وقد قدم وفد السودان بحثا من ثلاثة اقسام كان اوله عن « الشعر وظيفة واسلوبا » للدكتور محي الدين صابر (وقد نشر في هذا العدد) وكان ثانية عن الشعر والقومية العربية للاستاذ محمد محمد علي الذي تحدث عن وحدة اللغة العربية قبل الاسلام ، وتهيؤ القومية العربية لحمل رسالة الاسلام الى العالم ، وقال « ان الاسلام لم يخلق القومية



بعض الادباء يلتفون حول الدكتور طه حسين في احدى جلسات المؤتمر

العربية ولكنه هذبها فحارب العنصرية المتعجرفة وساعد على اندماج القبائل في وحدة قومية » واوضح المحاضر ان قوميتنا ليست عنصرية تقوم على اساس الجنس وتفضيل الدم العربي على سائر الدماء ، بل هي رابطة معنوية بين جماعة يلتفون حول التراث الذي حملته اللغة العربية .

وكان البحث الثالث للوفد السوداني في الموضوع نفسه للشيخ عبدالله البنا الذي استعرض التعبيرات الشعرية في القومية العربية .

وتحدث الاستاذ احمد الخزان عن الوفد اليمني فذكر جهاد اليمنيين من اجل القومية العربية وانشد بعض شعرهم ، كما انشد قصيدة له بهذه المناسبة .

ثم فتح باب المناقشات فلاحظ الدكتور سليم حيدر انه كان من الواجب ارسال البحوث في موعد مناسب ليتمكن الاعضاء من دراستها ، ولاحظ كذلك ان علينا ان نبحث موضوع الشعر في القومية العربية لا الشعر وحده ولا القومية العربية وحدها وانتقد بعد ذلك عبارة الاستاذ العريض عن الذاتين انا وانت ، وقال انه لا فرق بينهما في الابداع ، وتحدث عن رأيه في الشعر الجديد .

وقال الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ردا على الدكتور طه حسين ان القومية العربية انما منشأها تحركات الشعوب ، وان الادباء العرب يؤكدون القومية العربية بقدر ما يعبرون عن شعوبهم ، وطالب بان يتفق الاعضاء على اسس يلتقون عليها في تحديد موقف الاديب من القومية العربية .

وتكلم بعده الاستاذ صلاح عبد الصبور عن الشعر الحديث الذي هو في رأيه اهم ظاهرة ظهرت في الادب العربي في العصر الحديث ، وقال انه يجب ان يوجد من يعبر عن ادب القومية العربية وان يكون الادباء الحديثون ادباء يفيدون من تراثهم الخاص ويستفيدون من التراثات الاخرى ، وذكر ان ميزة الشعر الحديث هي صلاحيته لان يواجه الاحتياجات الجديدة للعصر على اتساع مداها .

وقال الدكتور مهدي علام تعليقا على رأي الدكتور طه حسين ان القومية العربية وجدت منذ ان وجد العرب حتى قبل الاسلام كمال قال المندوب السوداني ، ولكنها هذبت على يد الاسلام ، واعترض على القول بضرورة تخطيط الشعر .

وكانت الكلمة بعد ذلك للاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي فقال ان الشاعر الذي نريده هو من يوقد في الناس تلك الشعلة المقدسة قبل ان ينير لهم الطريق الى القومية او الوطنية، فلا بد للشاعر من ان يعتنق المبدأ قبل ان يتكلم عنه ، ثم دافع عن الشعر الحديث .

وقال الدكتور محيي الدين صابر ان الذي تطور ليس هو الشعر وانما هو الانسان الشاعر ونشأت علاقات جديدة بينه وبين مجتمعات اخرى ونشأت قيم جمالية جديدة .

وقال الاستاذ شوقي بغدادي ان المؤتمر ليس مؤتمرا للادب ولكنه مظاهرة قومية والحديث في السياسة تحت شعار القومية العربية حديث في الفن وفي الشعر . وذكران القومية العربية مهددة بالاخطار ، اذ ان الاستعمار ينشر ثقافة معينة ويشجع تيارات غريبة تضر بالقومية .. فيجب ان نرسم السبل التي تتيح للشعب العربي ان ينمي القومية العربية وان يعمقها في وجه الاخطار .

واخذ الدكتور جميل سلطان على الدكتور طه حسين قوله ان النبيط كانوا غير عرب وقوله ان الشعراء الذين انجبتهم الامة العربية ليس فيهم الا فارسي او نبطي او رومي ، ورد عليه مستشهدا بالمعري والمتنبي وابي نواس ...

النثر والقومية العربية

وخصص اليوم الثالث لموضوع النثر والقومية العربية » وكان رئيس الجلسة الدكتور سامي الدهان (سوريا)والمقرر الاستاذ رامز فاخرة (فلسطين) والسكرتير الاستاذ محمد عبد الحليم عبدالله (مصر) . وقد القى الاستاذ يعقوب عويس (الاردن) بحثا اتهم فيه الادباء والكتاب العرب بالتقصير في التعبير عن مصالح الشعوب العربية وعن رغباتها وآمالها في الحاضر وفي المستقبل ، واكتفوا بترديد الشعارات وكتابة العناوين دون ان تتضمن كتاباتهم التفاصيل ، ومرجع تقصيرهم شعورهم بانهم لا حاجة بهم للدروس والاطلاع ، ثم طالب الكتاب بتحمل مسؤولياتهم .

وكانت الكلمة بعد ذلك للاستاذ كامل السوافيري (فلسطين) وقد نشرت كلمته في مكان اخر كما نشرت محاضرة الاستاذ محمود تيمور (مصر) .

وحين فتح باب المناقشة تحدث الدكتور سليم حيدر فعلق على كلمة السوافيري قائلا نحن لا يمكننا اليوم ان نبني القومية العربية على اساس ديني لانه لا يمكننا الا ان نأخذ بواقع التاريخ ولا يمكن ان ننكر جهود الشعوب العربية غير المسلمة في حقل القومية العربية » ثم استشهد باسماء عدد الادباء المسيحيين الذين اذكوا ويذكون الروح العربية .

وقال الدكتور سهيل ادريس« اننا لا نستطيع ان نقيم القومية العربيةعلى اساس ديني لا لاسباب التي ذكرها الدكتور حيدر فحسب ، ولكن لان الدين اساسا لم يعد يصلح مقوما علميا لقوميتنا . » ثم لاحظ ان الموضوعات التي القيت عن النثر كانت من التعميم بحيث ضيع فرصا كثيرة للحديث عن فروع النثر كالمسرحية والقصة والمقالة .. ولاحظ ايضا ان الاستاذ السوافيري لم يتحدث حديثا ناجعا عن نكبة فلسطين ولم يذكر بعض الذين انتجوا آثارا هامة في الميدان .. ثم اضطر المتكلم الى قطع كلامه لانتهاء الدقائق الثلاث المخصصة لكل متحدث ..

وتكلم بعد ذلك الدكتور طه حسين فاعلن انه يضم صوته الى من دعا لفصل الدين عن القومية العربية واننا ننكر على الغرب اقامته دولة

ـ لتتمة على الصفحة ١١٧ ـ

نصف الحقيقة ...

قصة بقلم محمد صدقي

في حجرتنا ، كان الصمت ساعتها قاسيا حادا .. كنصل السكين الباردة على اعناقنا .. لم يستطع ابي ان يحتمله . ونحن نتناول ملاعق الارز الساخنة في تجهم عنيد .

كانت هذه اول ليلة عيد .. بعد وفاة امي منذ اسابيع .. ومضينا نأكل .. ونأكل في صمت .. كل منا يلتهم مع ملاعق الارز افكارا مضنية سامة .. وهو يرشق نظراته الباردة في وجه الاخر بصمت حقود ..

اخيرا .. كنا قد امسينا وحيدين في الدار بعد وفاة امي .. نتراشق النظرات الغاضبة كأنها شتائم .. فاذا ما بدا لواحد منا ان يتكلم .. تهرب الاخر من حديثه .. حتى انبثقت من عيني ابي دموع ..اغرورقت بين جفنيه .. كانت هي كل دفاعه عن حبه واخلاصه لزوجته .. زوجته امي .. قبل ان يترك ملعقته ملأى بالارز جانب الاناء .. وينتصب واقفا امام النافذة .. موليا ظهره لي يحدق طويلا في ظلام الشارع وحده مع نفسه .. تصفع وجهه نسمات الليل الباردة وقتا طويلا قبل ان يستلقي بجواري في الفراش .. ويضع رأسه على الوسادة .. صامتا يحدق النظر طويلا في عيني المشرعتين في الظلام وقد استعصى عليهما النوم ..

وعندما انسكبت كلمات ابي في اذني .. كان صوته يتهدج في الظلام .. ويده قابضة على كتفي .. وانا احدق النظر طويلا الى خلجات وجهه الاسمر وشاربه الكثيف ، وعينيه الحمراوين .. تهوم افكاري حائرة ضالة .. مضنية كالعذاب في اعماقي .. ونظراتي تتسكع امامي على الحائط .. لأرى ملابسه معلقة امامي على مسمار كبير في ضلفة الباب .. والصمت المريض من حولي ينام .. والظلام يتمطى في الحجرة يملأها بالوحشة .. وقد اخذت ذاكرتي تعود بي الى الاحداث التي صاحبت وفاة امي .. بينما اخذ ابي يعترف لي بما حدث يومها في صدق يغالبه الاسى ، بعد ان ادرك من قسوة نظراتي له وتجهمي في وجهه باستمرار انني اعرف كل شيء عن ثمن الكفن الذي كفنا به امي .

وبينما اخذ ابي يحدثني وقد احسست أن قلبه يختلج بين ضلوعه كانت صور الاحداث تمر بذاكرتي كشريط السينما خطوة خطوة ..اشاهدها مرة ثانية في ظلام الحجرة .. وأبي يتحدث .. والماضي كله يعود بي من جديد ..

**

يومها .. كان ابي يروح ويجيء في الغرفة حول نفسه يداه معقودتان خلف ظهره ورأسه منكفىء على صدره .. يحملق في الواح ارضية الحجرة مع خطواته القلقة بجوار فراش والدتي يبحث في تلافيف رأسه عن طريقة يحصل بها على نقود .. نقود يشتري بها البنسلين الذي وصفه الدكتور لوالدتي .. وقد اربدت سحنته .. وتدهورت انفاسه على صدره .. وبدا امام عيني في حلته الرمادية الباهتة كسجين ينتظر حكما عليه بالادانة في ذنب ارتكبه .

وكنت من مقعدي الكبير في ركن الحجرة اوزع النظرات الباردة بين وجهه وبين خطواته القلقة ، وبين امي الممددة في فراشها بوجهها الشاحب الهزيل .. وعروق رقبتها الزرقاء .. ويديها المعروقتين اللتين كانتا تطلان من تحت الغطاء ممسكتين بأطرافه في هزال .. وقد مال رأسها جانبا بعيون نصف مغمضة .. وأنفاس ضعيفة .. وهي تتابع ابي في فراغ الحجرة .. ثم تعود فتغلق نظراتها الشاردة بوجهي .. وكتاب التاريخ بين يدي اتصفح اوراقه للمرة الاخيرة قبل ان ادخل لجنة الامتحان في الصباح .. دون ان اعي شيئا مما تقع عليه عيناي من كلمات .. وقد طار خاطري مع مرض أمي وآلامها وثمن الدواء ، والقروش القليلة التي رأيت ابي يقلبها في كفه وهو يهز رأسه في ضيق أليم .. يلعن عبودية الفقر التي جعلته لا يجد ثمن الدواء لزوجته .. ثم يصمت ويهدر كالحيوان الحبيس في قفصه لحظات طويلة .. صامتا لا يتكلم .. ثم ينفجر من جديد يلعن المرضى والاصحاء والطب والدواء .. والطبيب الذي كتب لأمي ابر البنسلين .. والاجزاخانات التي تبيعه .. والاغنياء الذين يكدسون الاموال .. والمرضى الذين لا يموتون .. والحكومة التي تحكم كل المعذبين .. والناس الذين يراهم كل يوم في الطريق .. يعيشون في كرب .. كرب كبير .. كل حياتهم عذاب ، ومتاعب ، وهموم وتعطل ومرض وخوف ، وهوان ، ومذلة ، وكلهم يصبرون .. يجترون حياتهم الذليلة في بلادة ..

وفجأة عبثت الريح بالنافذة واصطفقت ضلفتها في عنف .. وصفع تيار من الهواء البارد وجه ابي ووجهي .. وسحبت امي وجهها تحت الغطاء .. وسكت الغضب عن ابي .. وأنزل ذراعه التي كان يشيح بها لعنانه في الهواء .. وخطا وئيدا الى ركن الحجرة الاخر .. ثم تمسكت هناك نظراته على اثاث الحجرة قطعة قطعة .. على دولاب الملابس .. وشماعة الحائط .. والترابيزة التي اذاكر عليها .. وصورة جدي الكبيرة في ملابس الجيش ايام فتح السودان والمرآة التي في صدر الحائط .. وقطعة البساط الاحمر التي امام سرير امي كمن يفكر في بيع هذه الاشياء ثم هز رأسه ومط شفتيه وفك ذراعيه من وراء ظهره .. وتوقفت نظراته قليلا عند قدمي امي .. حيث انبثق شعاع من الضوء القوي الباهر عبر النافذة .. ورأيته يرفع ذراعه ويرشق اصابعه في شعره عند مؤخرة رأسه وهو يخطو نحو النافذة ، يحدق النظر طويلا ساهما في شرفة منزل شوكت هانم التي تغرق في الضوء الباهر .. ثم تعود خيوط نظراته تتعلق عبر الهواء البارد بوجه امي .. وقد اخفت عينيها ، ومال رأسها على الوسادة .. ونضحت حبيبات من العرق البارد على جبينها .. فوق احدى ضفائر شعرها الاسود من تحت ملاءة السرير .. فاقترب منها ، ومال برأسه مستندا بذراعه على الفراش .. ورأيته بوجهه الاسود الاسوان يحدق النظر طويلا في وجهها كمن استغرقت نفسه افكار كثيرة حزينة.. ثم رفع رأسه وهو يلعق شفتيه .. كمن يحمل فوق كتفيه اثقالا كثيرة .. وقد اسند برأسه نحوي .. ثم مشى يجر خطواته وراءه يصل وقعها على السلالم بطيئا متخاذلا بعد ان اغلق الباب خلفه في هدوء ..

وعندما اسرعت الى النافذة .. وكتاب التاريخ مغلقة دفتاه على اصبعي .. اقف على اطراف اصابع قدمي ، اجاهد ان اكتسح الطريق كله بنظراتي – رغم قامتي القصيرة .. لاعرف هل سيذهب ابي الى عمي رمضان يحاول محاولة يائسة ان يستدين منه جنيها .. ام انه سيذهب الى « المعلم

عزت » بائع الاثاث القديم ليأخذ منه نقودا كالعادة ، ويأتي به وراءه لينتزع منا شيئا من اثاث الحجرة قد يكون هو « الترابيزة » التي اذاكر عليها .. او دولاب الملابس الذي اضع فيه حلتي الوحيدة .. اذا بي ابصر ابي من فوق وقد وقف امام باب الدار كأنه مغروس في الطريق بعرضه ليتوارى وراء باب المنزل المواجه لمنزلنا حيث تسكن امامنا شوكت هانم ..

وهززت رأسي مستغرقا في فكر بعيد .. كالعليم ببواطن الامـور .. وانا ابتلع لعابي .. وتضييق عيناي .. وتنكمش جبهتي وتتقلص شفتاي .. وقد تسمرت نظراتي على صورتي في المرآة الكبيرة المثبتة على الحائط .. وقد غامت امامي في الفضاء صورة شوكت هانم .. التي مثلت لحظتها لخاطري .. مع ما اعرفه عنها .. مع ما حدثتني عنه امي كثيرا .. ونفسي تمتلىء باحاسيس بغيضة لامر سوف يأتيه ابي ..

ابي .. ابي وشوكت هانم .. ابدا .. ان هذا لا يمكن ان يحدث .. وأمي على قيد الحياة ؟.. لا يمكن ان يحدث هذا .. مهما كانت امـي مريضة .. ومهما كانت تحتاج الى دواء .. ومهما كان عند شوكت هانم من مال .. ومهما كانت حياتنا هوانا ..

ان ابي .. ابي لا يمكن ان يفعل هذا .. ان ابي يحب امي .. انـه يعيش بكل خياله في حياتها .. ان ايام عشرتها له وكفاحها بجواره ومتاعب الحياة وهمومها واحزانها .. اغلى ثمنا عنده من ان يساوم عليها .. بضحكة ناعمة او نظرة حالمة .. او صدر فاجر .. او أي شيء تمنحه له شوكت هانم ..

ان امي بمرضها .. وصور العذاب القاسية التي تضطرب فيها معه جزء مهم من حياته .. انها كل حياته .. حياتنا كلنا .. انه لا يمكن ان يتخلص منها .. بل لا يستطيع ..

**

وأحسست ببرودة الحائط .. وكفي يتلمس الطريق امامي .. وقدماي تتسابقان الخطا مرتطمة بدرجات السلم في الظلام .. وهواء الليل البارد يصفر في شارعنا وينحني مع حارة الفخراني يصفع وجنتي وانا اقطع الطريق الذي سلكه ابي .. وقد ملأت انفي رائحة حديقة منزل شوكت هانم .. تتسلل الى اذني وشوشات الريح مع حفيف الاشجار وأنا اخترق الظلام الى الطابق الثاني .. حيث لا بد ان يكون ابي قد جاء .. ووقفت مضطربا امام باب الشقة .. احملق في اللوحة النحاسية التي نقش عليها اسم – فيظي بك – حيث كنت احضر عادة مع ابي لزيـارة شوكت هانم .. التي كان يشرف لها على حسابات وقف سعادة المرحوم زوجها اتخيل في حمى اضطرابي امام الباب ذلك المرح الذي تعودت ان تلقى به شوكت هانم ابي وهي تستقبله رضية النفس .. مسرورة فرحة ..

وعبرت ذهني المرتبك لحظتها عدة صور عابثة لها في جلساتها المثيرة امام ابي .. بوجهها الصبوح .. وبشرتها الوردية .. وصوتها الرخيم الممدود الناعم .. وذراعها البضة العارية وهي تلتصق بجواره ملتصقة بكتفه تشير له بأصابعها فوق بعض الارقام التي يدونها في كشـوف حساباته .. وقد انبثقت من صدرها رائحة ذكية تنبعث معها الاثارات في النفس .. كانت امي تتشاجر بسببها دائما مع ابي .. منذ ان اخطأت .. وحدثتها عن تلك الرائحة بعد عودتنا ذات مرة من عند شوكت هانم .. وتذكرت احزان الخلافات التي كانت تحدث كثيرا بين ابي وأمي بسبب شوكت هانم وكثرة تردد ابي على منزلها .. ودعوتها له كل مساء .. حتى ضحى ابي بالجنيهات الخمسة التي كان يأخذها من شوكت هانم .. لكيلا تحزن امي كثيرا .. ولا تتشاجر معه دائما بسبب تلك الظنون التي كانت تتحدث عنها كثيرا كانها حقائق ..

وقطعت افكاري السوداء .. ضحكات مرحة طروب .. نفذت الـى اذني من وراء الباب .. وأبصرت شبحا ابيض يمر بالصالة – بجوارهـا في قميص ابيض قادما من حجرة الصالون .. بلا جاكتة ولا طربوش .. ثم مضت لحظات .. خفتت بعدها الضحكات الناعمة قليلا .. وأحسست انني ينبغي ان اقتحم الباب .. وان اصرخ وأغضب .. وأن اثور ايضا .. وآخذ ابي بالقوة من هنا .. من عند هذه الغانية التي تفتنه بصباهـا الفاجر بينما امي هناك مريضة طريحة الفراش تموت ..

وملت بجسدي على الباب ادفعه امامي .. ثم اوقفني خاطر لم افهمه .. ووجدت نفسي ارفع يدي مرة اخرى اهم بالطرق على زجاج الباب .. ولكن الضحكات الناعمة شلت يدي وعلقتها في الهواء ..

وسرت لحظتها برودة في ساقي .. وزحفت الى صدري .. وأحسست بحيرة قاتلة تتمطى في كل كياني .. وثقلت رأسي فوق كتفي سناخنة تغلي كأنها تود ان تنفجر .

وغمرني طوفان من الخزي .. لانني ابن ذلك الرجل الموجود الان فـي حجرة نوم شوكت هانم .. فجذبت قدمي ورائي ، وهممت بالعودة الـى دارنا حزينا اشعر ذنبا كبيرا قد جناه ابي .. واني قد فعلته انا الاخر ..

ولكن وجه امي كان يتطلع الي في الظلام بعيونها الحزينة .. والمرض على قسمات وجهها يشيع فيه الحزن والاسى .. كأنما كانت تدعوني لان افعل شيئا .. شيئا ما .. ألست ابنها ؟.. ألست رجلا في السادسة

عشرة يستطيع ان يفعل شيئا ..

واحتبست انفاسي في حلقي .. ودلفت يدي في ياقة القميص افك ازرارها وتطلعت حولي في الظلام .. ثم اندفعت انزل درجات السلالم الى الطريق .. اجذب الى صدري انفاسا من هواء الليل البارد .. والصمت من حولي ساكن كالموت .. والضيق في صدري كالعذاب القاتل .. ومصباح الطريق ورائي قابع اعلى الحائط .. يرسم ضوءه ظلا اسود طويلا لقامتي القصيرة .. وأناس يعبرون الطريق بجانبي ويتجاوزونني .. وامي المريضة في فراشها يطرق اذني صوتها كأنها تتوجع امامي .. وشوكت هانم تضحك ضحكتها الناعمة الطويلة الفاجرة .. وأبي هناك .. وطربوشه وجاكتته في الصالون .. وافكاري تعذبني وتثير في نفسي انفعالات يكاد ينفجر بها صدري .. حائرة تحترق في رأسي الملتهب .. وأنا اتخيل ما يمكن ان يحدث الليلة .. وغدا .. وبعد غد .. وعلى طول الايام السوداء القادمة من بعيد ..

ستنفصم عرى المحبة التي تربط اسرتنا الفقيرة ــ المسكينة .. لم يبق هناك شيء يجمعنا حول بعضنا بعد الليلة .. بعد ان ذهب ابي الى شوكت هانم .. ورأيته هناك .. رأيته بنفسي ..

وعبرت ذهني آلاف الخواطر تعصف بنفسي حول ابي .. وشوكت هانم .. وأمي وأختي .. وما سيقوله الناس .. وغدا سأدخل الامتحان .. ولن استطيع ان اذاكر الليلة .. وأبي ربما كانت عيونه تلمع رضا وهو يضحك الان في صدر شوكت هانم ذي الرائحة المسكرة ..

أبي .. ابي النذل .. يفعل هذا .. وانفعلت نفسي فطوحت بذراعي في الهواء البارد .. واصطدمت بأحد المارة ودون ان اعتذر له صعدت مرة اخرى في غيظ قاتل الى شقة شوكت هانم ورفعت يدي احاول ان اطرق الباب في عنف .. ولكنه انفتح في نفس اللحظة وخرج ابي يسوي طربوشه مبتسما ويدس في جيبي ورقة من فئة الجنيهات الخمسة وذراعه على كتفي ، تلتهم ساقاه الدرجات الرخامية كالهارب ، حتى وصلنا الشارع ، وعبثت يده تحت مصباح الطريق في جيوبه لحظات .. ثم ارسلني لاحضر « تذكرة الدواء التي كتبها الطبيب » من تحت وسادة امي ، وهو يدعوني ان اسرع في احضارها قبل ان تغلق الاجزاخانة ابوابها .

وأسرعت اعدو حتى دخلت حجرتنا .. ورفعت بيدي وسادة امي ابحث عن تذكرة الدواء .. ثم تصلبت ذراعي .. وجمدت يدي في موضعها .. وتسمرت عيناي على وجه امي .. وقد جفت حبيبات العرق على جبهتها وغامت نظراتها .. فانكفأت على صدرها اهزها باكيا مرتعدا في رهبة .. وقد ادركت في هول .. انها قد فارقت الحياة ..

وكان ابي قد صعد ورائي بعد ان استبطأني ..

وقف على الباب اول الامر مضطربا مأخوذا مستندا الى الحائط لحظات .. ثم اقبل علي يرفعني من على صدر امي .. وأنا اجهش بالبكاء .. وهو يغطي وجهها بملاءة السرير البيضاء .. ودموعه تجري على خده .. ونشيجه مكتوم في صدره ، قبل ان يرسلني لاستدعي عمتي وخالي وأحضر شقيقتي معي من عند زوجها ..

وفي الصباح ..

بعد ان قضينا ليلة رهيبة بجوار جسد امي المسجى على السرير .. مال ابي على عمتي يحادثها بخصوص الكفن ثم اخذني من يدي ومضينا في صمت ندق بخطواتنا على ارض الطريق الصلدة .. من شبرا حتى شارع الخيري ، حتى وقفنا ننتظر ان يفتح تاجر الاكفان الحاج علي ابو الوفا متجره .. ونحن نتبادل النظرات القاسية .. كأنما نحن عدوان لدودان يحتقر كل منا الاخر .. ويضمر له في قلبه الحقد الكبير ..

كانت الجنيهات الخمسة لا زالت في جيبي .. كانت تلدغني .. تلدغني كأنها عقرب .. لانني اعرف من اين جاءت .. حتى لقد بددت وحزني على امي بحقد على ابي ، وهوان يسري في شراييني مع الدم لانني ابن ذلك الرجل ..

وكان ابي هو الآخر ينظر الي .. كان يعرف معنى نظرات الاتهام التي كنت اوجهها له منذ ان طرقت عليه باب مسكن شوكت هانم ..

ومنذ ان وارينا جسد امي التراب وعدنا الى الدار ، ونحن نتجنب الحديث الى بعضنا كلما اضطرتنا الظروف الى الحديث .. كأنه كان حديثا مقتضبا جافا كأنه الشتائم .. تتخلله الاشارات الغاضبة ... ونظرات الاتهام القاسية .. حتى جاء ابي في الليلة الثالثة لوفاة امي باحدى العربات .. ونقل اثاث حجرتنا الى مسكننا الجديد الذي نسكنه الان ، كيلا اتبادل نظرات الاتهام والاحتقار بين عينيه وبين مسكن شوكت هانم كلما جلسنا في المساء نتناول طعام العشاء ..

ولكن عيني ظلتا تقتحمان عيني ابي بالغيظ ، والبغض .. في مسكننا الجديد ايضا .. وقلبي تغزوه النزوات الطائشة ان افعل شيئا .. شيئا ما .. اي شيء يكون .. غير ان انظر في وجهه بنظراتي الخارقة القاسية ..

شيئا اقوله له .. او اشعره به .. او اعذبه من اجله .. شيئا اوضح له به ما يضطرب في اعماقي .. ويختلج به وجداني .. وما يعذبني من انفعالات تثور في نفسي .. كلما تذكرت انه قد فعل ما فعل ..

شيئا .. غير ان ابصق امامه باحتقار على الارض .. كأنما الفظ من فمي الدنيا كلها مع معزتي له كأب .. اقتحم نظراتي في وجهه كسكين حادة .. ثم استدير بوجهي عنه الى بعيد ناظرا في مهانة له .. كأنما اعلن براءتي .. من صلتي به ..

كانت نفسي تثور .. وتثور دائما في عذاب .. ليس على ابي وحده.. وانما على الناس كذلك .. الناس كلهم ..

اولئك الذين يعيش ابي معهم الحياه القاسية شديدة الوطأة .. كلها تكاليف .. ومطاليب .. وخوف وهموم .. وأحزان ..

المعذبون .. والمظلومون .. والمرضى والمتعطلون ..والحيارى والجهلاء.. وكثيرون .. كثيرون فقدوا حقوقهم في الحياة .. حتى ضاعوا سلام الطريق .. وأخذوا في صبر بليد يجترون هوانهم وعذابهم في هوان.. والناس الآخرون ..

اولئك الذين يرسمون خط حياتنا .. ويصنعون اقدارنا .. ويمتلكوننا كلنا .. ويسوقوننا دفعا الى ذلك الطريق الذي سار فيه ابي .. فباع فيه ما باع بشوكت هانم من ذات نفسه .. ليشتري لامي بالجنيهات الخمسة ما ظن انه سيكون الدواء .. وما كان هو الكفن .. وما انتهى به الامر بيننا اخيرا الى ذلك العداء الذي بدأ يفقدني ابي.. الى الابد..

هل كان ابي يبغضني ؟..

هل كان يحقد علي ؟..

هل كان يكرهني ؟..

هل ...؟

لا ...

ولكنني كنت اتهمه بخيانة امي .. كنت احتقره ..

كان يؤلمني ان اراه كلما جلست معه في أي مكان – وتذكرت امي .. امي المسكينة .. فلم يكن من السهل علي ان انساها .. وقد رحلت منذ ايام ..

كانت لا تزال تعيش في خاطري .. بمرضها ، وآلامها ، وحبها لي، وشجاعتها في احتمال ايام شقائنا .. ونحن نجر ايام الحياة .. كلنا يشكو ويلعن .. وهي تبتسم في وداعة ، محاولة ان تقوينا على الكفاح في مجالدة الايام ..

ولم يكن من السهل علي ان اترك المنزل كيلا ارى وجه ابي امامي يذكرني بما حدث .. الى اين كنت اذهب ..؟

ومع ذلك فلم اجد شجاعة في نفسي ، تدفعني لان اتهم ابي صراحة .. فاحدثه بما يعذب خاطري وأستريح باعترافه او بانكاره .. وعشت في تلك الآلام التي عذبتني اياما قليلة .. مرت بعذابها على اعصابي وتفكيري كأنها سنين ..

حتى جلسنا امس .. امس فقط نتناول طعام العشاء .. ونظرات العذاب .. فترك ملعقة الارز بجوار الاناء .. وقام صامتا هاربا من نظراتي النافذة .. يطيل التحديق في ظلام الليل البارد .. ونظراتي المسمومة تلاحقه كأنها تخترق ظهره وتقتحم عينيه تقول له : انها الخائن ..

ومضت لحظات ..

لحظات طويلة .. ملأ فيها الصمت الثقيل الحجرة مع الليل والافكار السوداء .. ثم جاءني ابي في الفراش .. حيث كنت اتمدد .. رشق نظراته الحنونة في عيوني .. وجلس بجواري ممسكا بذراعي يعترف لي بالحقيقة ..

لم يخن ابي امي ..

لقد حدثني عن كل شيء .. وسرد لي مقسما .. انه لم يرتكب خطيئة في حياته مع شوكت هانم .. كل ما فعله .. هو انه اعطاها املا ان يعود من جديد ليشرف على حسابات الوقف .. اذا هي اعطته خمسة جنيهات.. كسلفة مقدما .. وأنها ضحكت معه طويلا بصوتها وصدرها .. وحتى فجرها ايضا وهي تظنه سيهبها غدا امنية طالما .. وزينت له ان يحققها لها يوما من الايام ..

لقد اقسم لي ابي على ذلك مرات ، اقسم بقلبه .. واحساسه وعواطفه وثقته في حبي له .. ونظراته العطوفة في عيني ،وذراعه حول عنقي .. ودموعه على خده .. ونشيجه في صدره .. كانت هي كل دفاعه عن حبه واخلاصه لامي ..

وكان اعترافه لي على الاقل وأنا بجواره في الفراش ، اتصور الاحداث التي مرت بي ، وبأمي ، وبه ايضا .. هو نصف الحقيقة .. وليس كلها ..

من يدري ..؟

ان النساء .. النساء الجميلات الفاتنات ، من لهن سحر وروعة .. وفجر .. وفي اعطافهن نزوات .. قديرات على كل شيء .. حتى على ضعف ثقتي في تصديق الحقيقة التي سردها ابي كلها .. مهما اقسم لي من ايمان .. ومهما دللت على تلك الحقيقة نظرات ابي لي .. ودموعه في عينيه .. ورعشة صوته المخنوق .. وذراعه حول عنقي ..

من يدري ..؟

انها كانت أمي ..

أمي انا ..؟

ومن أعزازي بحبها .. ووفائي لبطولتها في حياتنا القاسية .. ان لا ازال اتألم .. وأن اقول عن دفاع ابي عن نفسه امامي انه نصف الحقيقة.. نصف الحقيقة فقط ..

نعم .. الم تدفع شوكت هانم ثمن الكفن الذي كفنا به امي ..؟

القاهرة — **محمد صدقي**

واجبات الناقد

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٥ ـ

لهذه الخصائص ان ابن المقفع فارسي المنبت وابن الرومي يونانيه .

ومن هذه الآراء ايضا تجاوز اهمية الموضوع في العمل تجاوزا يفهم منه ان اختيار الموضوع المتصل بالحياة مباشرة لا قيمة له ، وانما القيمة للاخراج الفني للاداء .

وما اريد ، ايها الاخوان الزملاء، ان امضي في استقصاء هذه الاراء . حسبنا منها ما قد ذكرناه .

ولكني اتساءل ، فيما يتعلق بالرأي الذي يفك العمل الادبي عن العمل الاخلاقي ، كيف يمكننا مع نظرة كهذه النظرة ان ننشيء ادبا عربيا يخدم القومية العربية ؟ او ليس من البدهي ان القومية العربية في حاجة الى تنشئة جيل متين الخلق يتحلى قادته بالبصر وبالزهد في المغنم الشخصي ، ويتحلى بنوه بالشجاعة في النضال ، وبالمسؤولية والدأب في العمل ؟ وكيف نربى هذا الجيل ان لم يكن الادب من وسائلنا ؟ فأدبنا ، اذا ، حتم فيه ان يكون خلقيا . وفنيته يجب ان تتجلى في متعته وفي بعده عن الوعظ ، لا في معارضته للاخلاق السليمة ، او في محايدته لها . انى اتساءل امن الضروري ان تكون النماذج البشرية التي يدور عليها ادبنا هي دائما ازواج يخونون زوجاتهم ، او زوجات يخن ازواجهن ، او ابناء يعشقون نساء آبائهم ، او مراهقون ومراهقات تحرقهم الرغبات الجنسية او مثقفون منطوون على انفسهم ينسجون ويحلون خيوط احلامهم واوهامهم في فراغ ، او متعطلون ندغدغ بتصوير مذرهم وبؤسهم شعور الشفقة في نفوسنا ونكتفي بان نشمت بمجتمع انتجهم . اين هي في ادبنا صورة النماذج البشرية الايجابية البناءة اجتماعيا وقوميا ، وبالتالي انسانيا ؟ اين هو في ادبنا صورة الفلاح المحيي الارض والمهندس المبدع والعامل الخلاق ، والجندي المناضل ، والطالب المهموم بمصير قومه ، ورجل المشروعات الصناعية والزراعية المعزز للانتاج الوطني ، والحاكم الذائب في سعادة شعبه، ورب الاسرة المنجب للوطن اثمن ما فيه : فتيانه وفتياته . اين هي صورة هؤلاء جميعا في ادبنا ؟ اين هو نقد الشخصيات السلبية المناقضة لهؤلاء (٣) ؟

واما فيما يتعلق ، باحداث ثورة « في القالب الشعري العربي » وتحرير هذا القالب من ضغطه وضيقه فنحن من الراضين المرحبين ، بشرط ان يبقى الشعر شعرا . ولست افهم بالشعر وزنا واحدا ، يلتزم بتفاعيله التامة او ببعض هذه التفاعيل ، كلا ولا نفهم بالشعر قافية واحدة . بل لسنا نفهم به حتى وزنا او قافية (٤) وانما نفهم به تعبيرا مكثفا ، نفهم به قولا مشحونا تنقلب فيه الكلمة الى فعل ، قولا قد حشدت فيه الطاقة حشدا ، بحيث تجيش في نفس القاريء او السامع قوة فوق ما يجيشه الكلام العادي . ونعتقد ان الشعر العربي له من هذه الصفة حظ خاص ، ونريد ان تبقى له هذه الصفة . يقول ابو تمام :

هم الفتى في الارض اغصان المنى غرست وليست كل حين تورق

فهذا تعبير شعري بنفسه وسواء اتم له وزن ام لم يتم ، وسواء اقامت له قافية ام لم تقم وقد نقول : يبذل الفتى المساعي فمنها ما ينجح به ومنها ما يخفق فيه ، وهو معنى كلام ابي تمام بالضبط . ولكنه ليس بشعر . واحتجاجنا بان الشعب يفهمنا اذا قلنا له : يبذل الفتى المساعي فينجح ببعضها ويخفق ببعضها ، وقد لا يفهمنا اذا خاطبناه بكلام ابى تمام ، ليس باحتجاج مقبول ، لان الآثار الفنية من شأنها ان تستدعي اعدادا خاصا لفهمها ، ونحن مطالبون بان نهييء للشعب هذا الاعداد الخاص . اننا لا نريد ان يبقى شعبنا على حالته . بل أن رسالة القومية العربية التحررية تدور على هذا المحور بالذات : ان لا يبقى شعبنا على حالته ، بل يرتفع في مستواه الثقافي والمادي . وسنجد فيه عند ذاك من القدرة على ادراك اسرار الجمال في التعبير الرفيع ما يدهشنا ، ويحملنا على طلب الاستغفار لانفسنا لاننا قللنا من مواهب الشعب .

واما فيما يتعلق بشعر المدح والفخر ، فانني لا ارانا على صواب حين ننفى منه الخير نفيا . وسبب خطأنا اننا قد

---

(٣) قد يفهم من هذا الكلام اننا ندعو الى تطبيق ايديولوجية معينة على الاديب ماركسية او غيرها . والواقع اننا لسنا من الذين ينقلون الايديولوجيات نقلا اليا لتطبيقها حيث لا تنطبق، لا الايديولوجية الماركسية، ولا الايديولوجية السارترية الوجودية ، ولا غيرهما . فالماركسية ـ بالنتيجة ـ ايديولوجية حزب يعبر عن مصالح طبقة خاصة . والوجودية السارترية ايديولوجية مثقف هي ردة فعل للايديولوجية الماركسية وقالبها الضاغط . والحالتان لا تنطبقان علينا . فادبنا ادب امة تتفتح وتنطلق وتتحرر .لا مجرد ادب طبقة خاصة ، ولا مجرد ادب للمثقفين الذين يضيقون ذرعا بايديولوجية طبقة خاصة . في ادبنا يجب ان تبرز وجوه جميع القوى العاملة على التحرر الوطني والتجدد الاجتماعي ، مع ما فيها قوى راس الماليين الوطنيين واصحاب المزارع وقوى المتدينين وكل القوى الايجابية او التي يمكن ان تحول الى ايجابية . (اضيف هذا التعليق بوحي بعض المناقشات التي دارت في المؤتمر ـ المحاضر)

(٤) كبعض الشعر الطليق الذي انشاه جبران والريحاني .

أخذنا في تقييمه تارة بهذا الذي نسميه صدقا تاريخيا ، وطورا بهذا الذي نسميه لياقات صالونية . قد يكون المتنبي كاذبا في التصوير التاريخي ساعة يقول لسيف الدولة :

الجيش جيشك غير انك جيشه   في قلبه ويمينه وشماله
ترد الطعان المر عن فرسانه   وتكافح الابطال عن ابطاله
كل يريد رجاله لحياته   يا من يريد حياته لرجاله

قد يكون المتنبي كاذبا او صادقا في تصويره هذا . وليكن كاذبا او صادقا . ذلك هم المؤرخين . فاما نحن فنعتبر ان ابا الطيب قد قال هذا القول في شخصية اسطورية ، كتلك التي تعقد عليها الملاحم ، وقد جلا بهذا الكلام صفة من صفات الزعامة الحق : التضحية ، الايثار الفداء ، ونحن احوج ما نكون الى هذه الصفة البطولية في الزعامة . ففي قول المتنبي اذا ، غذاء لنا فنحن نحبه ، ونحن نغذى به ناشئتنا ، وليحتج الصدق التاريخي حتى تبح حنجرته .

وكذلك ربما كان عمرو بن كلثوم في عرفنا قد خرق اصول اللياقات الصالونية حين قال لعمرو بن هند :

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا واوعدنا رويدا   متى كنا لامك مقتوينا

ولكني ارثى للهزال في مدارك اولئك الذين لا يرون في هذا الشعر سوى رجل يتبجح بما يخرق اصول اللياقة . ماذا ؟ الا ترون معي ان هنا صوت انسان عربي ، او صوت انسان اذا شئتم يتحدى ملكا يعتبر الناس عبيد امه ؟ ونحن احوج ما نكون الى مثل هذه الروح الابية نغذي بها قوميتنا ، فنحن اذا نحفظ هذا الشعر ونتشبع به ونترك اللياقات الرخوة لرجال من جفصين .

واما فيما يتعلق بالوحدة في القصيدة فاننا نوجب رعاية هذا الشرط في شعرنا الحديث شرط ان لا يفهم به ان القصيدة ينبغي لها ان تكون كالمقالة . فالقصيدة شيء والمقالة شيء آخر . وحين لا يفي الشعر باكثر من المقالة فليعف الشاعر نفسه من عناء النظم . ووحدة السياق لا تبرر — حتى في ادق اجزاء العمل الشعري — ان ندخل كلاما ميتا بحجة انه جزء من كل او قطعة في بناء . وقد اخذت على احد شعرائنا المعاصرين ممن اتتبعهم لاني احبهم واحب مغامراتهم في تجارب الشعر الحديث ، اخذت عليه قوله : « وشربت شايا في الطريق . » وزعمت انه كالكلام الميت . ولم يقنعني ان يكون شرب هذا الشاي قسما من تلك التجربة الشعرية التي عبر عنها الشاعر الصديق . ولم يقنعني ان لا حق لي باجتزاء هذه الشطرة الواحدة من بناء شعري بكامله . فقد اضطر المتنبي ان يقول ان جيش سيف الدولة الزاحف القاء البيزنطيين بلغ بلدة سروج في الصباح الباكر . على انه لم يرض الا ان يعبر عن معناه بهذا النحو المبتكر :

فلم تتم سروج فتح ناظرها   الا وجيشك في جفنيه مزدحم

فكان شاعرا .

وثمة مثال آخر ذكرني به هذا القصر الفخم الذي مكننا بفضل الثورة في مصر ان ندخله ، كما دخلناه ليلة امس بدعوة من جمعية الادباء . يقول خليل مطران في قصيدة شعرية وصف بها قبل هذا القصر من قصور الاشراف :

بناء بمال الناس قام جباية   ولو ذوبوا تذهيبه لجرى دما!

فلم يكن مطران شاعرا في صدر البيت ولكنه كان كل الشاعر في عجز البيت .

صدقوني انني عشت ساعة ليلة امس اتامل هذا الذهب الذي طليت به قاعة القصر ، واحس انه دم الشعب المصري العربي ، وابتهج لان هذا الدم قد عاد الى شرايين صاحب الحق فيه ، وانتشى بهذه الطاقة التعبيرية المكثفة في شطرة مطران ولو ذوبوا تذهيبه لجرى دما !

واما فيما يتعلق باتخاذ الترجمة معيارا لقيمة الشعر ، نترجمه ثم نرى حصيلة ما يكون في ايدينا منه ، فحسبي ان اطالب اصحاب هذا المذهب ان يدلونا على اثر شعري واحد في آداب الامم قد امكنت ترجمته وحفظ عليه رونقه وسحره . وقد عرض الجاحظ لهذا النحو من التحكم في الشعر ، فلم يترك مجالا لقائل حين قال ان الشعر اذا حول سقط موضع التعجب . ونحن حين نريد اخضاع الشعر لهذا المقياس ، مقياس ما يبقى منه اذا ترجم ، السنا نسيء الى عبقرية التعبير باللسان العربي ، ولكل لسان عبقريته في التعبير . وهذا القرآن ، على انه ليس بشعر كمألوف الشعر ، فلنتخذ لنا منه الاية مثلا : (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون .) ثم فلنعتبر اي روعة اكتسبتها الاية حين وقفت عند مقطعها

إحتياج

١ ـ كيف الوصول ..؟

العمر قد يروح
وينتهي الزمان
يا نور عينيه ..
لكن أمنيه
بالصدر مطويه
تظل لا تبوح !
وكيف يستطيع ..
ذراعي الصغير
كحبة الشعير !
ان يبلغ القمر ؟

٢ ـ لكنني بشر !

وددت لو أكون ...
كمدية مسنونة الاطراف ..
لم يحوها بشر !
فأرتمي على الصعاب لا اخاف
أصارع القدر !
حتى يكون لي ..
جمالك النضر !
وددت لو اكون ..
وكيف استطيع ان اكون ..
وليس عندي ساعدا شمشون
ولا غنى قارون
بل انني بشر
كسائر البشر
اود ان اعيش !

٣ ـ لكنه النصيب !

كم مرة رحلت رحلة الضنى ..
عبرت الف غابه ..
فتشت عنك فيها
اوشكت ان اصل ! ..
لكنه النصيب !
فالعفو والسماح ..
ان كنت لم اصل ..
ففي يدي جراح ..
من رحلة الضنى
وعـــــرة المسير !

٤ ـ وكوكبي بعيد !

القيت بالبذور ..
والنيل في التمام ..
وقيل مر عام
ولم ار النوار في الحقول!
فقلت ربما لم احسن النظام ..
ذهبت عند شيخنا فقال : لا عليك ..
تحتاج ساعدين
ودعوة تنساب في الصباح !
فقلت سيدي ..
ومن سيدعو لي ؟..
من سوى القمر !
وكوكبي بعيد !
وعدت في المساء ..
ومهجتي تنوح
فالعمر قد يروح
وينتهي الزمان
يا نور عينيه
لكن امنيه
بالصدر مطويه
تظل لا تبوح !

القاهرة **كمال عمار**

الاخير : (وكذلك يفعلون) ، ثم فلنعتبر اي طاقة تعبيرية تفقدها الاية اذا رحنا نقول : ان الملوك اذا ادخلوا قريـة افسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة ، وهذا دأب الملوك في كل زمان ومكان . فاذا كانت الاية قد فقدت هذا القدر مـن طاقتها التعبيرية بمجرد تحويل بعضها من اللسان الـى اللسان نفسه ، فاني لا ارى كيف نستطيع ان نسلم باتخاذ الترجمة من لسان الى اخر مقياسا لتقييم الشعر او تقييم حتى الاثار الادبية عامة .

وأما فيما يتعلق بالمفاضلة بين العامية والفصحى ، فاننا نقول ان القومية العربية ينبغي لها في الاداء الادبي ان تؤثر الفصحى ، فهي لغتنا القومية العربية الجامعة ، لا لغة الاها ، والذين يدعون للعاميات هم الذين يريدون فصم عروةحيوية من عرى وحدة القومية العربية . وما أحسبنا نريد ان نمشي في ركاب هؤلاء . والاحتجاج بأن الشعب لا يفهم الفصحى ذريعة ينبغي لنا ان نقضي عليها ونستطيعان نقضي عليهابتعليم الشعوب العربيةلغتهاالفصحى الجامعةمبتدئين بتذويق جمال التعبير بالفصحى ، مطالبين ادباءنا بأن يبدعوا ادبا مثقفا وفنيا يستهوي نشئنا النابت . واننا لن نستطيع ان نبني قوميتنا العربية (٥) الجامعة اذا أذنا بأن تصبــــــح

(٥) يضيق الوقت فيهذا المقامعنالتبسط فيخطأ الداعينالىالعاميات . انهم يحتجون بأن العاميات هي لعامة الشعب العربي ، كأن الشعبالعربي، بالضرورة جامد اللسان على حالة واحدة ، لا يمكن اكسابـه الفصحـى بتعليمه اياها تعليما منظما . ويقيس هؤلاء العربية الفصحى بمصير اللاتينية ، غير مدركين ان الذي فكك اللاتينية انما هي الروح القومية التي فرقت الناطقين بها ، بينما الروح القومية تجمع اليوم الناطقين بالعربية حول فصحاهم . يضاف الى ذلك ان الاسباب الفاعلة في التاريخ ، عصر تفكك اللاتينية ، كانت تعمل عملها على غير وعي من الشعوب وقادتها ، بينمـا اكتسبت الشعوب وقادتها في عصرنا صناعة جديدة هي عمل تاريخهـم بأنفسهم ، بالتحكم الواعي في ظروفه وقوانينه . فالعرب اذا شاؤوا ان تحيا فصحاهم كل الحياة ، استطاعوا ذلك بنشر تعليم الفصحى فـي ابناء الشعب ،ونشر التعليم كله بالفصحى ، وزيادة غناها بما يضعون بها او ينقلون اليها . وعلى كل حال ، انها معركة ليس لنا ان نستهين بحدتها وشدتها بين الذين يخدمون القومية العربية خدمة واعية ، والذين يقفون منها موقفا معاديا بوعي او لا وعي . وان من واجب هذا المؤتمر ان يفكـر في طرق عمليةلاكتساب النصر في هذه المعركة الخطيرة . وليعذرنـا الكتاب بالعاميات ، فان اتجاه الفصحى نحو التيسير (نحن لا نكتب اليوم بلغة الحريري ، ولا ناصيف اليازجي) واتجاه العامية نحو التهذيب والاخذ من الفصحى ، يحتم ان يكون ادبهم لمرحلة معينة . ان شعبا يقرأ كـله ، وبالتالي يفهم الفصحى الميسرة ، لن يجد لهم مبررا لاستعمال وسيلـة اداء غير الفصحى الميسرة .

العاميات وسيلة الاداء الادبي . ومن كان يرى في الفصحى نقصا فأقل ما نقول له : ان عليه ان ينتظر حتى يستكمل بناء القومية العربية الجامعة ، ثم فليدعنا — اذا شاء — الى لغة عربية عامية شرط ان تكون واحدة . وحدة اللغة ،هذا هو المهم . فلا قومية بلا وحدة في اللغة !

وأما فيما يتعلق برد خصائص الادباء الى اصلهم الجنسي قبل الاستعراب ، فاننا نقبله حين يقبله العلم وحين لا يراد به شعوبية ترمي الى جحد فضل العرب بتجريدهم من كل من ضوى الى قافلة ادبهم في عصور تاريخهم . والعلم حين يدرس اديبين كابن المقفع وابن الرومي مثلا ، يثبت انهما مدينان في خصائصهما لهذا العصر العباسي الذي كان بحسناته وسيئاته مرحلة من المراحل في تاريخ الادب العربي . ولا تكفي فارسية ابن المقفع ولا يونانية ابن الرومي لتفسير عبقريتهما ، وانما يستطاع تفسير عبقريتهما في حدود هذا العصر العباسي الذي تلاقت فيه تيارات متعددة من عربية وفارسية ويونانية وهندية واسلامية ومسيحية ومجوسية وغيرها ، وتفاعلت لتؤلف الثقافة العباسية العربية .

وأما فيما يتعلق بتهوين خطر الموضوع في قيمة العمل الادبي وارساء الاهمية كلها على الاخراج والاداء ، فرأي لا يرضاه مذهب في النقد يراد به خدمة القومية العربية . لسنا نريد التضييق على الاديب العربي فيما قد يؤثر من موضوعات وشعارنا في هذا الامر ان كلا ميسر لما خلق له. ولكننا جميعا نذكر قصة زنطيب امرأة سقراط ونضحك. يروى ان المسكين حين حكم عليه بشرب السم جعلت امرأته تصيح به : يقتلونك ولم تشتر لي القبقاب الذي وعدتني به ؟ اننا على يقين ان القومية العربية لا يمكن قتلها كما قتل سقراط بالسم ولا بغير السم ، لا نزال نناشد الاديب العربي بأن لا يقف موقف زنطيب ، فلا يكون له هم سوى القبقاب بينما تشغل قومه وتشغل الدنيا احداث جسام حاسمة في تقرير المصائر . ان الموضوع في الادب هو دليل رصانة التجربة التي يتمرس بها الاديب ، اهي تجربة عنته شخصيا ولها معنى بالقياس الى حياة امته ، ام هي تجربة فرد منطو على ذاته . لقد لوحظ بحق ان ادبنا العربي القديم والحديث تكثر فيه تجارب الافراد المنطوين على ذواتهم ، فلا بأس بأن يخرج اديبنا العربي من « شرنقته » كما يقول مفكرنا وفناننا الخالد عمر فاخوري.

ايها الاخوان الزملاء ،

ترون ان هذا الذي استطعنا ان ننتهي عنده في غرض النقد والقومية العربية جد يسير واذا كان لي أن اؤكد على شيء ، فهو ان القومية العربية في حاجة الى فلسفة حياة نحياها ، ونظرة شاملة الى الوجود . ومن واجب الناقد العربي ان يساهم في رسم هذه النظرة القومية العربية التحررية المتطورة ليستطيع على ضوئها ان يقيم ادبنا القديم والحديث تقييما فنيا وفكريا وخلقيا في مصلحة قوميتنا النامية .

وشيء آخر اريد ان اؤكد عليه ان عملنا كله يبقى لقلة النخبة — اذا شئتم — ضيق المدار ما لم نحمله الى الشعب وندخله في وعي الشعب ، شرط ان لا نتخذ من مستوى الشعب وهو في حالة راهنة معينة ذريعة لانتاج ادبي ركيك . فلنكتب للشعب اذن كأدق ما نستطيع النقد ،ولننتج له ادبا كأرفع ما تبلغ اليه طاقتنا في انتاج الادب ، فان لم يفهم الشعب اليوم فهم غدا . وان لم يفهم بنفسه أعانه على الفهم هؤلاء الوسطاء الذين نسميهم النقاد ، وان استعذتم منهم بالله في احيان . فأما اذا آثرنا ان نتجه الى الشعب بكتابة نعلم ان الجمال والاتقان يعوزانها في الشكل والمضمون فلنؤمن ان حظ ادبنا ونقدنا من البقاء يسير ،لان الشعب سرعان ما يتجاوز الدور الذي يجد به متاعا وغذا في آثارنا ، فتهمل .

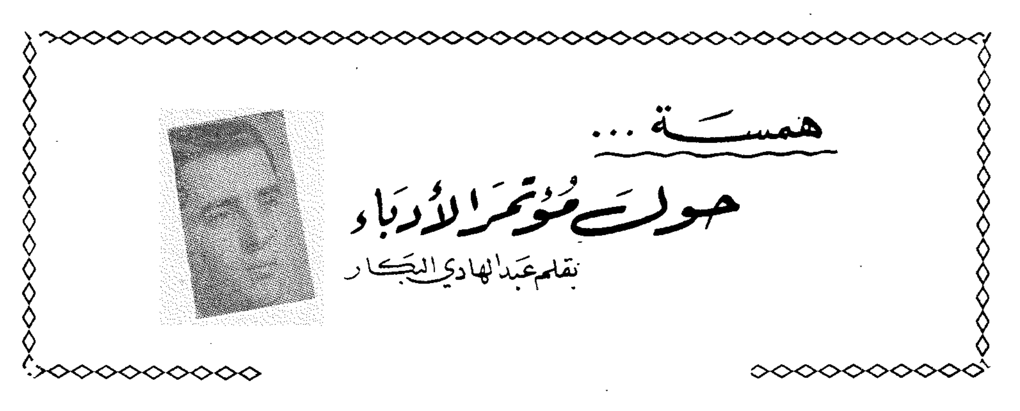
اني لأرحم الاثر الادبي الذي يستطيع القارىء ان يستنزف ما فيه بقراءته مرة واحدة . ينبغي في الاثر الادبي الرفيع ان يصدق فيه قول ابن الرومي في وحيد :

أهي شيء لا تسأم العين منه   أم لها كل ساعة تجديد؟

وليؤذن في الختام ان اتقدم من هذا المؤتمر الكريم بتوصية عامة :

« بالنظر لأهمية النقد في توجيه الادباء شطر الاتقان لفنهم ، والاحتفال لهموم امتهم ، وبالنظر لاهمية النقد في الاغراء بالمطالعة ، وفي توجيه القراء الى فهم آثار ادبائهم وغربلتها وتقييمها ، يصار الى انشاء او تبني مجلة ادبية قومية عربية للنقد ، يتولى انشاءها ، او يتبناها، اتحاد عام للادباء العرب . »

رئيف خوري



همسة ... حول مؤتمر الأدباء

بقلم عبد الهادي البكار

سافرت من دمشق الى القاهرة ، وبينهما من المسافة ما بينهما ، لاكون على اتصال مباشر بالحيوية المتحركة لدى الادباء المشتركين في مؤتمر الادباء العربي الثالث الذي انعقد في العاصمة المصرية خلال شهر كانون الاول الماضي،وبودي، في هذا العدد الخاص الذي تصدره مجلة (الاداب) الغراء، ان اوجه هذه الكلمة الى اعضاء المكتب الدائم للمؤتمر :

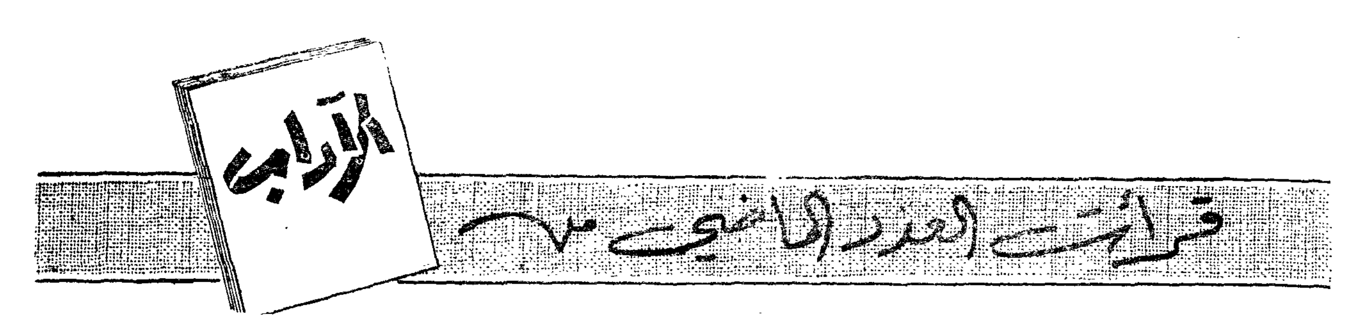
كان المؤتمر الذي انعقد في السنة الماضية ببلودان في سوريا موفقا اكثر من هذه السنة من الناحية التنظيمية ، رغم ان اكثر الادباء هم انفسهم في كلا المؤتمرين .. ذلك‌ان تخصيص الفترة الصباحية من النهار لالقاء المحاضرة ، وتخصيص فترة ما بعد الظهر ، من ثم ، للمناقشة ،فيما بين المحاضر وناقده ، والجمهور ، في مؤتمر السنة الماضية، كان تنظيما مناسبا اكثر مما قد اتبع في هذه السنة ، حيث عمت الفوضى ، فلم يستطع المناقش ان يؤدي فكرته في الشكل المتقن المتطلب ، ولم يتمكن الجمهور نتيجة لهذا ان يقطف الثمرة المتوخاة من عقد مثل هذه المؤتمرات التي‌تكلف الحكومات والمشتركين الاحرار مبالغ لا بأس بها . اقول‌هذا، تعقيبا على ما حدث في الجلسة الثالثة من مؤتمر هذه السنة ، حين القت كلمات الجلسة للاردن وفلسطين ومصر في اقل من ساعتين ، وطلب بعدها رئيس الجلسة ، وكان الدكتور سامي الدهان — من جمهور المشتركين التقدم بطلب السماح لمن شاء منهم بالنقد شرط الا تتجاوز مدة الكلام اكثر من خمس دقائق .. وتقدمت من ثم عشرات الطلبات فأعلن الرئيس ان حق التكلم سيمنح المناقشين حسب ورود اوراق طلباتهم . وتكلم كثيرون ، كان اولهم الدكتور سليم حيدر من لبنان ، فاعترض على فكرة (رابطة الدين) الواردة في كلمة مندوب فلسطين ، وكان التعبير عن اعتراضه هذا لا يحتاج الى اكثر من خمس دقائق بطبيعة فكرته . وتلاه الدكتور سهيل ادريس الذي انتهى في‌وقفته الى القول : « اسمع طرقا وراء ظهري ،فلا استطيع ان‌اتمم» ثم ذهب الى مكانه . وكذلك كان من امر الشاعر الاستاذ عبد الرحمن الخميسي ، ومن امر الاستاذ حنا مينه الذي رجا الرئيس حين كادت دقاته على الطاولة تطغي على‌صوت الناقد ، معلنة انتهاء النصاب الزمني القانوني ، ان يسمح له بتلخيص بقية كلمته في سطرين ، فرفض بحجة ان التنظيم يجب ان يسري على الجميع .. ورجع الاستاذ مينه الى مكانه ، وضاعت الفائدة التي كان يمكن ان يقدمها للجمهور ، كل من النقاد الثلاثة .

ارى انه يصلح اكثر في المؤتمرات القادمة ان يختصر عدد المتكلمين ، لتكون المواضيع التي ستلقى وافية ومفيدة .وان يخصص للمناقشة الحرة وقت اوسع ليستوفي الموضوع اسباب نجاحه وعرضه من جميع وجوهه .. وليكون الاديب والناقد واثقين من انهما اذ يقفان على المنبر ، فسيعرضان فكرتيهما ، كاملتين ، على الاقل !!

هذا الخطأ بالذات ، يمارس الان في مصر وسوريا من قبل وزارتي التربية والتعليم ، في برامج التعليم الثانوية والجامعية : مواد دراسية كثة ، ووقت قصير ... ومعذلك يتساءلون : لماذا تكون الفائدة من هذه البرامج المقررة .. قليلة !!

وحتى لا تكون نتائج المؤتمر المتوخاة ، كبرامج التعليم كثيرة جدا ، وغير مجدية البتة ، وغير قابلة للتنفيذ ـ لانها لم تأخذ نصيبها الطبيعي من النضج ـ اقترح الاهتمام اهتماما كافيا بتحقيق الانسجام الزمني مع نوع وعدد المواضيع التي ستعرض .

القاهرة — **عبد الهادي البكار**



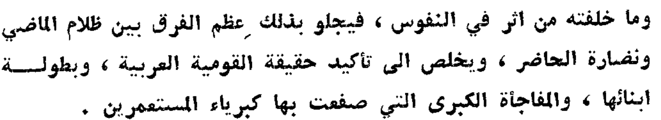


بقلم محمد وهبي

دروس من بور سعيد

لرئيف خوري

كتب هذا المقال بمناسبة ذكرى العدوان الثلاثي على مصر في العام الفائت . ولكي يبرز الكاتب اهمية انتصار العرب في معركة بور سعيد ، قام بعرض سريع لوضع العرب في الماضي وللروح القومية التي كانت سائدة فيه بما فيها من عوامل متضاربة متناوبة من التمرد على الاستعمار ، الى ما يشبه اليأس والاستسلام الى التصميم والنضال ، مما كان يخمده الاجنبي المستعمر بجيوشه ومناوراته ، بحيث ان بعث الامة العربية اوشك ان يعتبر امرا محالا . وينتقل الكاتب بعد ذلك الى معركة بورسعيد



وما خلفته من اثر في النفوس ، فيجلو بذلك عظم الفرق بين ظلام الماضي ونضارة الحاضر ، ويخلص الى تأكيد حقيقة القومية العربية ، وبطولة ابنائها ، والمفاجأة الكبرى التي صفعت بها كبرياء المستعمرين .

وفي هذا المقام يعمد الكاتب الى استخلاص الدروس والعبر من هذا الحدث التاريخي . والدروس التي يراها دروس حقيقية يمليها منطق الحوادث على كل من المعتدين والعرب والروس انفسهم على السواء . على أن اهم هذه الدروس في اعتقادي ، وأشدها فعالية في النفوس ، هو الدرس الذي تلقاه العرب في هذه المعركة . وهذا الدرس الذي يورده الكاتب بقوله : «واخيرا كان انتصار بور سعيد درسا للامة العربية والقومية العربية نفسها ان المستعمرين تمكن هزيمتهم ، وأن الشعوب المغصوبة حقوقها اذا وقفت صامدة في سبيل هذه الحقوق ، لا تتخاذل ولا تتقاعس عن تضحية ، فانها واجدة اصدقاء يقبلون على نصرتها لانهم يرون لصداقتها قيمة ومعنى ، وواجدة ايضا اعداء ان لم يتعلموا حبها تعلموا احترامها مكرهين » . هذا الدرس ينصب على ابراز بعض المعاني العامة ، ولكنه يغفل التحديد لبعض الامور التي من شانها تكملته وتوضيحه . والتحديد الذي أرى ضرورته هنا ، يتناول ظاهرة اشتراك الشعب في الحرب الى جانب الجيش ، ومساهمته البطولية في مقارعة جيوش المعتدين في تصميم وعناد من شارع الى شارع ، ومن منزل الى منزل . فهذا اللون من الوان الكفاح الذي خاضه الشعب المصري في بور سعيد ، هو لون جديد على العرب في تاريخهم الحديث ، وقدوة رائعة لا شك أنها اصبحت لهم في بقية اقطارهم مثالا يحتذى وعاملا أساسيا من عوامل تكامل بعثهم المرتقب . ان معركة بور سعيد هي اول تجربة حية خاضها العرب فتفاعلوا بأحداثها ، واستجاب لهذا التفاعل افراد من الشعب منهم الى جانب المسؤولين ، وحال فيها موقفهم الايجابي الشامل دون ظهور المواقف السلبية ، بحيث انهم أمسكوا بزمام الحوادث وقرروا مصيرهم بأنفسهم بعد ان كانت الحوادث هي التي تقرر لهم على الدوام هذا المصير .

وليست اهمية هذه الظاهرة في ايجاد الاصدقاء وكسب احترام الاعداء ، بقدر منحها للشعب العربي روحا جديدة يغسل بها نفسه من ادران السكينة والخمول التي علقت بها في العهود المتأخرة .

ان هذه الظاهرة بشير خير لبعث الامة العربية ، وبرهان ذلك ما كان لها من صدى عميق في سوريا ايام خطر التهديد التركي الاخير . ولهذا فاني اعتقد أنها ، الى جانب تلك الدروس القيمة ، اهم درس تلقاه العرب عن معركة بور سعيد .

على اساس من حديد

لمحمد النقاش

مقال سياسي تحليلي يستعرض الاحداث العربية الاخيرة ويحللها تحليلا لا يخلو من العمق ، كما يتميز من الناحية الوطنية بصراحة جريئة ناصعة ، فلا هو يداري ولا هو يوارب . والنتائج التي ينتهي اليها فيه كاتبه ، مع ما بها من التقاء بوجهة نظر السياسة العربية السائدة ، لا تنتقص من نزاهته او عمقه ، اذ ان الروح التي كتب بها هي ولا شك روح صافية جمعت الى وعيها القومي فكرا مركزا واضحا . والقيمة التحليلية لهذا المقال تتركز في هذا الربط الموفق بين الاحداث السياسية مثل ابراز العلاقة بين الحشد التركي والمفاوضات التي جرت قبل توقيع الاتفاق الاقتصادي بين سوريا والاتحاد السوفياتي ، بمعنى القصد الى احباط هذا الحدث الخطير والاول من نوعه في منطقة الشرق الاوسط .

ولست أود ان يفوتني لفت النظر الى انوجهة نظر الكاتب جديرة بكل تقدير . فهو بعد ان استعرض مجالي الانشاء والنهوض المختلفة في العالم العربي قد اصطفى منها حدثا قد لا يكون بارزا ، لكي يعطيه الاهمية القصوى بالنسبة لبناء المستقبل ، وهو افتتاح اول فرن كهربائي في مصر لصهر الحديد . فهذا الحدث يعد بحق من اهم الدعائم الحقيقية لسياسة التصنيع التي ستكفل لمصر النمو والازدهار ، والتحقيق لنهضتها الكبرى .

التناقض بين المجتمع والتفكير

لعبد الله القصيمي

يشتمل هذا المقال على مجموعة من الاراء المتفرقة يعرضها الكاتب بسبيل ابراز ما سماه بالتناقض بين المجتمع والتفكير . وبين هذه الاراء كثير مما لا ينقصه العمق والاستناد الى علم النفس . ولكن بينها ايضا ما نأت به المبالغة ومحاولة الاتيان بجديد عن التوفيق من هذه الناحية ، فجاء اما مناقضا للواقع ، واما مقررا لبعض البدهيات ، واما محاولا ابتكار حالة من الوفاق او الصراع بين امرين لا سبيل الى التقائهما على صعيد

واحد من المقارنة لاختلاف طبيعة كل منهما عن طبيعة الاخر ، كما تشير الى ذلك الفكرة الرئيسية المتمثلة في العنوان ، فضلا عن ان التفكير بطبيعته حالة فردية تنبثق عن التركيز المرتبط بالعزلة ، وأن المجتمع جسم روحي ينبثق في الاصل عن التفكير في تفاعله مع الحياة وان كان لا يؤاتيه بحكم حاجة التفكير الى الفردية في حالتي التركيز والعزلة . وصفة التفكيـــر هذه هي التي تجعل بعض الاحوال البدائية او الخاصة للمجتمع معاكسة للتفكير ، كما هي الحال مع الجماعة او الجمهور الذي لا يمثل مجتمعا نظاميا متعضيا ، وكما هي الحال ايضا مع المجتمعات المتاخرة او التي تعاني ضغطا خاصا كالضغط السياسي او ضغط التقاليد المحلية ، وليست هذه الا احوالا خاصة لا يجوز التعميم على اساسها . واما احوال المجتمع الثابتة فانها ان بدت معطلة للتفكير ، فقد صدرت عنه في الاساس ، وهو الذي قرر لها صفة الثبات بغية تيسير الحياة ، مثلما قررت الطبيعة للانسان ان يسير على قدميه بصورة تلقائية دون الحاجة الى التفكير كلما اراد نقل قدم وتقديمها على الاخرى .

لذا فان صفة الثبات في ظواهر المجتمع ، وصفة ايمان بعـــض المجتمعات في التعاليم الموروثة ، وصفة التصديق عند بعض المجتمعات ، كل هذه وغيرها لا تبيح لنا ان نقول مع الكاتب : « وكل مجتمع لا بد ان يخشى التفكير على نحو ما ، لان المجتمع نوع من الاستقرار ينافي التفكير ... » ولا ان نستنتج معه بالقول « اذن لا بد ان يوجد نوع مـن الصراع القائم على التناقض بين المجتمع والفكر .. » ، ذلك لان الكاتـب نفسه يستدرك قائلا « ولكن المجتمع القوي يستطيع ان يتحمل جميـع الهزات الفكرية ، لانه قادر على التكيف والهضم والمقاومة » ، مع العلم بأن صفة القوة التي يراها الكاتب في بعض المجتمعات بحيث تمكنها مـن التكيف والتطور والهضم والمقاومة تدعو الى التساؤل عما هي ؟ وهل هي غير قوة الفكر ؟.. وما الجديد هنا في قولنا ان الفكر تصادم مع الفكر ؟.. غير ان الكاتب يقول « : ان الحضارة كلها محصول تصادم بين وضع وفكر » . وهذا طبيعي وجد بدهي ، لان التفكير ما هو الا نتيجـة احتكاك العقل بالاشياء ، ومنها المجتمع الذي هو بدوره ، باعتبـاره مجموعة مؤسسات روحية ، قائم على الاجتهادات الفكرية التي تمثلهـا الحضارة ، كما انه يغتذي وينمو بهذه الاجتهادات بدلا من ان يقاومها . ولذا فان هذا القول لا يسيغ لنا ان نعتبر كل ما يحتك او يصطدم بـه الفكر عامل مقاومة وتعطيل له .

ثم ان الكاتب يقدم « افكارا ضد التفكير » . ولعله يرمي بذلك الـى تغليب مفهوم المجتمع كما هو في نظره على مفهوم الفكر ، او الى مجرد التدليل على ان في الحياة متناقضات .

غير ان معظم هذه الاقوال كان مغرقا في المبالغة . خذ قوله مثـلا : « العاجزون هم الذين يبحثون عن الفكرة الصائبة خوفا من الوقوع فـي الخطأ المقدام ! » وقوله « البحث عن الخطأ والصواب هو من عمل الضعفاء والفلاسفة ! » .

الواقع انه بهذه الاقوال يسن تعاميم بالاستناد الى مجرد احـوال استثنائية ، وهذه الاحوال الاستثنائية هي احوال « الاقتصار على التفكير دون الانتقال الى العمل » . فباضافة هذا المعنى الى هذه الاقوال ،يتغير معناها وتصبح اقرب الى الواقع ، باستثناء ما يتعلق بالفلاسفة . وفـي الحقيقة لقد استدرك الكاتب واقترب من هذا المعنى بما يشبه التصحيح، بايراده عبارتي « احيانا » و « بعض » في قوله : « العجز يتحول احيانا الى تفكير ،والتفكير في بعض حالاته نوع من الفرار ... »

اما قوله « الحركة القوية » اجدى من الفكرة الصحيحة » ففيـه غموض يدعو الى التساؤل عما يقصد بعبارة « اجدى » بالنسبة لمفهومي قوة الحركة وصحة الفكر ، وهل يرى في معنى « الجدوى » مجرد تنفيذ امر ما ولو لم يرتكز الى تفكير صحيح ، أي مجرد تأكيد الذات ؟.. ولعله يود بذلك ان يلتقي بنيتشه في « انسانه الاعلى » .

وخلاصة القول ان القارىء لا يجد في« افكار ضد التفكير » اية فكرة حقيقية ضد التفكير . فالقارىء الذي يقرأ ليفكر ،والذي يعلم انالكاتب يكتب لانه يفكر ، والذي يؤمن بان ليس من عمل عظيم لا يصدر عنالتفكير، تستولي عليه الدهشة حين يقرأ قول الكاتب : « تنتقل بصيرة الزعيـم العظيم من تفكيره الى عزيمته ! » وقوله : « القائد الموهوب هو الـذي يجيد ان يفعل لا الذي يجيد ان يفكر .. لهذا لا يكون القائد المنتصر الا ضيق الافق متعصبه . وهذه ليست رذيلة في القائد بل فضيلـــة » . والتساؤل هنا على هذه « الاجادة في الفعل » ومن أي نوع هي وفي أي مجال تكون غير مجال التفكير ؟

ويلمس القارىء ان الكاتب يحب من وراء هذا ان يغلب على قيمـة الفكر قيمة بعض المفاهيم مثل « الحدس والحافز والتصميم والحركة » ، ولكن هذه المفاهيم لا تستطيع بأية حال ان تقوم مقام الفكر المنظم ، وان كانت تعاونه في البداية والنهاية .. بل انه من غير المعقول ان نجـزىء الحياة النفسية ونقيم بين ظواهرها الحواجز والفواصل ، فنعتبر ان هناك تفكيرا دون حدس ، او حركة دون حافز ، او حركة صائبة دون حدس وتفكير .فنفسية الانسان بجميع عناصرها كائن واحد متصل متكامل لا يعرف الانفصام .

وفيما يتعلق بالقادة العظام ، فمن الميسور لنا ان نسمع عـلى لسـان بعضهم تفسيرا لعظمتهم ولناخذ منهم « نابليون » . فنابليون يقـول : « الذكاء مقدم على القوة ، بل لا قيمة للقوة بغير ذكاء . ففي الازمنـة الاولى كان الاقوى يتولى القيادة ، اما في العصور الحديثة فيتولاها الاذكى .» وهو يقول : « على رجل السياسة ان يضع قلبه في رأسه » . وهو يؤكد ضرورة التفكير والوعي والروية بقوله : « في الحرب كما في السياسة لا تستعاد الفرصة التي ضيعتها » وقوله «الرجل العظيم يظل رابط الجاش في جميع المواقف » .

اما الكاتب فلعله يعتقد ان التفكير بالنسبة للاعمال الكبيرة يتلخص في وضع تفاصيل خططها مقدما ، ولذلك فهو يستبعده لبعده عن الصواب ومطابقة الواقع ويقول : « خطط الاعمال الكبيرة لا توضع تفاصيلهـــا مقدما ، ولكن الخطوة الاولى تهيء الخطوة الثانية ... » . ولكن الواقع ان الصواب هو عين ما يقول ، وأن ذلك هو حقيقة التفكير بعينه . فالفكر الحق يقرر ان ليس هناك من خطط يمكن ان تكون جاهزة ، وانمـــا تقوم الخطط على رسم الاحتمالات .

ومن افكار الكاتب قوله : « الجماهير قوة ضاربة لا قوة واعية ! »

واعتقد ان هذه الفكرة هي السبب الاساسي في كل ما قام به من مزج بين المفاهيم ، فجعل المجتمع مناقضا او مقاوما للفكر ، كما جعل الفكر ادنى قيمة من مفاهيم القوة والحركة والحافز ونحوها .

ان قوله هذا هو حقيقة مقررة في علم الاجتماع وفي علم النـفس الاجتماعي . ولكن فاته ان يتبين التباسا هاما عنده بـين الجمهور وبـين المجتمع .. اذ ليس الجمهور هو المجتمع ، ولا يخفى على القارىء ما بين المفهومين من فارق كبير .

اشتراكيان ورجعيان
لسلامه موسى

يقدم الكاتب في هذا المقال مثالا ممتازا من الادب المقارن ، وذلك في سبيل فكرة معينة تنبع من صميم احتياجات حياتنا الاجتماعية والثقافية في العصر الحاضر . ففي غمرة الاحداث الراهنةالمتصلة باتجاهات الكفاح والنهوض والانشاء ، ليس أعز على القارىء من ان يطالع ادبا يشعر ويفكر ويحيا معه في شتى فنونه المتنوعة ، محاولا ان يبتعد جهده عن جمود الابحاث والموضوعات المتحجرة . فمع ان المقال في صيغته يتناول موضوع التأريخ ، الا ان هذا التأريخ موجه توجيها خاصا ، وهو جزء من دعوة عرف الكاتب بها ، كما انه يمثل طريقة عملية يتخذ الكاتب فيها المقارنة وسيلة للاقناع .

اما الفكرة الاساسية فهي الدعوة الى التجديد ، والى الاشتراكية بنوع خاص . ولكي يتسنى للكاتب ابراز مزايا دعوته هذه ، يقوم بمقارنة سريعة بين اربعة ادباء انكليز عاشوا في النصف الاول من هذا القرن ، اثنان منهم اشتراكيان وهما برنارد شو وويلز ، والآخران رجعيان وهما جلبرت تشسترتون وبيلوك. وقد جاءت المقارنة موفقة لدرجة ان جعلت الكاتب يكتفي باسلوب التأريخ دون اسلوب المناقشة .

الواقع اننا هنا بازاء ادب ملتزم صميم ، وحريص على اداء رسالته التجديدية . ومع ان الكاتب ختم مقاله بقوله « انه لا يستطيع ان يجد في البلاد العربية في الوقت الحاضر سوىواحد او اثنين من الاشتراكيين الناضجين ازاء كل مليون من الرجعيين » ، فاني لا اريد ان اتهمه بالمبالغة ، وانما احب ان أزيد كلامه ايضاحا فاقول : ان بين الرجعيين الذين يعنيهم كثرة ساحقة من الاشتراكيين ولكن غير الناضجين .

محمد وهبي

القصص

بقلم احمد سويد

لن انتهز هذه الفرصة ، فرصة نقد القصص المنشورة في العدد الماضي من «الاداب» ، لابسط رأيي في القصة والمفاهيم التي تقوم عليها ، ذلك لاني اكره المقدمات اولا ، واكره معها اللهجة التقريرية او التخطيطية التي تصاغ بها عادة ، وريح الاستعلاء التي تهب منها ، وتظهر الناقد بثوب المعلم او الجلاد . ولأني ثانيا اؤثر ان اواجه الاثر بنفسية المتلقي ، وأن اسجل الانفعالات تسجيلا امينا ، يساعد القارىء بالتالي على الاسهام معي في عملية تسهيل الرؤية ، والتقييم المباشر الحر .

فعسى الا يثير هذا التسجيل حفيظة كتاب القصة في العدد الماضي، وهم لحسن حظي اثنان فقط .. ولعل هذه هي المرة الاولى - على ما احسب - التي يشح فيها العطاء القصصي في « الاداب» فيقتصر على قصتين موضوعتين لا غير !

الجبانة

اعترف اني فشلت في العثور على المبرر الذي حمل الاستاذ سرور على اختيار « الجبانة » عنوانا لقصته ، فلقد اراد ، لقصته هذه ، على ما يبدو ، أن تدورحول مشاعر صبي امام الموت .. امام موت اخ صغير له، فاذا بها تدور حول كلشيء .. الا حول هذه المشاعر .

هوذا صابر يقوم من النوم ، فيخالجه احساس مسبق بما حدث .. احساس بشيء « يستطيع ان يعرفه لو اراد ، ولكنه تهرب ولم يشأ ان يعرف. » حتى اذا وقف في باب المنوره وسمع حديث النسوة ، وحتى اذا رأى بوضوح شيئا مغطى بعباءة ابيه السوداء » عرف ذلك الشيءالذي « يستطيع معرفته لو اراد » ، وادرك ان « سيد » الصغير قد مات وأنه لن يراه مرة اخرى .

وينتظر القاريء ان تبدأ القصة من هنا ، ان يبدأ الكاتب في الولوج الى حقيقة مشاعر الصبي ، بعد ان فرغ من تصوير الاطار الخارجي .فاذا به يعرض لنا مشاعر مصطنعة لا نبض فيها ولا حرارة :

- لقد اكتشف الصبي فجأة انه يحب اخاه الصغير بعد ان كانيمقته ويكرهه وان سيد لم يكن يعرف شيئا عن اقتراب العيد والا « لما سمح لنفسه بأن يموت » وانه هو .. لو رآه يفعل ذلك لمنعه ، ولحدثه عن اللحمة الكثيرة ، والملابس الجديدة ولكن ما حيلته ؟.. فهو لم يستطع « ان يضبط سيد وهو يموت » !

ويرى صابر امه تبكي بطريقة غريبة لم يعهدها من قبل فيود ان يبكي معها ولكنه لا يستطيع ، فيحس بالضيق ويتفلت من فهيمه الدايه ،وهو يخشى « ان يظل الحزن في الدار الى ان يجيء العيد فلا يشتري له ابوه الجلابية الخ ...» ولكنه لا يكاد يرى اباه يبكي حتى ينفجر في بكاء مرير « استطاع الشيخ جاد بعد جهد أن يثنيه عنه .»

عجيب امر هذا الصبي ، يبكي متأثرا بأبيه ولا يبكي متأثرا بأمه ، رغم اننا جميعا نعلم ان الطفل شديد التأثر بأمه ، سريع الانفعال بها ، يراها تبكي لاتفه الاسباب فيشاركها بكاءها ، فكيف وهو يراها تبكي « بطريقة غريبة » حتى « صارت عيناها حمراوين كالدم القاني » ؟

وينتظر القاريء ان يظل صابر في الجو النفسي الذي وضعته فيه اول تجربة له مع الموت ، رغم طرافة مشاعره وسماجتها ، ولكن الكاتب يأبى له ذلك ،فينطلق به خارج البيت ، ليصور بعض نواحي الحياة في القرية « غنم ابو خليفه ، وجاموسة ابو الخير ، والمرأة حمالة الحطب ، والشحاذ وجواله المنتفخ ، والطفل العابث الذي يجلب الجوال من كتفه بقوةويرخيه، والطفلة التي تجمع روث البهائم ».. ثم ليعود به بعد هذه الجولة القصيرة الى « المصطبة » فيلهيه بالشيخ جاد ،وعلبة دخانه ، والديك المنقوش عليها الذي طمس الصدأ بعض اجزائه .

ويفهم صابر انهم سيغسلون اخاه ، فيخيل للقاريء ان العقدة قد بلغت القمة ، القمة التي تثير كل احساسه بالالم ، القمة التي يبدأ بعدها الانحدار نحو الخاتمة ، نحو الحل،ولكنه يواجه خيبة الامل عندما ينتزع الكاتب بطله من غمرة هذه اللحظة الفائرة التي تعتبر بلا ريب من اشد مواقف الموت رهبة وتوترا ، ينتزعه ليلقي به خارج هذه اللحظة ، بعيدا عن كل توتر ، وليلهيه من جديد باجترار ما حدث له في جرن الباشا .

ولا يكاد القاريء يحمد ربه لانتهاء قصة جرن الباشا المملة ويهيء نفسه لنبضة جديدة في القصة ، او توتر جديد حتى تأخذ القصة في التقدم ، ولكن بفتور يلاحظ معه ان الكاتب يلجأ بين الخطوة والخطوة الى دس منظر خارجي يطيل به السرد ، ويفصل بين الحوادث المتتابعة .

وهوذا صابر يعود الى البيت بعد ان حمل المشيعون اخاه الصغير الى الجبانة ، ولكنه لا يكاد يقطع نصف الطريق حتى ينكص على عقبيه ، فلقد خطر له فجأة « وكأنه نسي المأساة ، خطر له .. « ان يذهب ليرى القبر من الداخل عساه انيتأكد بنفسه من وجود الملائكة التي تحاسب الميت ».

ويعود الكاتب من جديد الى المناظر الخارجية يستعين بها على تبديد ضجر القاريء فيستعرض كل ما يصادفه وهو في الطريق الى الجبانة ، ويعود الفتى صابر الى الثورة على ابناء البهوات وقصور الباشوات والى

نبش كناستها .

حتى اذا ارتفع صوت الشيخ عطية بالاذان ، اخذ صابر يتوارى عن المسرح رويدا رويدا ، ليتنصب بدير ، في النهاية ، بطلا للقصة ، وليأتي حل العقدة على لسانه عندما يتخطى جبانة الباشا :

ـ عجايب صحيح . جبانتنا يا خويا اتملت ، وجبانتهم لا انفتحت ولا دخلها حد.

وبعد ... فقصة الجبانة قصة فاشلة ، انها ليست من النوع الذي تمسك فيه انفاسك ، ورغم انها من نوع الدرام ، فانها لا تبعث في القاريء اي اسى او حزن، ولا تثير فيه حس المأساة . ولقد افقدها الكاتب كل رشاقة باقحام المناظر الخارجية بشكل يعيق فيها تقدم الحوادث ، وفشل في اثارة حزننا على «الميت المسكين» وتعاطفنا مع الصبي صابر الذي ظل بالنسبة لنا ، مجموعة من الافكار الباردة ، والتطرفات التي لا تخلو من سماجة .

الاصبع العايبة

نحن امام قصاص موهوب رغم ان الفكرة التي اقام عليها بناءه القصصي فكرة مطروقة : فتاة يغرر بها ، فتقع في حبائل الجنس الآخر ، فاذا الشرف مثلوم ،مدنس ، لا يعيد اليه اعتباره في عين المجتمع ، الا غسل هذا العار بالدم .. لذلك لاتنتهي المشكلة دائما الا بقطع « الاصبع العايبة » .

يملك الاستاذ عبد الهادي البكار القدرة على الاثارة ، كما يملك كل المواد الخام التي يحتاجها القاص في عملية الخلق ، كالدقة في الملاحظة ، والتعبير السائغ الحلو،والتشبيه الواقعي الموفق،فالماكينة المعطلة«ممروضة الاحشاء»تحملها الفتاة الى « الطبيب المداوي » حسين ، مصلح الماكينات ، والام « تحفر بطن الكوساية » والقمر يعبر قضبان النافذة ويدخل كاغصان من الضوء عريانة ... الخ.. ولكن لغة الاستاذ البكار تشكو بعض الركاكة والتصدع في البناء التعبيري ، كما ان تكنيك القصة عنده ، يشكو بعض التزعزع والخلل .

ويلاحظ القاريء هذا الخلل في مواضع متفرقة من القصة ، فالكاتب الذي اختار لنفسه دور الراوية ، الراوية الذي يسرد حادثة معينةوظروفها، هذا الكاتب لا ينفك يتدخل ليستنتج العبر للقاريء ، وليعلق على بعض المواقف بلهجة الحكيم :

«وفكرت : كم من الاشياء الكبيرة تحدث بجانبنا ونكون نحن اقرب الناس اليها ، ولا يفصلنا عن صانعيها سوى جدار رقيق هزيل .. ومع ذلك فان هذه الاشياء تظل مجهولة بالنسبة الينا مدة طويلة. »

« في الدقيقة الواحدة تحدث في العالم اشياء كثيرة متشابهة »

ان مثل هذا التدخل يمكن ان يغتفرحين يلجأ القاص الى اسلوب البوح يصور به تجربة ذاتية كان هو بطلها ، او حين يتقمص صاحب هذه التجربة ، لا عندما يختار لنفسهدور الراوية .

وعندما راح الكاتب يصف كيف غزت «ماكينة الخياطة» القرية الصغيرة تخففت القصة من بعض رشاقتها ، وشعرت انا كقاريء ببرودة الجو التاريخي تلفني ، وتساءلت : اما كان بامكان الكاتب ان يستغني عن كثير من هذه التفاصيل ، او انيكتفي بالايماء اليه ايماء نابضا ، لا يؤثر في انسياب السرد وعفويته ؟

ووقع الكاتب في خطأ تكنيكي آخر عندما لجأ الى اسلوب النقلاتالسريعة اسلوب الومضات التي تتخطى حدود الوحدتين الزمانية والمكانية .. فالام ، ام هدية تشكو الى زوجها :

ـ تكلفنا الماكينة كثيرا من اجور التصليح ..

ويدور بينهما حوار قصير ، ثم اذا بنا فجاة ننتقل الى خارج البيت لنعرف ان الجو كان قائظا ، ونرى الاطفال في الزقاق يركضون وراء « فرخ حنش » ، والماكينة مرمية عند حسين في زاوية رطبة ، و «الراوية » نفسه يحاول عبثا ان يرسملوحةما ، في حين يترشح اليه من خلف الجدار تنهد خافت ، وهمس مبهم .

ثم يعود الاب بغتة الى الكلام :

ـ طولت هدية يا ام هدية ...

وتجيب الام وهي تحفر بطن « كوسايتها » :

ـ راح تجي .

وتنفض ما علق بالحفارة من امعاء الكوساية ، وبهدأ التنهد فجأة في الدكان ، ويسمع الراوية صوت الباب ينفتح ثم يغلق ...

هذه القفزات الوامضة تذكرني بالتلفزيون الذي ينقل اليك المرئيات وانت في غرفتك ... ترى هل يباح لكاتب القصة ان ينط بمثل هذهالخفة فوق حواجز الزمان وكثافة الجدران ليلتقط صوره من هنا وهناك ؟

.. وكلمة اخيرة .. ان «الاصبع العايبة» لا تحمل موقفا معينا من مأساة اجتماعية معتقة ، الا اذا اعتبرنا مجازفة « الراوية » بتحميل نفسه مسؤولية ما حدث ، موقفا ،لانه ـ اي الراوية ـ كان بامكانه ـ كما يقول ـ « ان يمنع حدوث المأساة لو انهى شعوره بالكره لذلك الكلب الانساني الشبق حسين »

ان مثل هذا الحل الفردي يفرغ القصة من مضمونها الاجتماعي ، وكنت احب الا يقع الكاتب في هذا الخطأ ، والا يتخذ موقفا ، لكي ينقذ ، على الاقل ، السلبية في قصته ، فالسلبية في بعض الاحيان لا تخلو من مضمون اجتماعي ، حين تصور بشاعةالمأساة ، وهولها ، وقبح القطاع الحياتي او جماليته ، وتثير النشاط الفكري عند القاريء فينهد هو بنفسه الى التماس الحل .

احمد سويد

وقائع مؤتمر الادباء

– تتمة المنشور على الصفحة ٩٢ –

اسرائيل على اساس ديني ..

وتحدث الدكتور محمد يوسف نجم فانكر ان تكون القومية العربيــة مجموعة مصالح فحسب ، ثم قال انه لا يؤمن بفكرة الالتزام في معناها الشائع ، وتحدث عن تاريخ فكرة ((الفن للفن)) وذكر ان الاديب ملتــزم بطبعه ، وقال ليس هناك اديب برجوازي او برجعاجي .

وطالب الدكتور محمد مندور ان يحدد المؤتمر مفاهيم القومية العربية وفلسفتها . وطالب الاستاذ حنا مينا بان يعمل الادباء على درء الاخطار عن القومية العربية .

وقال الدكتور محمد خلف الله احمد ان واجب تحديد مفاهيم القومية العربية يقع على الادباء واننا يجب ان نظر الى الماضي ، الى جانــب الحاضر والمستقبل ، من اجل هذا التحديد .

واقترح الاستاذ عبد الرحمن شرقاوي ان يصدر المؤتمر توصية بان يتفق الادباء العرب على ان يتحركوا تحت راية القومية العربية باحساس عربي لحماية المصالح العربية والمستقبل العربي في اطار التعاون الدولي .

وتكلم الاستاذ علي بدور فطالب بان ننفض عن القومية العربية غبار التاريخ ، وطالب الاستاذ عبد الرحمن الخميسي بان يبحث المؤتمر القسمات المشتركة في اعمال الادباء العرب

وتحدث الدكتور شكري فيصل حول مفهوم القومية العربية فقال انها ليست بنت الساعة وليست واقعا ولا مصالح بل هي مجموعة من الروابط الاصيلة القديمة ، واضاف انه يبدو له انالدكتورحيدر خلط بين موضوع الدين وموضوع الطائفية ، فالدين عنصر اساسي في تكوين القومية العربية ولكن الطائفية هي العنصر الذي يريد ان يهدم القومية العربية ...

وقال الدكتور احمد عبد الستار الجواري ان القومية هي قبل كل شيء مفهوم لغوي وثقافي ، وانها فكرة وحركة ، فكرة تقوم على الشعور بالاخوة العربية وحركة لمكافحة الاستعمار .

واكد الدكتور مهدي علام اخيرا ان اللغة العربية هي المقوم الرئيسي للقومية العربية .

النقد والقومية العربية

وكان اليوم الرابع مخصصا لموضوع ((النقد القومية العربية)) وقد رئس الجلسة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس وفد العراق وكان الاستاذ محمد بن تاويت عضو المغرب مقررا والدكتور سهيل ادريس عضو وفد لبنا سكرتيرا .

والقى الدكتور عبد الستار الجواري (العراق) والاستاذ رئيف خوري (لبنان) والدكتورة سهير القلماوي (مصر) ابحاثا اضافية يجدها القاريء في هذا العدد . كما القىالاستاذ عبدالله جنون (المغرب) بحثا تحدث فيه عن مفهوم النقد قديما وحديثا عن رسالة الادب العربي .

وقد ناقش الاستاذ فؤاد الشايب بعض ما قاله الاستاذ رئيف خوري ، فاكد انه ليس بوسعنا ان نضع فلسفة قومية عربية دون النظر الـى الاعتبارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقال الاستاذ موريس صقر ان القومية العربية ليست ايديولوجية حتى تحتاج الى فلسفة ولكنها واقع جغرافي وديني وحضاري وهي تتســع لفلسفات كثيرة ونظريات عديدة ، وهي تحتاج الى توضيح اهدافها .

ودافعت الدكورة بنت الشاطيء عن ذاتية الاديب وقالت ان الاديب اذا يعبر عن ذاته فانما يعبر عن جماعته ، والاديب الحق يمثل ارقى افــراد الجماعة حسا وذوقا ، واضافت ان فنية الفن هي ارقى واقصى ما يصبو اليه الفن ، ومعناها ارهاف ذوق الجماعة وبهــذه الرسالة استطاع الادب ان يقود الجماعات .

ودعا الدكتور سليم حيدر الى ان يتحلى الناقد بالروح العلمية ، وذكر ان القومية العربية احوج الى الادب الانساني الرفيع المتوفرة فيه جميع الشروط الفنية .

وطالب الدكتور مهدي علام بان يكون المحررون والمؤلفون والكتاب هم الرقباء على انفسهم لان في اعناقهم مسؤولية نحو هذا الشباب الذي يريد ان نورثه هذا التراث العظيم .

وتحدث الاستاذ علي احمد باكثير عن مشكلة الازدواج اللغوي مطالبــا بان نبرأ منها وان نكتب باللغة الفصحى دائما وابدا . واقترح الدكتور سامي دهان وضع كتاب في مختارات الشعر القومي على مر العصور ، وكتاب اخر عن القومية العربية .

دتحدث الدكتور يوسف ادريس عن اهمية الموضوع في الادب ، وقال ان اسلوب التعبير ينبع منه ، وقال الدكتور عبد العظيم انيس ان القومية العربية وحدة مصالح ضد الاستعمار ومهمة الناقد العربي اليوم هي اكتشاف المضمون الوطني للعمل الادبي ، وطالب بالتماس نماذج الحياة في كافة اقطار العروبة ، وانهى كلامه بقوله ان القومية العربية ذات مضمون وطني وانها فكرة انسانية لا يمكن ان تتنكر للتراث الثقافي الخارجي .

وقال الاستاذ سعيد العريان انه لا حاجة بنا الى تعريف القومية العربية لاننا نحسها ونعيشها ، واعترض على فهم معنى الدين بانه تعصب وقال ان دين العرب كلهم واحد هو مثلهم العليا .

حماية الاديب والقومية العربية

وكانت الجلسة الخامسة لموضوع ((حماية الاديب والقومية العربية)) وكان الرئيس الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب (تونس) والمقرر الاستاذ ابراهيم غافر (الجزائر) والسكرتير الاستاذ عبد العزيز حسين (الكويت).

وقد القى الاستاذ محمود المسعدي (تونس) والدكتور جودت الركابي (سوريا) محاضرتينفي الموضوع نشرناهما في هذا العدد . والقى الاستاذ ابو عبدالله صالح كلمة الجزائر نيابة عن الشيخ محمد بشير الابراهيمي

كما القى الاستاذ احمد العدواني كلمة الكويت . وقد اشار مندوب الجزائر الى ان اهم شيء للاديب حريته ويجب ان تحمى ، ولا بد من حمايته من كل ما يزيف فنه،وان نتجه بالنقد وجهة موضوعية فنية وان تترك له الفرصة ليجرب وان نحميه من تميع الشخصية ومن التقليد ومن استغلال انتاجه . وبعد ان استعرض مندوب الكويت حالة الاديب العربي عبر القرون، ذكر انه لا بد له اليوم من ان يلتزم سبيل الحرية ولا بد من ان نحمي له حريته وانتاجه من الاعتداء والسرقة وضمان مستقبله وشيخوخته ، واقترح المندوب انشاء اتحاد عام للادباء العرب ، وسن قانون موحد للملكية الادبية ، ورفع القيود المفروضة على تنقل الكتاب العربي ، ومطالبة الدول العربية بضمان مستوى مادي مناسب للادباء الخ ...

توصيات المؤتمر

وفي الجلسة الختامية تليت توصيات المؤتمر التي انفقت لجنة الصياغة بضعة ايام في وضعها ، فناقشها الحضور واعضاء الوفود . وقد نشرنا في الصفحات الاولى التوصيات المنبثقة من الموضوعات ، والنداء الذي وجهه المؤتمر الى ادباء العالم . وننشر فيما يلي سائر التوصيات .

توصيات تنظيمية :

١ – يوصي المؤتمر بتقوية المكتب الدائم وباستكمال جهازه ونظمه الداخلية والمالية ومكاتبه الفرعية لاغناء فاعليته وتيسير اجتماعاته خلال العام بين فترتي انعقاد المؤتمر والسهر على توصياته وتنفيذ مقرراته .

٢ – يوصي المؤتمر بوضع نظام داخلي لجلسات المؤتمر ومناقشاته

والتصويت على توصياته ومواعيد اجتماعاته .

٣ – يؤكد المؤتمر التوصية السابعة من توصيات الدورة الثانية لمؤتمر ادباء العرب في بلودان والتي تدعو الى تكوين جمعيات ادبية في كل قطر عربي.

٤ – يعتبر المؤتمر مكتبه الدائم لجنة تحضيرية لاتحاد عام للادباء العرب، ويفوضها في اتخاذ التدابير الواجبة لانشاء هذا الاتحاد في مختلف البلاد. وكذلك بهدف تنظيم جهود الادباء العرب وتوحيد صفوفهم ورعاية مصالحهم وخدمة فنهم وحماية قيمهم القومية والانسانية .

٥ – يذكر المؤتمر باهمية التوصيات التي اقرت في الدورة الثانية في بلودان ويعتبرها وحدة مع توصيات هذا العام . ويرى ان مصدر التخلف عن تنفيذها انما هو النقص في الاعداد المالي ولذلك يرجو الدول العربية وجامعة الدول العربية ان تعالج هذا بان تخصص في ميزانيتها مبلغا من المال يساعد المكتب الدائم بفروعه ومركزه على تنفيذ المقررات ورعاية التوصيات ومتابعة النشاط .

قرارات :

١ – يشكر المؤتمر لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر شموله المؤتمر برعايته ، كما يشكر لحكومة جمهورية مصر دعوتها لعقد هذه الدورة .

٢ – يشكر المؤتمر لصاحب السمو الامير عبدالله السالم الصباح دعوته لعقد الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب في الكويت . ويسره ان يتقبل هذه الدعوة .

٣ – يشكر المؤتمر مكتبه الدائم وسكرتيره العام ومعاونيه على ما كان من جهودهم في اعداد هذه الدورة الثالثة للمؤتمر .

٤ – يقرر المؤتمر توجيه البرقية التالية الى هيئة الامم المتحدة .

السيد السكرتير العام للامم المتحدة نيويورك

الادباء العرب المجتمعون في الدورة الثالثة لمؤتمرهم في القاهرة من ٩ – ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٧ يؤكدون حق الشعب الجزائري العربي بالتمتع بكامل حريته واستقلاله وسيادته . ويستنكرون حرب الابادة التي يشنها الاستعمار الفرنسي على الجزائر ويهيبون بالضمير العالمي المتمثل في هيئة الامم المتحدة ان يعمل على وقف هذه الحرب ،وعلى ان يتيح للشعب الجزائري ممارسة حقه المشروع في تقرير مصيره ..

٥ – يقرر المؤتمر توجيه نداء الى ادباء العالم . (نشرناه في الصفحات الاولى)

٦ – يخول المؤتمر مكتبه الدائم تمثيله في المؤتمر الافريقي الاسيوي الذي سينعقد في القاهرة في الاسبوع الاخير من هذا الشهر .

٧ – يقرر المؤتمر استكمال الجهاز التنفيذي لمكتبه الدائم بتمثيل الاقطار العربية المختلفة غير الممثلة فيه وتمثيل الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية حتى يتمكن المكتب الدائم من القيام باعبائه لتنفيذ توصيات المؤتمر السابق التي لم تنفذ بعد وكذلك توصيات هذا المؤتمر في النطاق العربي الشامل .

ولهذا يقرر المؤتمر تكوين مكتبه الدائم الجديد على النحو التالي :

١ – الاستاذ سعيد فهيم عن الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، على ان يجري اختيار بقية الاعضاء فيما بعد .

٢ ـ الاستاذ سيف الدين الكيلاني ـ الاستاذ عبد الكريم الكرمى ـ عن الاردن على ان يجري اختيار العضو الثالث فيما بعد .

٣ ـ الاستاذ ابراهيم العريض ـ عن البحرين

٤ ـ الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب ـ الاستاذ محمود المسعدي ـ الاستاذ محمد مزالي ـ عن تونس

٥ ـ الاستاذ ابراهيم غافر ـ الشيخ البشير الابراهيمي ـ الاستاذ حامد روابحين ـ عن الجزائر

٦ ـ يجري الاتفاق على اعضاء المملكة العربية السعودية في المكتب الدائم فيما بعد .

٧ ـ الدكتور محي الدين صابر ـ الاستاذ محمد محمد علي ـ عن السودان على ان يجري اختيار العضو الثالث فيما بعد

٨ ـ الاستاذ فؤاد الشايب ـ الدكتور جودت الركابي ـ الدكتور شكري فيصل ـ عن سوريا

٩ ـ الاستاذ محمد بهجت الاثري ـ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ـ الاستاذ احمد عبد الستار الجواري ـ عن العراق

١٠ ـ الاستاذ رامز فاخره ـ عن فلسطين على ان يجري اختيار بقية الاعضاء فيما بعد

١١ ـ الاستاذ عبد العزيز حسين ـ الاستاذ احمد العدواني ـ عن الكويت

١٢ ـ الدكتور سليم حيدر ـ الدكتور سهيل ادريس ـ الاستاذ رئيف خوري ـ عن لبنان

١٣ ـ الاستاذ مفتاح الشريف ـ الاستاذ خليفه التليسي ـ من ليبيا

١٤ ـ الاستاذ عبدالله جنون ـ الاستاذ محمد بن تاويت ـ عن المغرب

١٥ ـ الاستاذ يوسف السباعي ـ عن مصر على ان يجري اختيار بقية الاعضاء فيما بعد .

بيان عن الجزائر .

في الوقت الذي يلتقي فيه الادباء العرب في الدور الثالثة لمؤتمرهم في القاهرة لدراسة موضوع الادب والقومية العربية ، يواصل الاستعمار استغلال اجزاء غريزة من وطننا العربي وعدوانه الآثم عليها وتآمره على استقلالها وسيادتها ويتمثل هذا في ابشع صور في حرب الابادة التي يشنها الاستعمار الفرنسي على الجزائر المجاهدة ولهذا يقرر المؤتمر في جلسته الختامية ارسال البيان التالي الى جمعية القلم الدولية والى الجمعيات الادبية في العالم كافة :

يعلن الادباء العرب المجتمعون في الدورة الثالثة لمؤتمرهم المنعقد في القاهرة من ٩ ـ ١٥ ديسمبر ١٩٥٧ تضامنهم مع الشعب الجزائري في دفاعه عن حقه المقدس في الحرية والسيادة والاستقلال ويهيبون بأدباء العالم جميعا ان يذكوا في الضمير الانساني الشعور بعدالة القضية الجزائرية وان يبذلوا جهودهم لوقف حرب الابادة التي يشنها الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري لاغتصاب ارضه وسلب حقوقه وتجريده من قوميته ، ويؤكدون ان تضامنهم مع شعبها المناضل ودفاعهم عن حقه المشروع في الحرية والسيادة والاستقلال واجب ملح تمليه عليهم مسئوليتهم نحو الحضارة الانسانية وقيمها العليا .



العدد الاول ـ كانون الثاني (يناير) ـ السنة السادسة

مناقشات

قرأت العدد الماضي من الآداب